

العدد (٣٥)
السنة السابعة

تصدر عن: بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
عضو استشاري في المجلس الاقتصادي والاجتماعي/ الأمم المتحدة وعضو الائتلاف الفلسطيني لحق العودة

تشرين الأول
٢٠٠٩

الخليل، ٢ أيار ٢٠٠٦ (تصوير: CPT)

ملف العدد:

العنصرية ضرورة استعمارية

ساهم في هذا العدد

محمود زيدان (لبنان)
سناء شعلان (الأردن)
إياد برغوثي (عكا)
جمال الشاتي (جنين)
عصام اليماني (كندا)
لانس سيلفا (الولايات المتحدة الأمريكية)

علاء العزة (بيت لحم)
هجو ج. ماير (هولندا)
ميخائيل وارشوفسكي (القدس)
شوقي العيسة (بيت لحم)
بنغاني نغليزا (جنوب أفريقيا)

أدري نويهوف (هولندا)
توفيق حداد (الولايات المتحدة الأمريكية)
عيسى قراقع (بيت لحم)
سالم أبو هواش (الخليل)
رجا زعاترة (حيفا)
رنين جريس (حيفا)

الافتتاحية

من الكونت فولك برنادوت إلى القاضي غولدستون

عزيزي غولدستون،

من قبري الحزين في السويد أبعث لك بتحياتي، ولا أقول أتمنى لقاءك!

منذ واحد وستين عاما، تحديدا منذ يوم اغتيالي في ١٧ أيلول ١٩٤٨، وأنا ارقب حال قضية فلسطين، أو قل قضية اللاجئين الأكبر في العالم. وبينما كنت في قبري استعد للاحتفال بيوم اغتيالي، سمعتك تعرض تقريرك للأمم المتحدة. كدت انهض من قبري فرحا، إذ جاء أخيرا من يكمل ما كنت قد بدأته؛ أي محاولة إنصاف الضحايا الفلسطينيين.

إصراري على تسمية الأشياء بأسمائها، إصراري على تحديد الجريمة والمسؤولين، إصراري على القول انه "لسكان فلسطين، الذين غادروها بسبب الظروف المترتبة على النزاع القائم، الحق في العودة إلى ديارهم دون قيد واسترجاع ممتلكاتهم..."، إصراري على نصرة الضحايا قاد إلى اغتيالي.

أنا لست نادما رغم اغتيالي؛ فان تموت على يد العنصريين مجرمي الحرب، أشرف مليون مرة من أن تحيا طويلا وفي أذنيك تقرع آهات الضحايا. لست نادما على الإطلاق؛ بل وأحس أني كنت أحسن حظا منك! أنا قتلني الصهاينة، مجرمي الحرب؛ أما أنت فيقتلك ما تعرّى جراء تساقط ورق التوت، وبالطبع الكثير الكثير من الزيف... ومن الصمت.

ما ظل يؤنسني في وحشة قبري المظلم على مدى الواحد وستين عاما أمران:

الأول: تضمين القرار ١٩٤ حق الضحايا اللاجئين بالعودة إلى ديارهم وبقاء هذا القرار حيا حتى اليوم.

الثاني: أن توصياتي كانت السبب الرئيس وراء تضمين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حق الإنسان، أي إنسان بالعودة إلى بلده.

ولكن في المقابل ما زال يغتالني كل يوم أمران:

الأول: سقوط الضحايا، ضحايا الاحتلال، والاستعمار، والعنصرية، وانتهاكات حقوق الإنسان، في كل مكان.

الثاني: صمت الضحايا اليائسين! فان تكون ضحية فهذا أمر لا يد لك فيه، ولكن أن تعتاد بمرور الوقت على أن تكون الضحية، فهذا قمة العدمية.

عزيزي غولدستون،

تقريرك أنصفني أكثر ما أنصفني قرار محكمة العدل الدولية بشأن حصانة رجال الأمم المتحدة، وتأجيل التصويت على تقريرك اغتالني مرة أخرى، قتلني التأجيل ليس بقوة الانفجار ولكن بتفاهة الانتحار.

اصمد يا عزيزي، اصمد قليلا، فيكفيك أن الله، والضحايا، وبعض الشرفاء معك،

اصمد يا عزيزي، اصمد طويلا، ولا تقل مثلي: يكفيني شرف الانتصار لحقوق الإنسان، قل سأقاتل ما دام هناك ضحايا.

وختاما، أودعك الوصية، ولا أتمنى لقاءك!

التوقيع: فولك برنادوت، قبر مهجور، السويد.

هيئة التحرير

تعالوا ننبش قبور الفلسطينيين!

بقلم: محمود زيدان*



(تصوير: محمود زيدان)

زيارة تقليدية أقوم بها الى المقبرة كل عيد. كنت أقوم بها وأبي منذ سنوات، ثم داومت عليها بعد موته. صرت أزور أبي الميت وألتقي أقاربي وأصدقائي الأحياء. قلما تجد مكانًا بهذه المساحة الضيقة يجمع هذا العدد من الناس؛ تزور مئات بل ألوف الأشخاص في وقت واحد وفي مكان واحد.

على مدخل المقبرة ثمة حارس وحيد، يتأبط بارودته ويرتدي بزّته العسكرية، ذكرني بحراس القصور في مسرحيات شكسبير؛ إلا أن دوره أقل شأنًا. هو لا يحرس شيئًا؛ انه ينظم السير فحسب. أحزنتني رؤيته. أليس له عائلة ليقضي معها ساعات العيد الأولى؟ رغم ذلك، ترى البسمة تعلو محياه لعله، عدا أيام العيد، يرتعب من الوحدة، فلا أحد يمر من هنا سوى مواكب الأموات.

زحمة قاتلة تملأ المكان. حراس، مرافقون، مسؤولون من كافة التنظيمات والأحزاب، فرق الكشافة وفرقة موسيقية تعزف نشيد النصر. في المقبرة المارش العسكري، جنباً الى جنب والعاديون الذين دفنوا أحباءهم هنا في هذا المكان الذي يجمع الجميع؛ بل أكثر من ذلك فكل التنظيمات التي لا تجتمع على شيء خارج هذا المكان؛ موجودة في هذه البقعة... تؤدي زيارة جماعية للنصب. بعد ذلك ينصرف كل منهم الى بيته، من كان له ميت منهم، يزوره ويقرأ له الفاتحة ثم يمضي... ثمة قبور لا يقربها أحد!

رويدًا رويدًا صارت "العجقة" تتبدد. أخذت طريقي بين القبور أقصد قبر أبي. زحمة الأحياء تتبدد لكن زحمة الأموات تزداد في كل يوم وكل عام. أكاد لا أصدق: تمتلىء المقبرة بسرعة قياسية، عمر هذه المقبرة أقل من ثلاث سنوات واليوم فيها أكثر من ألف قبر.

انفضّ الجميع من دون أن ينظروا الى القبور. من دون أن يلحظوا سبب تلك العجقة الضاجة التي لا تتوقف في المقبرة. عندما سألت مسؤول الشؤون الاجتماعية في منظمة التحرير قبل سنوات عن سبب رفض دفن الفلسطينيين في مقبرة صيدا. قال: ان ثمة اتفاقاً بين دائرة الأوقاف ودائرة الشؤون الاجتماعية في منظمة التحرير على عدم دفن أموات الفلسطينيين في مقبرة اللبنانيين في صيدا، مبررين ذلك أن الفلسطينيين يموتون أكثر وأسرع من اللبنانيين.

كنت أسمع أن سلاح الفلسطينيين الأكثر فتكًا اليوم هو التوالد الطبيعي أوالتكاثر، الذي تعتبره اسرائيل قنبلة ديمغرافية موقوتة، ولم أتخيل أن يصبح الموت في المنفى موضوعًا للتنافس وبسببه تمنع دائرة الأوقاف دفن من ليس له قريب في المقبرة القديمة. ولم أتوقع أن يطال التمييز العنصري أموات الفلسطينيين مثلما يطال الأحياء منهم، فيستكثر عليهم مساحة لرقدة عظامهم لا تتجاوز مترين تحت أرض!

فكرت لماذا لا نصحو نحن الأحياء ونفكر فيما يجمعنا من واقع ومصير؟ أيصح أن تفرقنا البرامج السياسية ويجمعنا الموت؟

أكملت طريقي بين القبور فأخذني مشهد لم أعهده في مخيمات أحياء الفلسطينيين؛ الجميع هنا من كل الأطياف، من كل قرى فلسطين، من كل الأحزاب والتنظيمات من كل الجنسيات من كل الطبقات من كل الأعمار يرقدون بسكون، مجتمعين لا خلافات ولامناوشات وكأن برنامجهم واحد.

ثمة قبور لا يقربها أحد. قبور تحمل شعارات العهد الماضي، منظمة التحرير الوطني الفلسطيني، حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وغيرها من الجبهات التي كانت تنادي بتحرير فلسطين، كل فلسطين. لفتني أن كل القبور القديمة والجديدة، لكبار السن وحتى للصغار الذين ولدوا في المخيمات ممهورة باسم الميت وعمره وتاريخ وفاته وقريته في فلسطين. وكنت قد لاحظت في المقبرة القديمة أن أبناء القرى المجاورة في فلسطين يتجاورون في المقبرة، وزيادة على ذلك ذيلت قبور الشهداء منهم بعبارة: عائدون. استوقفتني «عائدون» هذه (الجامعتنا كلنا...) عائدون؟ من؟ والى أين؟ وكيف؟ ولماذا ينادي بالعودة الأموات في الوقت الذي يتنكر للعودة كثير من الأحياء؟ وفي الوقت الذي يدق فيه ناقوس التوطين كل ما دق الكوز بالجرة؟

تذكرت كلام أبي مروان حمد من قرية الصفصاف قبل عشر سنوات كأنه يجيبني الآن على تساؤلاتي قال: عندما خرجنا من الصفصاف مقاتلين على أثر المجزرة التي ارتكبتها العصابات الصهيونية في قريتنا، هجرنا الى بنت جبيل ومن ثم الى مخيم الرشيدية. خلال الفترة الأولى كنا ندفن كل أمواتنا في بنت جبيل. وعندما سألته عن السبب، قال: كنا نقول عند عودتنا سيكون من السهل نقل رفاتهم الى بلدنا أو على الأقل زيارتهم، لأنها أقرب الى بلادنا...

كذلك أجابني ابو ابراهيم من قرية لوبية حيث أوصى أولاده أن يحملوا عظامه ويدفنوها في لوبية.

لقد كان أبو مروان وأبو ابراهيم متيقنين من العودة ولو بعد حين. وكانا يصران على أن لا يتركا وحيدين هنا متمسكين بالعودة كلمة هي البدء، في حين نسي من غير ميثاقه وبرنامجه ونظامه الداخلي أن هناك أشياء نقشت على القبور، ومات الشهداء من أجلها لا تمحى... ربما نسوا أنها لا تموت.

فكرت في نفسي؛ لو أن المسؤولين يجولون قليلاً بين القبور ويقرأون ما عليها. لو أنهم يرون كيف تجمعنا الأحزان حتى في الأعياد، وكيف أن زوار ذلك المكان المهيب يتآزرون ويتحلون بالوقار والخشوع فثمة من يقترب منك يواسيك ويقرأ الفاتحة لميتك!

اقتربت مني سيدة في مقتبل العمر. تقف على قبر بجوار قبر أبي. حيتني، ثم وقفت معي وقرأت الفاتحة لوالدي. ثم سألتني:

مين إلكم؟

أبوي.

الله يرحمو، كيف مات؟

موت طبيعي.

لو أنهم يرون كيف القبور كالدفاتر تؤرخ الماضي. تعالوا ننبش هذه القبور لنتعلم من أهلها، لنستعيد منها تاريخًا مجيدًا. تعالوا نبعث ذلك الماضي ونستدل منه ونوجه خطواتنا المستقبلية على هدي صدقه ووطنيته... تعالوا نسلك درب الرجوع الى فلسطين علنا نحيا من جديد.

ما دام أمواتنا يصرون على العودة؛ ألا يجدر ان نعمل نحن الأحياء من أجلها؟

* محمود زيدان هو عضو مؤسس لمجموعة عائدون/لبنان، وقائم على مشروع أرشيف التاريخ الشفوي للنكبة في لبنان.

مقاطع من مديح الظل العالي

صبرا - هوية عصرنا حتى الأبد.

شعر: محمود درويش

صبرا – فتاة نائمة

رحل الرجال إلى الرحيل

والحرب نامت ليلتين صغيرتين،

وقدمت بيروت طاعتها وصارت عاصمة..

ليل طويل

يرصد الأحلام في صبرا،

وصبرا نائمة.

صبرا- بقايا الكف في جسد قتيل

ودّعت فرسانها وزمانها

واستسلمت للنوم من تعب، ومن عرب رموها خلفهم.

صبرا- وما ينسى الجنود الراحلون من الجليل

لا تشتري وتبيع الا صمتها

من أجل ورد للضفيرة.

صبرا- تغني نصفها المفقود بين البحر والحرب الأخيرة:

لمَ ترحلونَ

وتتركون نساءكم في بطن ليلٍ من حديد؟

لمَ ترحلونْ

وتعلّقون مساءكم





فوق المخيم والنشيد؟

صبرا- تغطي صدرها العاري بأغنية الوداع

وتعد كفيها وتخطئ

حين لا تجد الذراع:

كم مرة ستسافرونْ

والى متى ستسافرونْ

ولأي حلم؟

وإذا رجعتم ذات يومْ

فلأي منفى ترجعون،

لأي منفى ترجعون؟

صبرا- تمزق صدرها المكشوف:

كم مرةْ

تتفتح الزهرةْ

كم مرةْ

ستسافر الثورة؟

صبرا- تخاف الليل، تسنده لركبتها

تغطيه بكحل عيونها. تبكي لتلهيه:

رحلوا وما قالوا

شيئا عن العودة

ذبلوا وما مالوا

عن جمرة الوردة!

عادوا وما عادوا

لبداية الرحلة

والعمر أولاد

هربوا من القبلة.

لا، ليس لي منفى

لأقول: لي وطن

الله، يا زمن..!

صبرا- تنام. وخنجر الفاشي يصحو

صبرا تنادي.. من تنادي

كل هذا الليل لي، والليل ملح





يقطع الفاشي ثدييها – يقل الليل –

يرقص حول خنجره ويلعقه. يغني لانتصار الأرز موالا،

ويمحو

في هدوء.. في هدوء لحمها عن عظمها

ويمدد الأعضاء فوق الطاولة

ويواصل الفاشي رقصته ويضحك للعيون المائلة

ويجن من فرح وصبرا لم تعد جسدا:

يركبها كما شاءت غرائزه، وتصنعها مشيئته.

ويسرق خاتما من لحمها، ويعود من دمها إلى مرآته

ويكون – بحر

ويكون – بر

ويكون – غيم

ويكون – دم

ويكون – ليل

ويكون – قتل

ويكون – سبت

تكون – صبرا.

صبرا – تقاطع شارعين على جسد

صبرا نزول الروح في حجر

وصبرا – لا أحد

صبرا – هوية عصرنا حتى الأبد.

اسعدْ؛ لأنّكَ لستَ فلسطينياً

بقلم: سناء شعلان*

«خاطرة في حضرة الغياب»
يقول محمود درويش الشّاعر الفلسطيني الراحل:
«أما أَنا – وقد امتلأتُ
بكُلِّ أَسباب الغياب
فلستُ لي
أنا لستُ لي
أنا لستُ لي...»
ويبقى السؤال: لِمَنْ الفلسطينيّ؟
الجواب: هو للعذاب والألم والرّحيل منذ ستين عاماً معجونة بالحزن. فاسعدْ؛ لأنّكَ لستَ فلسطينياً...

(١)

إنْ كان رقم ستين يعني لك التّقاعد، وبداية الرّاحة بعد رحلة عطاء طويلة، وعنوانا لتقديرك من مجتمعك الذي خدمته لستّين عام، فاسعدْ؛لأنّكَ لستَ فلسطينيّاً؛ لأنّ رقم ستّين عند كلّ فلسطينيي العالم يصادف ذكرى النّكبة.

فخلال حرب ١٥ أيار عام ١٩٤٨، تمّ تهجير أكثر من ٧٥٠,٠٠٠ فلسطينيّ عربيّ من ديارهم وأراضيهم وممتلكاتهم. ويصل تعدادهم حالياً إلى أكثر من ٧ ملايين لاجئ. وقد أُطلق على هذا العام عام النّكبة لنتائجه المأساويّة على الشّعب الفلسطينيّ.

(٢)

إنْ كنتَ ولدتَ في وطنكَ، أو تعيشُ فيه، أو تعيش خارجه بناءً على رغبتكَ، وتملك الحق في العودة إليه في أيّ لحظة، فاسعدْ، لأنّك لستَ فلسطينياً؛ فثلاثة أرباع الشّعب الفلسطينيّ هم لاجئون أو مهجّرون، ويُعدّ اللاجئون الفلسطينيون من أقدم ضحايا اللّجوء في العالم، وأوسعهم انتشاراً، فأصول غالبيّة اللاجئين الفلسطينيين تعود إلى أكثر من ٥٠٠ قرية تقع داخل ما يعرف اليوم «إسرائيل»، وقد تمّ تدميرها خلال حرب عام ١٩٤٨ وبعدها. ولا تزال غالبية مواقع القرى المهجورة غير مأهولة حتى هذا اليوم. وتصرّ «إسرائيل» على عدم السّماح للاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم.

(٣)

إنْ كنتَ تتنقّلُ داخلَ وطنك بحريّة، وتُعامل داخله معاملة عادلة تليق بإنسانيتك ومواطنتك، فاسعدْ؛ لأنّك لستَ فلسطينياً؛ ففي هذه اللحظة هناك أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مهجر داخل الخطّ الأخضر كانوا قد هجّروا أصلاً خلال حرب ١٩٤٨. وعلى الرّغم من حصولهم على المواطنة الإسرائيليّة؛ إلا أنّ إسرائيل تحرمهم من العودة إلى ديارهم، ومن استعادة أراضيهم وممتلكاتهم، شأنهم شأن اللاجئين الفلسطينيين.

وقُدر عدد المهجّرين داخل الخطّ الأخضر بحوالي ٣٠٠,٠٠٠ فلسطيني في العام ٢٠٠٦، بالإضافة إلى أكثر من ١١٥,٠٠٠ مهجّر في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧.

(٤)

إنْ كنتَ تؤمن بعدالة تطبيق الشّرعيّة الدّوليّة، فاسعدْ؛ لأنّك لستَ فلسطينياً يحفظ القرارات التالية للجمعية العامة للأمم المتحدة، ثم لا تُطبّقُ أيّة واحدة منها بأيّ شكل من الأشكال.

فقد أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار رقم ١٩٤(٣) بتاريخ ١١ كانون أول ١٩٨٤ الذي ينصّ على أنّ للاجئين الفلسطينيين بما فيهم المهجّرون داخل الخط الأخضر الحق في العودة إلى ديارهم واستعادة ممتلكاتهم، وتلقّي التعويضات عن الأضرار والخسائر الماديّة والمعنويّة التي لحقتْ بهم، وللاجئين الذين يختارون عدم ممارسة حقهم في العودة الحق في تلقي التّعويضات عن ممتلكاتهم ،والحقّ في تلقّي المساعدة لتوطينهم.

كما يؤكد قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٣٧ الصّادر بتاريخ ١٤ حزيران ١٩٦٧ حق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين في العام ١٩٦٧ في العودة إلى ديارهم التي هُجّروا منها.

(٥)

إنْ كانتْ ذاكرتكَ مشحونة بالذّكريات السّعيدة، والبدايات الجّميلة، والصّور العائليّة، فاسعدْ؛ لأنّكَ لستَ فلسطينياً ذاكرته مشحونة بالخراب والموت والقتل وذكرى المذابح. فمعظم تواريخ الشّعب الفلسطينيّ هي تواريخ ألم وفراق:

٢ تشرين الثاني ١٩١٧ وعد بلفور المشؤوم.
٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ أوصت الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين.
١٤ أيار ١٩٤٨ الانسحاب البريطاني، وبدء الحرب العربية – الصهيونية الأولى.
١٥أيار ١٩٤٨ النّكبة الفلسطينية.
٩ نيسان ١٩٤٨ مجزرة دير ياسين.
١٤ تشرين الأول ١٩٤٨مذبحة قرية قبية.
٢٨ تشرين الأول١٩٤٨ مذبحة قرية الدوايمة.
٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ مذبحة قرية كفر قاسم.
٥ حزيران ١٩٦٧ الحرب العربية الصهيونية الثانية، والنّكسة.
٢٨ حزيران ١٩٦٧ إعلان ضمّ القدس الشرقية إلى إسرائيل.

مسيرة العودة السنوية في الداخل، قرية الكفرين، ٢٩ نيسان ٢٠٠٩ (تصوير آن باك)

١٢ آب ١٩٧٦ مذبحة مخيم تلّ الزّعتر في لبنان.
٦ حزيران ١٩٨٢ الاجتياح الإسرائيلي للبنان.
١٦ أيلول ١٩٨٢ مذبحة صبرا وشاتيلا.
٢٠ أيار ١٩٩٠ ذكرى مذبحة العمال الفلسطينيين في عيون قارة.
٢ تشرين الأول ١٩٩٠ مذبحة الحرم القدسي الشريف.
٣ نيسان ٢٠٠٢ بدء الهجوم العسكريّ الإسرائيليّ على مخيم جنين.
٢٠ ايار ٢٠٠٧ الجيش اللّبناني يشنّ حملة عسكريّة واسعة على مخيّم نهر البارد.
شهر ٣ من العام ٢٠٠٨ محرقة غزة.
...

(٦)

إنْ كنتَ تحتفلُ بالكثير من المناسبات السّعيدة والأفراح المستمرّة، فاسعدْ؛ لأنّكَ لستَ فلسطينياً جميع مناسباته التي يحيي ذكراها ترتبط بالشّتات والحزن والموت:

٣٠ آذار ذكرى يوم الأرض الخالد.
٢١ آذار اليوم العالمي لإزالة جميع أشكال العنصريّة والتعصّب العرّقيّ.
١٧ نيسان يوم الأسير الفلسطينيّ.
٢٥ أيار أسبوع التضامن مع الشعوب المحتلة من أجل التحرّر والاستقلال وحقوق الإنسان.
٢٠ حزيران يوم اللاجئ العالمي.
٢ حزيران ١٩٦٤ تأسيس منظّمة التّحرير الفلسطينيّة.

(٧)

إنْ كنتَ تعيش في أرض، ولا تُرغم دون ذنب على الرّحيل عنها قسراً ودون ذنب، فأسعدْ؛ لأنّكَ لستَ فلسطينياً يهجّر مرة تلو الأخرى من أرضه، وقسراً دون وجه حق.

(٨)

إنْ كنتَ لا تعاني من أزمات بسبب أيّ حرب أو نزاعات مسلّحة في العالم، ولا تُهجّر بسببها، فاسعدْ؛ لأنّكَ لستَ فلسطينياً تُمارس ضدك كلّ سياسات الاقتلاع والتهجير في العراق ولبنان وداخل الخط الأخضر وفي الأرض الفلسطينيّة المحتلة.

فأكثر من ١٨,٠٠٠ فلسطيني أُجبروا على مغادرة العراق، فضلاً عن آخرين لا يزالون عالقين على الحدود العراقيّة- السّوريّة- الأردنيّة منذ الاحتلال الأمريكي للعراق في العام ٢٠٠٣.

(٩)

إنْ كنتَ لا تعاني من أيّ تمييز عنصريّ، فاسعدْ، فأنتَ لستَ فلسطينياً يعاني من كلّ أشكال التّمييز العنصريّ في الوطن والعمل والمعاملات والإعلام، ويكابد ما يترتّب على ذلك من قتل وسجن دون محاكمة وسحب هويات وهدم منازل وعمليات عسكريّة متواصلة.

(١٠)

إنْ كنتَ تعيش في بيت تملكه أو في بيت تستأجره في مكان وفق اختيارك، وفي حي جميل، حيث تصله الشّمس والهواء، ويتمتّع بالخدمات والبنية التحتيّة الصحيّة، فاسعدْ؛ لأنّك لست فلسطينياً تعيش قسراً في إحدى المخيمات الـ ٥٩ الموجودة في الأردن أو سوريا أو لبنان وفلسطين بعد أن طُردت من أرضك ومن بيتك.

فخلال حرب عام١٩٦٧ تمّ تهجير أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ فلسطيني من الأراضي الفلسطينيّة التي أُحتلتْ خلال الحرب. ويزيد عددهم عن ٩٥٠,٠٠٠ نسمة مشتتين في العالم.

(١١)

إنْ كنتَ تدعم أيّ عقوبة أو حصار لدولة ما على خلفيات اختراقها للقانون الدّوليّ، فاسعدْ؛ لأنّك لستَ فلسطينياً؛ يعاني من المرارة بسبب إقصاء تطبيق القانون الدوليّ في قضية اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين مما أدّى إلى عرقلة تطبيق الحلّ الدّائم لهذه القضية على مدى ستين سنة، وإلى المزيد من الانتهاكات لحقوق الشّعب الفلسطيني، وعلى رأسها بناء جدار الفصل العنصري الذي بنته إسرائيل على أراضي الضّفة الغربيّة المحتلة.

(١٢)

إنْ كنتَ تعيش في وطنك، وتقدر على التنقّل من مكان إلى آخر داخله دون موانع أو معيقات أو حواجز، فاسعدْ؛ لأنّكَ لستَ فلسطينياً مسجوناً في بيته بسبب وجود جدار الفصل العنصريّ الذي بنته إسرائيل على أراضي الضّفة الغربيّة المحتلة، وهو جدار غير قانوني، ويعدّه الشّعب الفلسطينيّ رمزاً للنّكبة المستمرّة.

(١٣)

إنْ كنتَ ستحتفل في شهر أيار بذكرى مرور ستين سنة على قيام الكيان الصّهيوني في فلسطين، فاسعدْ؛ لأنّك لستَ فلسطينياً سوف يحترق ألماً في يوم ١٥ أيار بذكرى مرور ستين عام على نكبته وعلى تشرّده وعلى رحلة عذابه وتيهه في الأرض.

(١٤)

إنْ كنتَ محزوناً على قريب أو حبيب أو صديق قُتل أو رحل أو أُصيب بمرض، أو تخشى فقدان عزيز، أو خسارة بيت، أو أرض، فاسعدْ لأنّكَ لستَ فلسطينياً، فكلُّ بيت فلسطينيّ قد تجرّع ألم فقد شهيد، أو فراق معتقل في السّجون الإسرائيليّة، أو كابد آلام جريح، أو ذاق حرقة هدم بيت أو اغتصاب حقل أو اغتيال شجرة. والكثير من الفلسطينيين قد ذاقوا كلّ تلك الآلام مجتمعة.

(١٥)

إنْ كنتَ تحمل مفتاح البيت أو العقار الذي تعيش فيه، فاسعدْ لأنّك لستَ فلسطينياً يحمل مفاتيح قديمة صدئة عمرها ستون عاماً أو يزيد لبيت طُردَ منه قسراً، ويحلم بالعودة إليه.

(١٦)

إنْ كنتَ رأيتَ وطنك، وقبّلتَ ترابه؛ فاسعْد، لأنّكَ لستَ أنا؛ لأنّني فلسطينيّة مهجّرة ممنوعة من تقبيل تراب وطنها...

(١٧)

إنْ كان للعالم أن يخجل من سلوك ما، فعليه أن يخجل من صمته تجاه ما يحدث للفلسطينيين.

(١٨)

إنْ كنتَ تراهن على عدم عودة الفلسطينيين إلى وطنهم فلسطين، فعليك أن تسحب رهانك الخاسر فوراً؛ لأنّنا العائدون... فالأرض طلبتْ أهلها الغائبين، وحان زمن اللقاء...

---

* سناء شعلان، كاتبة فلسطينية تحمل الجنسية الأردنية، حاصلة على دكتوراه في اللغة العربية، عضو في رابطة الكتاب الأردنيين، وعضو اتحاد الكتاب العرب.

رسالة اعتذار

بقلم: إياد برغوثي*

صديقي حازم جمجوم، **

أحاول منذ أيام أن أكتب لك المادة الأدبية التي طلبتها لنشرتكم «حق العودة»، أبدأ بالكتابة وأشطب الجمل الأولى، يبدو أنني لن ألبّي طلبك هذه المرة فاعذرني يا صديق.

أعتقد أنّ اللوم في ذلك يعود إليك بعض الشيء، إلى الموضوع الذي طلبت مني أن أكتب عنه: «فلسطيني الهوية- إسرائيلي المواطنة»، لقد مللت شخصيًا من هذا الموضوع، تعبت من تكرار وصف هذه الحالة المعقدة والمركبة، التي أحتاج لشرحها إلى سرد خلفية تاريخية تبدأ على الأقل منذ وعد بلفور لتصل إلى المظاهرات الضخمة ضد العدوان على غزة قبل أشهر، وتحتاج إلى شرح تفصيلي لسياسات الأسرلة وغياب المدينة وتشويه الهوية وطمس التاريخ وهدم العمارة ومصادرة الأرض والتمييز العنصري وتدعيم الشرح بالمعطيات الإحصائية والصور، تعبت من الشرح يا صديق.

لقد فكرت في البداية أن أكتب عن التناقضات التي يواجهها الفلسطيني في إسرائيل، لكني اكتشفت أنني تهت في غابة من الأفكار الفلسفية، تلك التي تؤكّد وجود التناقض في كل غابات الصراعات الإنسانية، وأن كل صراع يوّلد تناقضات عدّة في واقع المتصارعين. التناقضات حليب نرضعه في طفولتنا، ورفيقة دربنا الجبلي. أو أن أكتب عن أسئلتي حولها، ما هي أفضل السبل للتعامل مع هذه التناقضات، الهروب منها أم مواجهتها أم الخضوع لها؟ كيف أشرحها؟ هل أتتبّع سيرة مأساويتها؟ كيف أفسّر التعوّد عليها والتطبيع معها عند البعض؟ كيف أشرح تحويلها من مشوّهة لهويتنا ومعنى حياتنا إلى تهمة ضدهم عند البعض الآخر؟ كم مثلٍ علي أن أعطي عن التناقضات في واقعنا؟ ألف؟ مئة وستة وخمسون ألفٍ؟ أم مليون ومئتي ألف؟ كم قصة تناقض تريد لترضي قرّاءك يا حازم؟

ثم فكرت أن أكتب لنشرتكم قصتي الشخصية، مخرج مناسب ربما من الوقوع في فخ اللغة الأكاديمية التي تلخّص القضية بحيادية وبمصطلحات علمية، ومن تكرار سلسلة الشعارات الوطنية المرضية لقراء «حق العودة» حول البقاء والصمود والتمسّك بالأرض ومقاومة العنصرية والتواصل ووحدة القضية.

فكرت أن اكتب قصتي كمهجّر في وطنه، التي بدأت من شرفة بيت أهلي في الناصرة المطلة على قرية صفورية المهجّرة، التي بنى الإسرائيليون عليها مستوطنة «تسيبوري»، والتي أمنع من السكن فيها لأنني فلسطيني، وعن اكتشافي لجذوري «الصفاوية» في الانتفاضة الأولى، وعن دراستيٍ في جامعة تل أبيب في فترة الانتفاضة الثانية، عن ركوب الحافلات خائفًا من انفجارها وقلبي المتفجّر غضبًا على مجزرة جنين واجتياح نابلس ومحاصرة المقاطعة، وعن عكا الجميلة التي تزوجتها بعد أن انفصلت عن يافا المصدومة، وعن قسوة الصيف في كليهما- حرّ ورطوبة الساحل. ثم قررت ألا أكتب قصتي الشخصية، سأبقيها متنكرة بشخصيات أخترعها وأسميها بأسماء أخرى في القصص القصيرة التي أنشرها هنا وهناك، أو للرواية التي أؤجل كتابتها.

أعتذر يا حازم عن كتابة المقال، حاول أن تقترح موضوعًا آخر، أكثر تفصيلاً، لماذا علينا نحن الفلسطينيون في الداخل دائمًا أن نكتب بالعموميات


شعارات فلسطينية في مدينة عكا (المصدر: *Activestills*)

والمصطلحات الكبيرة؟ لماذا علينا أن نبدأ بشرح قضيتنا من البداية كل مرة؟ وأن نبرّر وجودنا ونثبت فلسطينيتنا وعروبتنا؟ أعرف الجواب يا عزيزي، لكني منزعج من الحالة فلا تؤاخذني على غضبي.

حاولت أن أكتب عن هذا الجزء من الشعب الفلسطيني الذي يحمل المواطنة الإسرائيلية، لكنني وقعت في فخ التعميم ومحوت كل الأسطر، أخاف ألا أكون صادقًا أو دقيقًا، لأن هذا الجزء منقسم إلى أجزاء أيضًا، نحن شعب من أجزاء، للأسف (لو كانت تعددية لفرحنا بها، لكنها تفتت دون وعاء جامع وإطار ضابط). جزؤنا هنا أجيال مختلفة ومتصارعة، أحزاب متنافسة وأيدلوجياتها متباعدة: قوميون ديمقراطيون وشيوعيون وإسلاميون ومستقلون، مناطق ولهجات، طوائف وعائلات، مدن وقرى ومخيمات (حتى لو سموها أحياء)، ساحل وجبل، بدو وحضر، وطنيون وعملاء، حياديون وقياديون، أسرى وسجانون، عن أي جزء أحكي؟ وعن أي فترة؟ إننا هنا مثل أي جزء آخر وكل الأجزاء تتغيّر فيتغيّر معها الكل، هل توافقني؟

فكرت كي لا أخذلك يا صديق، أن أكتب عن الشباب الفلسطيني عندنا، لكني تراجعت لأنني وجدت نفسي متورطًا في شرح آثار النكبة على أجيال الفلسطينيين الذين بقوا في مناطق ال٤٨ بعد التطهير العرقي، عن الجيل الأول وصدمته وآماله وخيبته وبحثه عن الأمان (الجماعة مرقوا نكبة ونكسة!)، عن الجيل الثاني الذي ولد تحت الحكم العسكري ونظام التخويف والسيطرة والبحث عن المساواة وعن يوم الأرض (بتعرف إنهم كانوا مجبورين على الاحتفال بعيد «الاستقلال»؟)، وعن الجيل الثالث وهبته وبحثه عن معنى ورموز وبقايا حجارة قرى الأجداد القريبة وحكاياتها، عن الثقة والبريق في العينين والحطة وحنظلة وخارطة كل الوطن، عن الذاكرة والنسيان، عن صيرورة ضد الصيرورة ونتائج تخالف سياسات القوي، ولو جزئيًا، حتى في ظل الانقسامات المخزية، فكرت أن أكتب لك عن الشباب الذين يسيرون بالآلاف في مسيرة العودة كل سنة ويتظاهرون على ال»فيسبوك» يوميًا، لكني خفت أن أزيد الأمل وأبالغ في رومانسية المشهد وانتقائيته وأرفع التوقعات، أنا حذر وأنت تعرف كم أخاف من خيبات أمل جديدة وكم أخشى اليأس.

بما أنكَ طلبت مني نصًا أدبيًا، قلت لنفسي «يا ولد، ضحّك الجمّاعة واكتبلك شوية ساتيرا، حاجة نكد»، وهناك ما يكفي من مواقف وقصص وتعليقات ساخرة لملء صفحات النشرة كلها وتحويلها إلى أول جريدة كوميديا سوداء فلسطينية، شيء ما يريدني أن أسخر من نفسنا، نحن في فترة علينا فيها أن نبهدل أنفسنا، علنا نصحصح قليلاً، وفي كل المناطق والأجزاء والدويلات والفتافيت الفلسطينية. عندي مادة عن فلسطينيي ال٤٨، على فكرة، لقد ظهر هذا الاسم مجدّدًا بعد أن حذفت منه «المناطق المحتلة عام» لأسباب سياسية متعلقة بالأفق الواقعي للعملية السلمية والخطاب المبني على أساسه المتين، عادت هذه التسمية لتضاف إلى شلة التسميات الغريبة العجيبة، الخبيثة والخسيسة، التي تسمينا دون أن تسألنا، تخيل يا صديقي شعورك حين يكون لك على الأقل عشرة أسماء مستخدمة يوميًا من قبل جهات مختلفة تأخذك كل واحدة إلى ضفة مختلفة لترى منها الأمور كما تريدك هي أن تراها، تسمياتنا كثيرة وأهمها: عرب إسرائيل (مضاف ومضاف إليه، التبعية بعينها وبأفنها كمان، أهل الضفة يرتاحون جدًا لاستخدام هذه التسمية)، وعرب ال٤٨ وهي تسمية دارجة في مصر والأردن، المزارات السياحية التي نغسل فيها أوسخ غسيل نفسيتنا المقهورة، وغالبًا ما تحمل معانٍ سلبية، وأسوأ ما فيها أنها تذكّرنا أننا منكوبون، وربما أفضل ما فيها أنّها كذلك، وإسرائيل تسمينا المواطنين غير اليهود أو أبناء الأقليات...لن أكمل ترديد التسميات، زهقت.

أشعر بالرغبة أن أكتب نصًا ساخرًا عن كل الفلسطينيين، لكل مجموعة منا فلسطينها الخاصة بها، ومن كل خمسة فلسطينيين ثلاثة يريدون أن يكونوا رؤساء لشيء ما، وكل شيء ما ينقسم إلى ثلاثة أشياء ما أو أكثر، لكني إن كتبت عن هذا الموضوع أكون قد ابتعدت عن طلبك يا حازم، وأنت تريدني أن أكتب عن «فلسطيني الهوية-إسرائيلي المواطنة»، أعتذر، اختر موضوعًا آخر وربما تساعدني لوحة المفاتيح على الكتابة عنه.

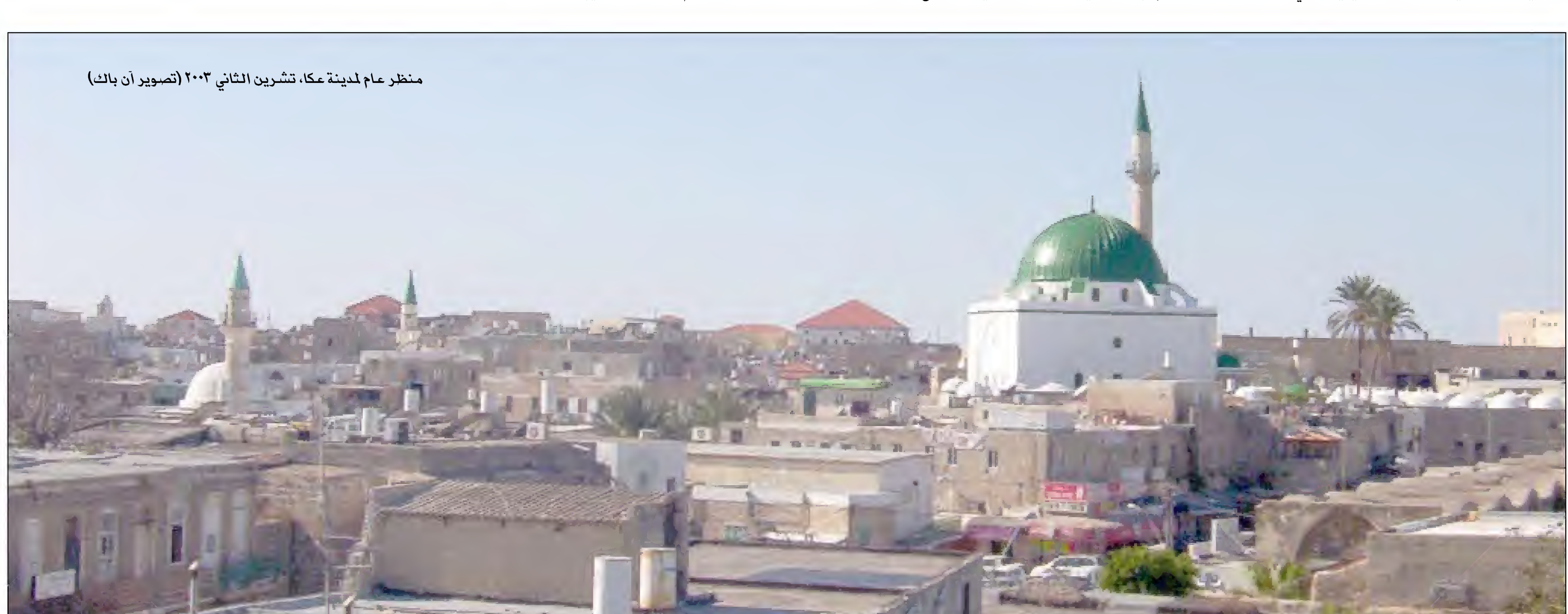
هناك تناقض بين هويتي ومواطنتي، تناقض لن يزول مهما حدث، هناك فرق بين الواقع الذي أعي وبين الواقع الذي أريد، فرق لن يسدّه ما يحدث، هناك هوس يطاردني في كل صباح ومع كل نظرة من شباك السيارة وحوار مع أخ أو عدو، هوس البقاء وإبقاء اسم المكان ولغة المكان حيّة فيه وفي أهله الأصليين لكي أحيا فيه، هوس تربية الذاكرة لتصير وعيًا، هوس سيبقى ما دمت باقيًا حيًا، هوس يجعلني أتجاهل كل اللافتات الغريبة وكل البيوت القرميدية والبنايات الجديدة، وكل الأرقام عن العتاد العسكري وتفاصيل القوانين العنصرية، وكل موازين القوى وانقساماتنا وفشلنا، أتجاهلها بلا عقلانية حتى لحظة غضب جديدة تخرجني عن طوري. لا أبحث عن التوازن بين النقائض، أبحث عن فتحة في جدار العزلة لأصل ساحة التواصل مع عالمي العربي.

لن أكتب عن الموضوع، أعتذر، صديقي.

---

* إياد برغوثي، كاتب وصحفي فلسطيني، يقيم في عكا، مسؤول التواصل والاتصال في اتجاه، اتحاد جمعيات أهلية عربية فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨.

** حازم جمجوم هو منسق الإتصال والتواصل - مركز بديل


منظر عام لمدينة عكا، تشرين الثاني ٢٠٠٣ (تصوير آن باك)

حقوق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين في مقـــررات المؤتمـــر الســـادس لحركـة فتـــح

بقلم: جمال الشاتي*

لقد شكلت كل من مكان انعقاد المؤتمر، وعضويته، وأسماء المرشحين ومن ثم الفائزين القضايا الأبرز في الإعلام، باعتبارها مواضيع مثيرة للجدل، وربما عناوين جذابة تستهوي الباحثين عن خبر مثير، ومسألة يروق للمتنافسين التباري في تحليلها رفضا أو تأييدا. وربما كان هذا احد العوامل التي تسببت – ولو جزئيا – في حجب أوراق العمل المقدمة للمؤتمر، وأهمية الأفكار المتضمنة فيها والنصوص المقترحة لها. إن معركة البرنامج السياسي للمؤتمر السادس، وبرامج اللجان المختلفة لم تكن اقل شانا، إن لم تكن هي الأساس والأصل، خصوصا وان ضرورات انعقاد المؤتمر في هذه المرحلة هي ضرورات سياسية بالمعنى الاستراتيجي وبالدرجة الأولى. لذلك، سيكون من المهم الوقوف على اثر عمل اللجان وأوراقها وتوصياتها على البرنامج السياسي لحركة فتح، والذي بالضرورة يتناول الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني والمتمثلة في العودة، وتقرير المصير، وإقامة الدولة المستقلة كاملة السيادة. ويجيء هذا المقال ليتناول ورقة المقترحات والتوصيات الخاصة بموضوع حقوق اللاجئين الفلسطينيين وعمل اللجنة المكلفة بهذا الملف، باعتبار أن هذا الموضوع قد شكل محورا تلتقي عنده مواضيع إستراتيجية عدة مثل؛ الحل النهائي، ومعنى حق تقرير المصير، وشكل الدولة المستقلة، كما وتتفرع عنه ومنه مواضيع عدة أبرزها: أدوات النضال وأشكاله، وأسس المفاوضات وضوابطها.

وبصفتي عضوا في اللجنة الخاصة بقضية اللاجئين الفلسطينيين التي انبثقت عن المؤتمر أثناء انعقاده، فقد تابعت عمل اللجنة، بدءا من إعداد ورقة العمل، مرورا بالمداولات الخاصة باللجنة، والتواصل مع اللجان الأخرى وخصوصا اللجنة السياسية، وانتهاء بتقديم مقترح الورقة النهائي والتوصيات. ولعله من المفيد هنا، التأكيد على أن اللجنة قد تبنت الورقة نصا وروحا بالإجماع، ونجحت في توصيلها إلى اللجان الأخرى وخصوصا اللجنة السياسية ولجنة برنامج البناء الوطني، حيث أثرت الورقة بشكل ملموس في روح ونصوص البرنامج السياسي الذي تم تبنيه، وان أعضاء اللجنة على قناعة تامة أن الورقة وتوصياتها ستحظى بمصادقة المجلس الثوري المنتخب.

عن الورقة:

حملت الورقة عنوان: "لا بديل عن العودة إلى الديار الأصلية: ورقة مبادئ وآليات عمل لحماية حقوق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين".

وقد قدمت للمؤتمر السادس لحركة فتح باعتبارها قراءة تفصيلية للواقع ومعطياته ومتطلبات إحداث التغيير. والورقة في حقيقتها جاءت مستندة إلى توصيات عدد من المؤتمرات الشعبية، والدراسات وورش العمل المتخصصة التي أجرتها وعقدتها مختلف فعاليات الحركة الوطنية الفلسطينية، ومنظمات المجتمع المدني، وفي الطليعة منها اطر ومؤسسات فتح الشعبية وكوادرها الفاعلة في أوساط اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين في مختلف مواقعهم في فلسطين التاريخية والمنافي. وقد قسمت الورقة إلى ثلاثة أقسام: الرؤية والتحليل، والمبادئ، والتوصيات.

الرؤية والتحليل:

في القسم الأول (الرؤية والتحليل) تم تناول معطيات المرحلة بعد واحد وستين عاما من النكبة المستمرة، سواء ما تعلق منها بالأوضاع الداخلية، أو الوضع العربي والإقليمي، أو الوضع الدولي على المستويين الشعبي والرسمي. وفي تحليلها للشان الداخلي ركزت الورقة على أمرين: الأول: « الخطورة التي تتهدد الحقوق الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتها حق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم الأصلية... الأمر الذي يتطلب من كل القوى، والهيئات، والأطر، والأفراد، وفي طليعتها حركة فتح وكوادرها، المبادرة بالفعل المنظم، والمتواصل، والموجّه، والمركز حماية للحقوق والمنجزات». أما الأمر الثاني فتمثل في التاكيد على مكانة م. ت. ف في ظل استفحال الانقسام الداخلي باعتبار أن « إعادة بناء وتفعيل كافة أجهزة وهيئات م. ت. ف، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، والإطار الوطني الجامع، والأداة التنظيمية والسياسية، والسلطة الفلسطينية العليا، أولوية وطنية ملحة وغير قابلة للتأجيل».

وفي رؤيتها للصراع وإسرائيل فقد خلصت الورقة إلى « أن النكبة، بعد واحد وستين عاما من النكبة (١٩٤٨)، واثنين وأربعين عاما من الاحتلال (١٩٦٧) وبعد قرابة عشرين عاما من المفاوضات المباشرة وغير المباشرة، لا زالت مستمرة؛ الأمر الذي يستدعي التعامل مع إسرائيل باعتبارها نظام استعماري يجمع ما بين خصائص الابرتهايد، والاستعمار الاحلالي، والاحتلال العدواني».

وفي قراءتها للخارطة الدولية فقد بينت الورقة أن المجتمع الدولي لم يفشل فقط في معالجة أسباب الصراع وجذوره، بل وانه « أسهم سواء مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة عبر التواطؤ أو الصمت، في تجذير الاستعمار الاحلالي، والاحتلال العدواني والتمييز العنصري من خلال مد إسرائيل بالدعم السياسي، والاقتصادي، والعسكري وعبر تحصينها من العقوبات الدولية، وغير ذلك.»

أما عن تراجع العمل العربي الرسمي والشعبي؛ فقد شددت الورقة أن العمل العربي وخصوصا بسبب تقييد الفعل الشعبي وتراجع الفعل الرسمي « لم يعد يشكل – لا معنويا ولا عمليا – عمقا استراتيجيا لنضال الشعب الفلسطيني... وإن توظيف الجهد والعمق العربي الرسمي والشعبي وتنسيقه وتوحيده، وحفظه من الانهيار مسؤولية نضالية وطنية وقومية ...».

وفيما يتصل بقوى المجتمع المدني العالمي، فقد خلصت الورقة انه « في ظل افتقار الدول، والأمم المتحدة للإرادة السياسية الفاعلة والمطلوبة لتحقيق السلام العادل والدائم والشامل في الشرق الأوسط، فإننا نلحظ باهتمام وعناية أن قوى المجتمع المدني العالمي بدأت تنشط لصالح القضية الفلسطينية وحقوق شعبنا... ورغم أن العمل على هذا الصعيد يحتاج كغيره إلى مثابرة وانه قد يستغرق وقتا طويلا لجني الثمار... إلا أن هناك ضرورة ملحة لتطويره وتوظيفه خدمة لقضايا شعبنا العادلة».

المبادئ:

وبالاستناد إلى هذه القراءة المتانية والمعمقة، تم صياغة جملة من المبادئ الأساسية كمنطلقات ومحددات لا بد من الاعتماد عليها عند التعامل مع مختلف الدول، والقوى، وعلى مختلف المستويات. ومن جملة تلك المبادئ فقد تم التركيز على عدد من المبادئ المتصلة بحقوق اللاجئين والمهجرين والفلسطينيين. ففي هذا القسم تم التاكيد على أن: « قضية اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين في فلسطين التاريخية وفي المنافي، وحدة واحدة غير قابلة للتجزئة...» وان « حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى الديار الأصلية حق وطني، وإنساني، وقانوني غير قابل للاستفتاء أو التفاوض، أو التنازل، ولا يقبل التجزئة أو الإنابة أو التفويض، وينتقل من السلف إلى الخلف مهما طال عمر الصراع...»، وان « كل الحلول السياسية التي لا تضمن تمكين اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين من ممارسة خيارهم الفردي والجماعي في العودة إلى ديارهم الأصلية، باطلة ومرفوضة». وإن « تحقيق العدالة والسلام الدائم لا يكون إلا بالعودة إلا الديار الأصلية، وباستعادة الممتلكات، وبالتعويض»، وان هذه الحقوق « ثابتة بصرف النظر عن شكل الحل السياسي». كما وان المجتمع الدولي يتحمل مسؤولية « توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني وخصوصا للاجئين والمهجرين، إلى أن يتمكن المجتمع الدولي من إيجاد حل عادل ودائم يضمن حقوق الشعب الفلسطيني عبر تطبيق قراراته وفي المقدمة منها القرار ١٩٤»، وان تمكين اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين من ممارسة حقهم في العودة الطوعية الآمنة إلى ديارهم الأصلية « شرط مسبق لممارسة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني».

التوصيات:

وبالتدقيق في القسمين: الأول (الرؤية والتحليل)، والثاني (المبادئ) يمكن فهم التوصيات التي خرجت بها الورقة والمتعلقة بموضوع حقوق اللاجئين والمهجرين، والتي من أهمها:

الابتعاد عن استخدام العبارات والكلمات الدبلوماسية المطاطة عند الحديث عن حق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين في العودة إلى الديار الأصلية، ورفض التعاطي مع أية مقترحات دولية كانت أو إسرائيلية، أو فلسطينية لا ترقى إلى مستوى القرار ١٩٤ لغة، وشكلا، ومضمونا.

عدم التعاطي مع سياسات الدول المانحة التي تستهدف استبدال وكالة الغوث الدولية (الانروا) بالسلطة الفلسطينية والتي أبرزها سياسة تقليل حجم المساهمة في صندوق الانروا مقابل زيادة تمويل السلطة، والوقوف بحزم أمام التراجع المضطرد في مستوى الأداء والخدمات التي تقدمها الانروا.

تجريم ومحاسبة، ومحاكمة كل مسؤول فلسطيني سواء كان في السلطة الفلسطينية أو م . ت. ف ينخرط، أو يدعو، أو يروج لمبادرات ومشاريع تنتقص صراحة أو ضمنا من حقوق اللاجئين الفلسطينيين



المؤتمر السادس لحركة فتح، بيت لحم، آب ٢٠٠٩ (المصدر: الأيام)





المؤتمر السادس لحركة فتح، بيت لحم، آب ٢٠٠٩ (المصدر: أ.ب)

وخصوصا حقهم في العودة إلى ديارهم الأصلية.

إعداد منهاج تعبوي تربوي تثقيفي يعزز ثقافة العودة لدى الأجيال الناشئة وذلك عبر تناول حقوق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين... وتنظيم حملات دعوية وتعبوية منظمة في كافة الأوساط للمحافظة على الهوية الفلسطينية، وللدفاع عن حقوق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين، ولحفظ ذاكرة ضحايا النكبة المستمرة.

العناية باللاجئين والمهجرين الفلسطينيين القاطنين خارج مخيمات اللجوء.

حث المجتمع الدولي عموما، وخاصة هيئات الأمم المتحدة ووكالاتها، ودول الرباعية الدولية على تعزيز دور الانروا في مناطق عملها الخمس من خلال الإسهام في صندوقها ودعم توسيع صلاحياتها، والعمل على جعل مساهمة الدول في صندوق الانروا إلزاميا وليس تطوعيا... وحثه أيضا على اتخاذ إجراءات عملية لضمان توفير الحماية الدولية القانونية، والفعلية، اللازمة للشعب الفلسطيني خصوصا لمنع تهجير مزيد من الفلسطينيين، أو لمقاومة عمليات التهجير القسري للفلسطينيين.

رفض ومقاومة مشاريع وبرامج التطبيع مع الاحتلال بكافة أشكاله، وتبني حملة مقاطعة إسرائيل نظريا وعمليا والترويج لها في كل الأوساط وعلى كل المستويات باعتبارها وسيلة نضالية فعالة.

تعزيز الدور والمحتوى الوطني للجان الخدمات وعدم قصر دورها على تقديم بعض الأعمال الخدمية، من خلال وضع نظام انتخابي بحسب الصلاحيات ذات الصلة ب (م ت ف) باعتبارها المرجعية السياسية العليا، وبما يضمن اختيار الأعضاء المؤهلين لحماية مشروع العودة.

الاستفادة من طاقات الشباب الفلسطيني المتواجد في الشتات عبر العمل المشترك معهم ضمن المرافعة والترويج والحشد السياسي، للتأثير في الرأي العام العالمي... وإعطاء الأولوية في الحقبة القادمة لمراكمة العمل لبلورة وتوسيع ائتلافات العودة وبالذات التي تعمل معا في الوطن والشتات كأطر جامعة للاجتهادات المختلفة، والدفع باتجاه توحيد جهود حركة العودة...

البرنامج السياسي لحركة فتح:

بمراجعة البرنامج السياسي لحركة فتح يتجلى اثر ورقة المبادئ واليات العمل لحماية حقوق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين. فقد جاء تحت عنوان الثوابت:

«اللاجئون: تلتزم حركة فتح بما يلي:

أ- العمل الدءوب لتحقيق حق اللاجئين في العودة والتعويض واستعادة الممتلكات، وبوحدة قضية اللاجئين دون النظر لأماكن تواجدهم بمن فيهم اللاجئون في أراضي (٤٨). وترى الحركة ضرورة المحافظة على المخيم كشاهد سياسي أساسي للاجئين الذين حرموا من العودة لديارهم إلى حين حل قضيتهم، وضرورة التمسك بوكالة الغوث كعنوان دولي واعتراف بقضية اللاجئين إلى حين عودتهم إلى بيوتهم وبلادهم، مع العمل على تحسين أوضاع اللاجئين والمخيمات، ومع التأكيد على أن منظمة التحرير هي المرجعية السياسية للاجئين الفلسطينيين.

ب-التأكيد على رفض مبدأ التوطين القسري أو الدعوة للوطن البديل، فلا توطين في لبنان ولا وطن بديل في الأردن.»

ضمن نفس السياق جاء تحت عنوان: أشكال النضال في المرحلة الراهنة «... ومن بين أشكال هذا النضال التي يمكن ممارستها بنجاح في المرحلة الراهنة لإسناد المفاوضات وتفعيلها أو كبديل لها إن لم تحقق غاياتها: « مقاطعة المنتجات الإسرائيلية في الداخل والخارج من خلال التحرك الشعبي، وعلى الأخص ما يتعلق بالسلع الاستهلاكية التي يتوفر لها إنتاج محلي بديل، وممارسة أشكال جديدة من العصيان المدني ضد الاحتلال، والعمل على تصعيد الحملة الدولية لمقاطعة إسرائيل ومنتجاتها ومؤسساتها بالاستفادة من تجربة جنوب إفريقيا.» و « طرح ومناقشة بدائل إستراتيجية فلسطينية، إذا تعذر تحقيق التقدم من خلال المفاوضات الحالية، بما في ذلك طرح فكرة الدولة الديمقراطية الموحدة، التي ترفض العنصرية والهيمنة والاحتلال، وتطوير النضال ضد الأبارتهايد والعنصرية الإسرائيلية...»

وفي مجال العمل على تطوير أداء منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات أكد البرنامج، من ضمن أشياء أخرى، على ضرورة التزام م. ت. ف بإدارة التفاوض "على أساس الشرعية الدولية وقراراتها الرئيسة: (١٨١، ١٩٤، ٢٤٢، ٣٨٣)"، و "رفض تاجيل التفاوض على القدس أو على قضية اللاجئين، أو أي من قضايا الحل النهائي"، و "رفض الاعتراف بإسرائيل "دولة يهودية"، رفضا قاطعا لا تراجع عنه حماية لحقوق اللاجئين ولحقوق أهلنا عبر الخط الأخضر".

أما عن تفعيل م. ت. ف ومؤسساتها فقد أكد البرنامج على وجوب: " ١- تعزيز حضور المنظمة في أوساط اللاجئين الفلسطينيين في الشتات وخاصة في المخيمات في الدول العربية وفي الخارج. ٢- إحياء وتفعيل روابط المنظمة مع قوى التضامن العربية والعالمية وإعادة بناء العلاقات معها. ٣- تطوير علاقات المنظمة على المستويين العربي والدولي، شعوباً وأحزاباً وحكومات".

وفي تناوله للمهام تجاه شعبنا في الشتات أكد البرنامج على ضرورة « تفعيل وتعزيز دور الجاليات الفلسطينية ودعم كوادرها النضالية والمهنية وتفعيل الاتحادات والتنظيمات الشعبية في كل مناطق التواجد الفلسطيني في الشتات... وعلى ضرورة « المحافظة على ثقافة وانتماء أجيال أبناء الجالية خارج الوطن العربي، من حيث دعم صلتهم بالوطن، ووضع برامج لتعليم أبنائهم اللغة العربية، وتاريخ وطنهم ونضال شعبهم، والحفاظ على انتمائهم وعلى حقهم في العودة إلى وطنهم.»

أما عن المهام تجاه شعبنا في أراضي ٤٨، فقد تم التأكيد على أن الفلسطينيين « أهلنا في أراضي ٤٨ جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني... يعيشون تحت خطر «التهويد» و«التطهير العرقي»، ولذلك فان الحركة ترفض «الدعوة لإعلان "يهودية" دولة إسرائيل..» و «دعوات التطهير العرقي العنصرية من إسرائيل، مؤكدة حقيقة وجود أبناء شعبنا الطبيعي والتاريخي في وطنهم فلسطين قبل قيام إسرائيل واغتصابها لأرضنا، وتدعم فتح كل ما من شانه تحقيق مطالب شعبنا بالمساواة وباستعادة حقوقهم...».

أما عن الفعل على المستوى الدولي غير الرسمي فقد تم التأكيد على ضرورة « تعزيز العلاقات مع القوى السياسية الضاغطة من أحزاب سياسية ونقابات ومنظمات غير حكومية، ولاسيما تلك التي تعمل في حقل حقوق الإنسان لما لهذه المؤسسات من تاثير وفاعلية وطنياً وعالمياً».

وهذا أمر يتطلب «... الاستعداد لتصعيد الحملة الدولية ضد الممارسات العنصرية الإسرائيلية وصولا إلى المقاطعة الدولية تمثلا بالخبرة جنوب الإفريقية».

الخلاصة:

بمقارنة النصوص أعلاه يتضح اثر ورقة العمل الخاصة بحقوق اللاجئين على البرنامج السياسي. وهذا بالطبع لا يعني أن أوراق العمل الأخرى وعمل اللجان المختلفة لم يؤثر شكلا وجوهرا في البرنامج السياسي، ولكن الغاية من هذه الورقة إبراز حقوق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين في البرنامج باعتبارها ثابتا وطنيا يقع في صلب أي حل نهائي للصراع. ويبرز هذا الأثر الموضوعي والشكلي في كثير من المواضع.

وما يهمنا هنا هو إبرازه في المسائل ذات الأثر الاستراتيجي وذلك على النحو الآتي:

أولا: التأكيد على العودة إلى الديار الأصلية بما فيها الأرض المحتلة عام ١٩٤٨، وعلى تلازم العودة مع حقوق التعويض واستعادة الممتلكات. وهي في الحقيقة صيغ لم يسبق إدراجها على هذا النحو من التفصيل والدقة في برامج حركة فتح والمنظمة والقوى الفلسطينية من ذي قبل، اذ كان يجري تدوال حق العودة كحق وطني عام دون التعرض لماهية هذا الحق وعناصره توابعه الملازمة.

ثانيا: التأكيد على وحدة قضية اللاجئين في فلسطين التاريخية وفي كافة مواطن الشتات، وجعل م. ت. ف ، وليس السلطة الفلسطينية، «المرجعية السياسية للاجئين الفلسطينيين» وفي هذا عودة إلى ما كانت عليه الأمور ما قبل اوسلو، وهو بمثابة تعزيز لدور المنظمة الذي بدأ يضعف أمام دور السلطة، ولتحمل كافة المسؤوليات تجاه اللاجئين الفلسطينيين في كافة مواقعهم وخصوصا المتواجدين في الشتات.

ثالثا: التأكيد على حقوق فلسطينيي ٤٨ بمن فيهم المهجرين داخليا باعتبارهم جزء من الشعب الفلسطيني، وخصوصا حقوقهم في العودة إلى الديار، والتعويض واستعادة الممتلكات، والمساواة الكاملة. وفي هذا تاكيد على الهوية القومية لفلسطينيي ٤٨ كجزء أصيل من الشعب الفلسطيني.

رابعا: تبني حملة مقاطعة إسرائيل كشكل نضالي فعال، ومطالبة الحركة بتفعيلها شعبيا ورسميا على كافة المستويات. وفي هذا نقلة متقدمة اذا ما قورنت بعدم وضوح الرؤية لدى مؤسسات وأعضاء الحركة فيما يتعلق بالحملة.

خامسا: فتح الباب أمام إمكانية طرح البدائل الإستراتيجية، مثل « فكرة الدولة الديمقراطية الموحدة». ورغم أن هذا الأمر جاء معلقا على شرط فشل المفاوضات، وكأنه ردة فعل يجب توقعها، إلا انه يمكن اعتباره تشكيكا في جدوى الاستمرار في حملة العلاقات العامة وفق العقلية والأجندة الإسرائيلية كبديل للتفاوض والسلام الجديين.

سادسا: تصنيف إسرائيل «كاحتلال استيطاني عنصري»، و دولة عنصرية تمارس «التهويد» و«التطهير العرقي»، وبالتالي الدعوة لـ « تطوير النضال ضد الأبارتهايد والعنصرية الإسرائيلية...». وفي استخدام هذه الاصطلاحات دلالة واضحة على محاولة استكشاف التكوين الاستعماري الاحلالي العنصري لإسرائيل وعدم قصر الرؤية والتعامل معها باعتبارها مجرد احتلال عسكري عدواني.

ربما يرى البعض ان التطبيقات العملية لم تعد مقيدة بالنصوص التي باتت منذ زمن ليس بقريب مجرد حبر على ورق. ولكن، هذا الرأي يغفل أهمية النص خصوصا عند الحاجة إليه لرفع الصوت عاليا ب (لا). وربما يقال أن ما يجري على الأرض يخالف النص روحا وشكلا، ولكن هذا الرأي يغفل أيضا أهمية النص لمن يعتمد عليهم وقت الشدة والحسم. وربما يقال أيضا أن بنودا عديدة لم يتم تضمينها في البرنامج، ولكن هذا القول يغفل أنن ما زالت الفرصة متاحة أمام المجلس الثوري في جلساته القادمة لتضمين البنود ذات الصلة بقضية اللاجئين. ربما يقال أكثر من ذلك، ولكن يبقى للنص أهمية إستراتيجية ولا يقصد هنا الأهمية التاريخية، بل أهميته لإسناد الحركة الجماهيرية والفعل الشعبي في ظل الحاجة إلى ضبط عملية التفاوض، والحاجة إلى تعزيز البناء الذاتي. وعليه، فان مثل هكذا نصوص وان بدت للحظة غائبة عن الفعل القيادي فإنها تبقى ضرورية لكل من ينوي مواصلة درب النضال، ليس للاسترشاد بها وحسب، وإنما لتحديد المسؤولية، واعتمادها أساسا للمحاسبة.

* جمال الشاتي هو عضو المجلس الثوري لحركة فتح، رئيس لجنة اللاجئين في المجلس التشريعي السابق، عضو مجلس إدارة مركز بديل.

"الذاكرة بطبعها عدوة للقهر..."

بقلم: عصام اليماني*

«أنـا لست عـائدا الى فلسطين فحسب، بل فلسطين عـائدة الـيّ أيضـا»، بهذه العبارة انهى المناضل المرحوم شفيق الحوت كتابه: « من يافا بدأ المشوار»، و كتب في مقدمة لكتاب: «رجال من فلسطين» للعلامة عجاج نهويض ما يلي:

«قد يكون في استطاعة قوة القوة الغاشمة الجائرة ان تغتصب «الارض» و ان تغتال « الافراد» و ان تبيد «الجيوش و المؤسسات»، و لكنه يستحيل عليها مهما طغى جبروتها، ان تغتصب «الوطن» و ان تغتال «الشعب» او ان تبيد «الامة وشخصيتها الوطنية». وقد يكون في استطاعتها كذلك أن تزيف «كتابا» أو ان تزور «خارطة» او ان تنهب «اثرا» او ان تزيل «علما» لكنه يستحيل عليها، مهما تمثدت في غيها، ان تزيف «التاريخ»، او ان تزور «الجغرافيا» او ان تطمس «التراث» ... الذاكرة بطبعها عدوة للقهر».

شفيق الحوت (١٩٣٢-٢٠٠٩) كغيرة من ابناء الشعب الفلسطيني عانى من القهر الصهيوني والاستعماري الذي ترك اثره في الذاكرة الفردية والجماعية الفلسطينية. فلكل منا حصته من نتائج هذا القهر، سواء كنا لاجئين في الشتات او «مواطنين أصليين في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، أو القابعين بانتظار حصول «معجزة الدولة الفلسطينة في الضفة الغربية وقطاع غزة».

فإذا كانت السعادة في الذاكرة لا تحفز الانسان على فعل شيء سوى اعادة انتاج مسبباتها في خيالنا، فإن القهر في الذاكرة له دينامية اخرى مختلفة. فالقهر لا يجعل الذاكرة تعود بنا الى الاسباب والنتائج فحسب؛ بل تحفزنا على التفكير في كيفية الخلاص. فالقهر عدو دائم يسكن فينا، ويعشش في ذاكرتنا، ويؤسس لتكويننا النفسي والاجتماعي والسياسي، ولا تزول مفاعيله الا بزوال مسبباته ونتائجه. القهر في الذاكرة يحفزنا على الانتقام منه ومن رموزه، يحفزنا على استرداد حقوقنا التي أنتزعت منا بدون وجه حق. والذاكرة، التي نقش القهر فيها مكانا له، لا يمكن ان تضيع او تنسى، فهي تنتقل من جيل الى آخر. فالقهر يفرض علينا ان نرويه لأبنائنا وأحفادنا، ونحثهم على تحقيق ما لم نستطع تحقيقة في زماننا. هذا ما اراد شفيق الحوت نقله لنا عندما قال: ان «الذاكرة بطبعها عدوة للقهر».

هذه المقولة تفسر السيرة والمسيرة الوطنية للشهيد شفيق الحوت. ففي حياته وسلوكه أراد أن يثبت خطأ مقولة «الزمن كفيل بأن ينسي الشعب الفلسطيني موضوع العودة» كما تنبأ وأراد بن غوريون بعد اعلان دولة الاحتلال الصهيوني، وانها لا تنطبق على من عانى القهر، ولا تنطبق على الشعب الفلسطيني، وإنما تنطبق فقط على من لا وطن له. فلا نحن نسينا، ولا الجيل الرابع من اجيال اللجوء- العودة سينسى ان القهر طاله. وان القهر الصهيوني الاستعماري هو السبب في ان اللاجىء الفلسطيني في لبنان محروم من حقوقة المدنية والإنسانية، ومحروم من ممارسة العمل في مهنته او حتى في بعض الاحيان محروم من ممارسة هوايته الرياضية او الفنية.

في هذه المقالة لن اتناول السيرة الشخصية والسياسية للشهيد شفيق الحوت، فهو خير من عبر وتحدث عن سيرته وتجربته النضالية من خلال كتابه: «من يافا بدأ المشوار» ومن خلال المقابلات الصحافية والتلفزيونية، خاصة برنامج فضائية الجزيرة «شاهد على العصر». إضافة الى ما كتبه العديد من الكتاب وا صدقاء الشهيد، (رشاد ابوشاور، طلال سلمان، انيس الصايغ، مروان عبد العال، الياس خوري، صقر ابو فخر، سامي الاخرس، عزمي بشارة، عمر فاضل، الياس سحاب)



مؤتمر: المأزق الوطني الفلسطيني، بيروت، تموز ٢٠٠٧ (المصدر: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

ممن عايشوه والذين تناولوا سيرته وتجاربهم معه.

فالجميع اجمع على ان من اختلف مع شفيق الحوت سياسيا أحبه واحترمه شخصيا. فهو صاحب رأي واضح وصريح، ولا يحسب حساب الربح والخسارة الشخصية عند اتخاذه موقفا ما من هذه القضية او تلك. وافق على البرنامج المرحلي بإعتباره برنامج تكتيكي نحو استعادة الحقوق التاريخية والعودة الى يافا. وعندما تيقن ان البعض يعمل على تحويل المرحلي التكتيكي الى نهائي استراتيجي، كان اول المتمردين على نهج « القيادة».

كان من المقربين من الرئيس ياسر عرفات، وكان اشدهم انتقادا لتوقيع عرفات «اعلان المبادىء» المعروفة باتفاقية اوسلو. واستقال من موقعه في اللجنة التنفيذية احتجاجا؛ متخليا عن كافة الامتيازات المادية والمعنوية المتعلقة بالمنصب. وانحاز الى حق اللاجئين الذين حاول البعض تغييب حقهم في العودة او الذين طرحوا حق العودة كورقة تفاوضية تكتيكية. بالرغم من ذلك، فيوم استشهاد عرفات، بكاه بكل صدق ولم يحكم عليه ولم «يشخصن» الاختلاف السياسي. فشفيق الحوت لم يعتبر يوما موقفه ورأية موقفا منزلا؛ على الجميع الاخذ به. وفيما يتعلق برفاق الدرب من القادة في الفصائل المتعددة فلم تكن مفردات التصنيف السياسي «منحرفين» و «متطرفين» و «عدميين» جزءا من لغته السياسية. لقد كان شفيق الحوت نبيلا في اختلافه مع الاخر.

شفيق الحوت من جيل بدايات الثورة الفلسطينية المعاصرة، رفيق درب احمد الشقيري، والدكتور حيدر عبد الشافي، واحمد صدقي الدجاني، وحامد ابوسته، والدكتور جورج حبش، واحمد اليماني، ووديع حداد والدكتور انيس الصايغ والمناضل بهجت ابوغربية وغيرهم ممن بقوا على مبادىء البدايات: تحرير فلسطين كل فلسطين، واستعادة الحق عبر كافة اشكال المقاومة.

شفيق الحوت إنسان، والإنسان قد يصاب بالاحباط واليأس في مرحلة ما، لكنه لا يقطع الامل، ويوم جاء انتصار مقاتلي المقاومة اللبنانية في تموز ٢٠٠٦، خرج من حفرة اليأس والاحباط وتيقن أن الكفاح ما زال ممكنا والانتصار الشامل لا ريبة فيه.

تعود معرفتي بالشهيد شفيق الحوت لسنوات بعيدة جدا. التقيته للمرة الاولى عام ١٩٦٦. كنت طفلا في العاشرة من عمري، يوم تظاهرت مجموعة من النسوة الفلسطينيات احتجاجا على اعتقال مجموعة من نشطاء حركة القوميين العرب والاتحاد العام لعمال فلسطين فرع لبنان، وكان والدي احد المعتقلين. وللتأثير على الجمهور اللبناني والصحافة اصطحبن الامهات اولادهن معهن وتظاهرن من مدخل مخيم البراجنة الى مقر منظمة التحريرعلى كورنيش المزرعة. هناك أطل الشهيد مستقبلا النسوة، وكان باديا عليه التأثر نتيجة عجزه عن فعل شيء من اجل الافراج عن المعتقلين. القى «الاستاذ» شفيق الحوت كلمة اذكر مضمونها «اعترفوا - اي الحكومات- بنا كمنظمة لتحرير فلسطين لكنهم يعتقلون من سنحرر بهم فلسطين». بعد هذا اللقاء بأشهر قليلة كان الاستاذ شفيق خطيبا في مخيم البداوي في حفل تأبين عمي الشهيد محمد اليماني الذي استشهد في التاسع عشر من اكتوبر ١٩٦٦ مع مجموعة من منظمة ابطال العودة، التي كانت تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بتمويلها. يومها بكى الاستاذ شفيق الحوت بعدما تقدم منه جدي قائلا «انت اليوم بمثابة ابني محمد الذي استشهد وبمثابة ابني احمد المعتقل في السجون اللبنانية، والذي لم يطلق سراحه للمشاركة في تأبين شقيقه الشهيد. يوم وفاة الشهيد شفيق الحوت، اتصلت بالسيدة بيان معزيا، و قالت لي ما زلت اذكر جدك بالقمباز يوم جاء لزيارة «ابوهادر» في مستشفى الجامعة الامريكية عام ١٩٦٨، مذكرا شفيق بما قاله قبل سنوات بانه بمثابة ابنه ومن الواجب ان ازور ابنائي في حال تعرضهم لأي مكروه.

في أكثر من محطة سياسية أختلف «ابو هادر» مع والدي، لكن يوم اقيم حفل تكريم لابي ماهراليماني بمبادرة من «عصابة الاربعة» المرحوم رفعت النمر، الدكتور انيس الصايغ، الصحافي الدكتور صلاح دباغ، و السيد صالح شبل، كما كان يطلق عليهم الاستاذ شفيق، وبحضور رئيسي الحكومة اللبنانية رشيد الصلح وسليم الحص والصحافي طلال سلمان والكاتب الفلسطيني رشاد ابوشاور والمرحوم فضل شرورو. تحدث الاستاذ شفيق موجها كلامه الى رفيق الدرب: «لو أتيح لي أن ارسم صورة لفلسطين كما هي في وجداني لما رسمت غير صورتك يا ابو ماهر، فليتك تحبني عشرة بالمئة مما احبك.»

عمي شفيق، أحببناك، وسيبقى حبنا لك. من يافا بدأ مشوارك، وسنتسمر في المشوار الى ان نعود، وبالتأكيد سنعود.

---

* عصام اليماني، ناشط فلسطيني مقيم في كند

عاش بطلا عنيدا، ومضى نقيا من كل دنس

ولد شفيق الحوت عام ١٩٣٢ في مدينة يافا في فلسطين، وأنهى دراسته الثانوية من المدرسة العامرية في يافا عام ١٩٤٨؛ حيث أجبر وعائلته على اللجوء إلى لبنان في إبريل/نيسان من نفس العام، ثم التحق بالجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٤٨، وتخرج منها عام ١٩٥٣. كان أحد مؤسسي منظمة التحرير الفلسطينية، وشارك في مؤتمرها التأسيسي الذي عقد في مدينة القدس في الثامن والعشرين من مايو/ايار عام ١٩٦٤، وأصبح عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني حتى وفاته، عُين في أول اجتماع للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا ومديرا لمكتب المنظمة في لبنان، كما انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بين عامي ١٩٦٦ و١٩٦٨، وبين عامي ١٩٩١و ١٩٩٣، وعين ناطقا رسميا باسم منظمة التحرير الفلسطينية في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ العام ١٩٧٤ حتى ١٩٩٢. توفي شفيق الحوت بتاريخ ٢ أغسطس/آب ٢٠٠٩، بعد إصابته بمرض السرطان الذي لم يمهله طويلا.



شفيق الحوت برفقة ابو اياد (المصدر: www.shafiq-alhout.org)

ملف العدد:

العنصرية ضرورة استعمارية

جنود الاحتلال يحتجزون الفلسطينيين ريثما يعبر عدد من المستوطنين أحد شوارع الخليل، حزيران ٢٠٠٧ (تصوير: CPT)

الصهيونية والكفاح ضد معاداة السامية

بقلم: لانس سيلفا*

في شهر أيار من العام ١٩٤٨، أعلن دافيد بن غوريون، أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل؛ عن تأسيس دولة إسرائيل. وعلى الفور؛ شنت قوات الكوماندوز اليهودية في فلسطين ما سمته إسرائيل بـ«حرب استقلالها»، وعندما توصلت إسرائيل إلى توقيع هدنة مع جيوش كل من مصر، إمارة شرق الأردن، وسوريا عام ١٩٤٩؛ كان أكثر من ٧٥٠،٠٠٠ فلسطيني قد أجبروا على الفرار من ديارهم، وأصبحوا لاجئين خارج بلادهم التي أصبحت تسيطر عليها المليشيات اليهودية الصهيونية، وجاء تأسيس دولة إسرائيل تتويجا لحملة طويلة لمدة ٥٠ عاما شنتها الصهيونية السياسية من أجل إقامة دولة يهودية.

ادعى الصهاينة أنهم عبروا عن التوق الجماعي ليهود العالم لـ «التحرر الوطني». وإذا كانت الصهيونية هي حركة للتحرير الوطني، فهي لا مثيل لها بين حركات تحررية أخرى؛ فبدلا من السعي للتحرر من الامبريالية، فهي تحظى بشكل نشط برعاية وتودد القوى الإمبريالية، وبدلا من تحقيق تقرير المصير لشعب فلسطين، قامت بطردهم، وعوضا عن تمثيلها لتطلعات شعبية واسعة في النضال ضد الاضطهاد القومي؛ تدين الصهيونية في أفضل حالات وجودها- إلى حد ليس بقليل- إلى أحداث ما قبيل الحرب العالمية الثانية.

ما هي الصهيونية؟

كانت الصهيونية السياسية عبارة عن عقيدة انطلقت من مقولة عدم التوافق بين اليهود وغير اليهود (الأغيار) وعدم إمكانية العيش معا، وقد تطورت هذه الحركة كرد فعل على تصاعد العنصرية المعادية لليهود في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر، والتي ولدت جوا من اليأس والقهر؛ مما أثار ردودا متعددة في أوساط السكان اليهود؛ وأحد هذه الردود كان القومية. كانت «القومية اليهودية، وعلى وجه الخصوص، شكلها الصهيوني؛ مفهوما جديدا ولد في السياق الاجتماعي - السياسي لأوروبا الشرقية في القرن التاسع عشر».١

وقد تلقت الصهيونية السياسية بيانها الأكثر قوة من «الدولة اليهودية»، الكتيب الصادر عام ١٨٩٦ على يد الصحافي اليهودي النمساوي ثيودور هيرتسل، الذي أعتبر «الأب» للصهيونية السياسية. وكان هيرتسل رجلا كثير الأسفار، قام عام ١٨٩٤ بتغطية محاكمة الكولونيل «البرت درايفوس» في باريس، وهو ضابط عسكري يهودي في الجيش الفرنسي، الذي صورته السلطات العسكرية الفرنسية باعتباره جاسوسا. ويمكن للمرء أن يرى في قضية درايفوس بوصفها مثالا على إمكانية أن يتوحد اليهود وغير اليهود في النضال ضد معاداة السامية؛ ولكن هيرتسل لم يفعل ذلك، كما كتب لاحقا في يومياته: «في باريس... حققت معرفة أكثر تحررا تجاه معاداة السامية، تاريخيا، وقبل كل شئ ادرك عبثية وعدمية محاولة مقاومة اللاسامية».٢

عقد هيرتسل المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في سويسرا عام ١٨٩٧، وفيه فوضه ٢٠٠ مندوب من ١٧ بلدا لتأسيس المنظمة الصهيونية العالمية؛ للقيام بحملة من أجل «وطن قومي لليهود في فلسطين محمي قانونيا، ومعترف به علنا».

الاشتراكية والنضال ضد اللا- سامية

يميل الصهاينة لرواية تاريخ حركتهم على انها الخيار الوحيد لمجابهة اضطهاد اليهود. وفي الحقيقة لم تكن هذه هي الحال؛ فقد كانت هناك حركات اشتراكية نابضة بالحيوية قامت بالدفاع عن اليهود الذين واجهوا القمع، كما قام الاشتراكيون بالإطاحة بالعنصرية المعادية لليهود؛ باعتبارها سموم في الحركة العمالية. وعلى سبيل المثال، «أوغست بيبل»، أحد قادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (SPD)؛ ندد بمعاداة السامية واعتبرها "اشتراكية الحمقى" التي تحرف أنظار العمال عن عدوهم الحقيقي، وهي الطبقة الحاكمة، وتحول أنظارها نحو أكباش فداء يهودية. وكارل كاوتسكي، قائد آخر للحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني؛ طرح بان التفريق بين السكان اليهود إلى طبقات، كان يعني أن وضع اليهود سيكون مرتبطا ارتباطا لا ينفصم عن مجمل حركة الطبقة العاملة؛ وذلك لأن الاشتراكيين شددوا على الحاجة للنضال ضد معاداة السامية في البلدان التي يعيش معظم اليهود فيها، وقد جندت الحركة الاشتراكية أعدادا واسعة من اليهود.

بينت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ ماذا تعنيه الإستراتيجية الاشتراكية لتحرر اليهود في الممارسة الفعلية. ففي بلد كان القيصر وأتباعه يستخدمون اللا - سامية من أجل تفريق العمال؛ جرى بعد الثورة انتخاب عمال روس لتولي مناصب قيادية في الحكومة الثورية من بين البلاشفة اليهود أمثال: تروتسكي، زينوفييف، كامنييف وسفردلوف، كما أعلنت الثورة حرية

يتبع

الاعتقاد، وقامت بإبطال القيود القيصرية على تعليم وإقامة اليهود. وخلال الحرب الأهلية ضد قوى الثورة المضادة في أعوام ١٩١٨-١٩٢٢؛ حيث جرى ذبح آلاف اليهود؛ قام الجيش الثوري الأحمر بالإعلان عن عقوبات صارمة، ومن ضمنها الإعدام، لكل متورط فيها من بين صفوفه.

ومنحت لغة "الإيدش" مكانة مساوية للغات الأخرى في الحكومة العمالية، ومفوضية خاصة تعنى بالشؤون اليهودية داخل الحزب البلشفي؛ والتي عملت في ذات الوقت على إشراك اليهود في شؤون دولة العمال، ومن اجل كسب تأييد الجماهير اليهودية للثورة. وقد شهدت الثورة في سنواتها الأولى ازدهارا للغة "الإيدش" وللحياة الثقافية اليهودية؛ وفي سنوات ١٩٢٦- ١٩٢٧ حضر أكثر من نصف الطلاب اليهود صفوفا بلغة "الإيدش"، فيما قامت عشرة مسارح تابعة للدولة بعرض مسرحيات بـ"الأيدش"، ومع نهاية عام ١٩٢٠؛ كان أكثر من ٤٠٪ من القوى العاملة اليهودية يعملون في وظائف حكومية.٣

مع نهاية سنوات العشرينيات من القرن الماضي، كانت الصهيونية مهمشة من الجوانب كافة، والغالبية العظمى من يهود العالم أعربت عن رغبتها الواضحة في الهجرة إلى البلدان الغربية، وآلاف اليهود الذين ظلوا في أوروبا الشرقية كافحوا من أجل حياة أفضل، وكسبوا التضامن من إخوانهم وأخواتهم غير اليهود، وحتى عام ١٩٢٧؛ غادر فلسطين العديد من اليهود الذين كانوا قد هاجروا إليها سابقا، وأصبح المشروع الصهيوني برمته يعيش في ظلال من الشك.٤

المناشدة للإمبريالية

عندما شرع الصهاينة في حملتهم من أجل وطن قومي يهودي؛ لم يتركوا أية مرفقات أيديولوجية تقف في طريقهم لفلسطين، وفي الواقع؛ خلال السنوات الأولى بعد أن قام هيرتسل بتأسيس المنظمة الصهيونية العالمية؛ ناقش الصهاينة أهدافا بديلة لاستعمارها: أوغندا، أنغولا، شمال أفريقا. وفي عام ١٩٠٣؛ وافق هيرتسل على عرض قدمته الحكومة البريطانية ليقوم اليهود بالاستعمار في أوغندا، وقد اثبت هذا الموقف أنه مثير للجدل في صفوف الصهاينة، وجاءت وفاة هيرتسل في عام ١٩٠٤ لتضع حدا لأي مشاريع استعمارية خارج فلسطين. ومع ذلك؛ فإن نقاش مواقع بديلة للدولة اليهودية يكشف المشروع الصهيوني في ناحيتين: الأولى، أظهر أن الصهيونية السياسية تضع المشروع الاستعماري في المقدمة والاولوية الاولى على قصة ٢٠٠٠ سنة من شوق الشعب اليهودي لـ«العودة» لفلسطين. والثانية، أظهر، ومنذ بدايته؛ أن الصهيونية اعتمدت على رعاية القوى الأوروبية لأهدافها الاستعمارية - الاستيطانية.

لم يخف الصهاينة الأوائل سرا في أنهم يأملون أن تكون الدولة اليهودية كما اطلق عليها هيرتسل: «جزء من متراس أوروبا ضد آسيا، وقاعدة متقدمة للحضارة في مواجهة البربرية».٥ وبذلك كان مؤسسو الصهيونية يفيضون في الولاء للعنصرية الامبريالية ضد ما اعتبروه الـ«شعوب متخلفة» في آسيا وأفريقيا.

عندما يتعلق الأمر بالبحث عن راعي إمبريالي، فإن الصهاينة لا يترددون في التعامل مع أي نظام، ولا يهم إن كان فاسدا أو معاديا للسامية؛ فخلال الحرب العالمية الأولى تزلف الصهاينة للامبريالية البريطانية، آملين أن تكافؤهم بريطانيا بعد هزيمتها للإمبراطورية العثمانية التي كانت تسيطر على فلسطين. وقد حققوا هدفهم بالحصول على وعد بلفور في عام ١٩١٧؛ حيث يعلن وعد بلفور دعم بريطانيا «لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين» تحت الحماية البريطانية.

وقد رأت بريطانيا إلى جانب الصهاينة في الدولة اليهودية حصنا للإمبريالية ضد انتشار البلشفية الشيوعية. ونستون تشرتشل، رئيس الوزراء البريطاني عن حزب المحافظين؛ قام لاحقا بتوضيح الدوافع البريطانية التي تتفق مع توقعات الصهاينة: «إن دولة يهودية تحت حماية التاج البريطاني... ستكون مفيدة من كل الوجوه؛ ولا سيما أنها ستكون منسجمة مع المصالح الحقيقة للإمبراطورية البريطانية».

الصهيونية والمحرقة

يتهم القادة الصهاينة بانتظام كل المنتقدين للقمع الذي تمارسه دولة إسرائيل ضد الفلسطينيين بأنهم «معادون للسامية»، وتشبيههم بالقتلة النازيين لستة ملايين يهودي؛ ويستخدم الصهاينة بوعي هذا النوع من الابتزاز العاطفي لإسكات أية انتقادات للسياسات الإسرائيلية. ومن خلال هجماتهم على مناوئيهم السياسيين؛ قد يعتقد المرء أن الصهاينة يقفون ضد هتلر وضد المحرقة؛ ولكن تاريخ تراخي الصهاينة عن الكفاح وتعاملاتهم مع النازيين؛ يجعل من استخدامهم للمحرقة كسلاح سياسي نوعا من السخرية.

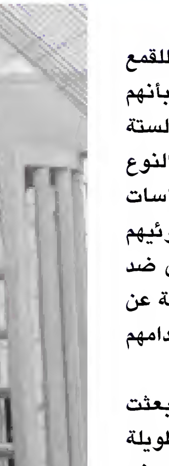
فبعد عدة أشهر من وصول هتلر للسلطة؛ بعثت له المنظمة الصهيونية الألمانية الرائدة مذكرة طويلة تعرض عليه التعاون الرسمي مع النازيين، وجاء في جزء من هذه المذكرة المقززة:

«على ضوء تأسيس الدولة الجديدة التي أسست مبدأ العرق، نود أن نجعل مجتمعنا متناسبا في الهيكل الإجمالي، حيث أنه بالنسبة لنا أيضا، في المجال الملقى على عاتقنا، هو النشاط المثمر من أجل ان يصبح الوطن ممكنا...

ولتحقيق أهدافها العملية؛ تأمل الصهيونية أن تكون قادرة على كسب التعاون حتى من حكومة معادية لليهود في الأساس؛ حيث أنه في التعامل مع المسألة اليهودية لا يوجد دور للعواطف؛ ولكن يوجد مشكلة حقيقة وحلها يهم جميع الشعوب؛ وفي الوقت الراهن، الشعب الألماني بشكل خاص».٦

في ذلك الوقت؛ كان التعاون يعني أن تقوم المنظمات الصهيونية الرائدة بالعمل على تقويض المقاطعة العالمية الواسعة ضد الألمان للاحتجاج على المعاداة النازية للسامية. وعوضا عن ذلك، عملت المنظمة الصهيونية في الوصول لـ«اتفاق نقل» يتم بموجبه إرسال أموال من اليهود الألمان إلى فلسطين لتمويل واردات لداخل ألمانيا. وفي الوقت نفسه؛ قام النازيون بإغلاق ومنع نشاط جميع المنظمات الاشتراكية ومنظمات المقاومة اليهودية، كما قامت باعتقال قادتها؛ ولكن النازيين سمحوا للصهاينة بالعمل، وقد اعترف قائد صهيوني أمريكي بهذا الحرج: «لقد كان هذا التمييز مؤلما للصهيونية بأن تنفرد بالمحسوبية والامتيازات من جانب خصمها الشيطاني [النازي الألماني]».٧

في سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي وخلال الحرب العالمية الثانية؛ وضعت الصهيونية مصالحها في فلسطين في المقدمة، وأعطتها الألوية على النضال ضد معاداة السامية في أوروبا. وخلال بحثها عن حلفاء ضد بريطانيا، قامت مليشيات «الهاغاناه» الصهيونية بإجراء مباحثات من أجل الحصول على دعم جهاز الأمن الخاص الـ SS النازي؛ وفي أحد الاجتماعات السرية الذي عقد في حيفا عام ١٩٣٧؛ أبلغ مندوب الهاغاناة "فافييل بولكس" Faviel Polkes ؛ ممثل جهاز الأمن الخاص النازي الـ SS ؛ أدولف ايخمان بأن "الدوائر القومية اليهودية تشعر بسعادة غامرة من جراء السياسة الألمانية المتشددة؛ لأن ذلك سوف يؤدي إلى ازدياد قوة السكان اليهود" ويجعلها تطغى على الفلسطينيين. ولفترة وجيزة في أواخر الثلاثينيات، سمح النازيون لـ"بولكس" بإقامة معسكرات تجنيد وتدريب للهاغاناة في داخل ألمانيا، ولمرحلة من الوقت كان الدخل الوحيد لـ"بولكس" هو "تمويل سري من الـSS".٨ ولقد أعجب ايخمان بالصهاينة؛ فلاحقا وبعد سنوات من المنفى في الأرجنتين؛ أشار إلى ذلك قائلا: «لقد رأيت ما يكفي لأكون معجبا بالطريقة التي كان المستعمرون اليهود يبنون فيها بلادهم، أعجبت بإرادتهم اليائسة للعيش، والأكثر من ذلك أنني كنت مثاليا، وفي السنوات التي تلت؛ كنت عادة أقول لليهود الذين كنت أتعامل معهم؛ لو كنت يهوديا لكنت صهيونيا متعصبا، ولا أستطيع أن أتخيل نفسي أي شيء آخر، في الواقع؛ كنت سأكون الصهيوني الأكثر تعصبا الذي يمكن تخيله».٩ وهذا هو الرجل الذي أشرف على الحل النهائي لهتلر!



أحد الحواجز العسكرية في الضفة الغربية، تموز ٢٠٠٨ (المصدر: وفا)

وحتى في ذروة المحرقة، وفر زعماء الوكالة اليهودية وقادة الاستيطان في فلسطين قليلا من المساعدة. فقد قال بن غوريون في عام ١٩٤٣: «الكارثة التي تواجه اليهود في أوروبا ليست من أعمالي بشكل مباشر»؛ حيث اعتقد الزعماء الصهاينة بأن النضال في أوروبا يحرفهم عن مهمتهم الرئيسية، وهي بناء الدولة اليهودية في فلسطين، وقد رفض رئيس لجنة الوكالة اليهودية تحويل أموال من صندوق الوكالة اليهودية من فلسطين؛ من أجل إنقاذ يهود أوروبا، حيث قال اسحق غروينبوم – Yitzhak Gruebaum: "سوف يقولون أنني معاد للسامية؛ لأنني لا أريد أن أحافظ على المنفى، ولأنني لا أملك قلبا يهوديا دافئا"؛ وذلك في اجتماع للوكالة اليهودية عام ١٩٤٣، وأضاف: "دعهم يقولون ما يريدون، لن أطلب من الوكالة اليهودية أن تخصص ما مجموعه ٣٠٠،٠٠٠ أو ١٠٠،٠٠٠ جنيه إسترليني لمساعدة يهود أوروبا، وأعتقد بأن أيا كان الذي يطلب مثل هذه الأشياء؛ فإنه يقوم بفعل معاد للصهيونية". وقد صرفت الوكالة خلال الحرب أموالا من أجل الاستحواذ على الأراضي في فلسطين أكثر بكثير مما عملت من اجل عمليات إنقاذ.١٠

خلاصة

بدون المحرقة النازية، على الأرجح أن دولة إسرائيل لم تكن قد تأسست؛ حيث جند الصهاينة المهاجرين إلى دولة إسرائيل من بين آلاف الناجين من المحرقة التي دمرت مجتمعاتهم في أوروبا؛ وربما أكثر أهمية، هو أن المحرقة وفرت تبريرا مقنعا لوجود دولة يهودية، فقد جادل الصهاينة بأن المحرقة برهنت على أن غير اليهود معادين للسامية بطبيعتهم؛ وبالتالي؛ فإن اليهود الذين يعيشون في مجتمعات غريبة واجهوا خطر الإبادة. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية؛ وافق معظم اليهود على الصهيونية. وما هو أكثر من ذلك، فإن قيام النازيين بالتصفية الجسدية للتيارات السياسية البديلة في أوساط اليهود قد زاد من الدعم للصهيونية، فقد أصبحت الصهيونية هي اللاعب الوحيد داخل المجتمعات اليهودية، وذلك بعد أن قام النازيون ومن خلال مساومات عن طيب خاطر مع الزعماء الصهاينة في الثلاثينات والأربعينات؛ قاموا بالتأكد من قتل كل شيوعي، اشتراكي أو مناضل في المقاومة اليهودية استطاعت أيديهم أن تصل إليه.١١

للتاريخ الملوث للصهيونية وعلاقتها بمعاداة السامية مضامين مهمة في الكفاح من التحرير والحقوق الفلسطينية؛ حيث ينبغي فضح المظهر المخادع الذي تقوم الحركة الصهيونية من خلاله بالمساواة بين مصالحها الخاصة ومصير الشعب اليهودي. لقد تخلت الصهيونية عن الكفاح من اجل إنهاء معاداة السامية، وحولت أفكارها الخاصة بالعنصرية والإيديولوجيات إلى نظام شبيه بالفصل العنصري، مثل إقامة «دولة يهودية» في فلسطين التاريخية. في مقابل ذلك، تضع حركة التحرر الفلسطينية نفسها في تاريخ الكفاح ضد الامبريالية والعنصرية، بما يشمل اللاسامية، في الوقت الذي تقاتل فيه من اجل دولة ديمقراطية-علمانية.

هوامش

١ ن. وينستوك: «الصهيونية: مسيح دجال» ص٣٢
N. Weinstock, Zionism: False Messiah, op. cit., p. 32.

٢ يوميات ثيودور هيرتسل، ص ٦.
Theodore Herzl, The Diaries of Theodore Herzl (Dial Press, New York, 1956), p. 6.

٣ وينستوك، المرجع في حاشية رقم ١، ص١٥-١٨
N. Weinstock, Zionism: False Messiah, op. cit., p. 15-18

4 Phil Marshall, Intifada (Bookmarks, London, 1989), p. 37.

٥ تم اقتباسها في مكسيم رودنسون، "إسرائيل والعرب»، ص ١٤.
Quoted in Maxime Rodinson, Israel and the Arabs (Penguin Books, Harmond - worth, England, 1973), p. 14.

٦ ل.برينر، "الصهيونية في عهد الطغاة» ص ص ٤٨-٤٩.
L. Brenner, Zionism in the Age of the Dictators, Op. Cit., pp.48-49.

٧ المرجع السابق، ص ٨٥. Ibid., p85

٨ كريستوفر سيمبسون، "ضربة للخلف»، ص ٢٥٣.
Christopher Simpson, Blowback (Collier Books, New York, 1988), p.253.

٩ تم اقتباس ايخمان في ل.برينر، المرجع السابق في حاشية رقم ٦ أعلاه، ص ٩٨.
Eichmann quoted in Lenni Brenner, Zio - ism in the Age of the Dictators, Op. Cit., p.98.

١٠ تم اقتباس بن غوريون في توم سيغف: "المليون السابع»، ص ٩٨، وكذلك اقتباس غريونبوم ومقارنة مصروفات الوكالة اليهودية في سيغف، ص ١٠٢.
Ben-Gurion quoted in Tom Segev, The Seventh Million (New York: Hill and Wang, ١٩٩٣), p.٩٨. Gruenbaum quote and comparison of Jewish Agency spending in Segev, p.١٠٢.

١١ في هذا القول، لا أعني التقليل من إصرار هتلر على قتل جميع اليهود بصرف النظر عن معتقداتهم السياسية، ولكن من المهم أن نفهم النظام النازي بمفاهيم طبقية. فقبل وقت طويل من التوصية بالخطط لـ"الحل النهائي"؛ قام النازيون بسحق الطبقة العاملة والمعارضة الاشتراكية، ومعسكرات التجميع الأولى تم إعدادها للشيوعيين والنشطاء النقابيين، وقد فهم النازيون أن الطبقة العامة تريد السلطة للقضاء عليهم، ولهذا السبب قام النازيون بسحق مقاومة الطبقة العاملة بدون رحمة. وفقط بعد سحق المعارضة لحكمهم، تمكن النازيون الشروع في الحرب وتنفيذ الإبادة.

* لانس سيلفا هو محرر كتاب «النضال من اجل فلسطين»، ومؤلف كتاب «الديمقراطيون: التاريخ النقدي»، وهو ايضاً من هيئة تحرير مراجعة الاشتراكية الدولية www.isreview.org حيث نشرت نسخة مطولة من هذه المقالة.

منابع التصورات العنصرية

عـلاء م. العـزة*

إن التأصيل الفكري للتصورات العنصرية كعمارة اجتماعية- (social co struct) يتطلب منا إعادة قراءة التاريخ الفلسفي-الثقافي لهذه التصورات ضمن الزمان والمكان التي نشات فيهما، من اجل تجاوز التوصيفات اللاتاريخية حول الاختلاف، الآخر، الذات..الخ، والابتعاد عن التصورات الاختزالية التي تقوم على تعليلات غير مبررة حول الاختلاف والغيرية وكانها معطى أزلي في التاريخ البشري. تقوم النظرة الاختزالية بسحب التصورات حول الآخر والغير على نشوء الأفكار العنصرية، فيقوم البعض بالاستشهاد بروما وآخرها البرابرة، أو بامثلة الجماعة المؤمنة وآخرها غير المؤمنين، وكانهم يبررون التصورات العنصرية كمعطى لا تاريخي، أو بنيوي أصيل في انساق التفكير البشري. رغم القبول بان الغيرية والاختلاف هي إحدى أهم العناصر المشكلة للهوية عند الجماعات، إلا أننا يجب أن نكون حذرين من سحبها على التصورات العنصرية لما يحمله ذلك من خطا منهجي ومعرفي.

إن التعريف العام للعنصرية يقول بانها أي تصور فكري ينطلق من الاعتقاد بتفوق مجموعة بشرية على غيرها ثقافياً وحضارياً بناءاً على الاختلاف الجسماني كاللون والشكل أو ما يوصف ب "العرق Race"، أي انه الاعتقاد بإمكانية تفسير الاختلافات الثقافية بين البشر من خلال إرجاعها إلى أسباب بيولوجية، اصلانية، موروثة وخارجه عن سيطرة الإنسان. ويعتمد هذا التفكير على اعتبار الأفراد المنتمين إلى عرق معين اقل ذكاء أو اقل بشرية من الآخرين. كما وينبثق عن هذا الاعتقاد أشكال مماسسة ومنتظمة من التمييز والاضطهاد ضد أبناء المجموعات "العرقية" الأخرى. بالمقابل، يحمل أصحاب التصورات العنصرية شعورا بالأحقية واللاضير في ممارسة التمييز والاضطهاد ضد الآخرين. وقد حفل القرنان التاسع عشر والعشرين بسلسلة طويلة من الظواهر والتجليات التاريخية المرتبطة بشكل مباشر مع التصورات العنصرية كالعبودية، الاستعمار، التطهير العرقي، الهلوكوست، والابارتهايد. كما لا تزال هذه التصورات مصدر الهام لممارسات إجرامية ترتكب ضد الكثير من الشعوب اليوم.

قبل الدخول في التاريخ الثقافي، والاجتماعي- الاقتصادي ، والسياسي الذي أنتج التصورات العنصرية لابد لنا من توضيح الاشتقاق اللغوي للتعبير؛ لما في ذلك من أهمية لاختلاف التقاليد اللغوية التي أنتجت العنصرية عن التقاليد اللغوية العربية، ففي العربية تشتق الكلمة من عنصر بمعنى الأصل والحسب. أما مصطلح "عنصرية" فنقل من الكلمة الانجليزية "Racism" بحيث تتكون الكلمة من جزأين: الأول "Race" وترجم إلى العربية بمعني عرق أو سلالة بشرية، والثاني فهو الخاتمة اللغوية ism. وتعبير "Race" قريب في معناه الأولي من الترجمة "عنصر" أي الأصل الواحد والمشترك، حتى أن البعض يعتقد أن الكلمة من الأصل العربي "رأس". أما التابعة اللغوية ism فمعناها هنا الاعتقاد، بالتالي تصبح الكلمة "الاعتقاد بفكر العرقية أو وجود السلالات البشرية المختلفة والجسمانية الشكلية كمدخل لفهم الاختلاف الثقافي". وقد دخل التعبير إلى اللغة الانجليزية بمعناه السلبي في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي أي مع وصول النازية إلى الحكم.

للتأصيل للفكر العنصري، سوف أسلط الضوء على بعدين أساسيين: الأول هو الحداثة والعلم أي المجال الفكري والفلسفي في أوروبا القرن التاسع عشر، أما الثاني فيتعلق بالبنية الاقتصادية-السياسية أي الرأسمالية والظواهر المنبثقة عنها.

الحداثة والعلم:

إن احد أهم المنطلقات الفكرية للعنصرية كانت النظريات العلمية المنتجة في القرن التاسع عشر، ومنها تقسيم الجنس البشري إلى أعراق بيولوجية مختلفة كطريقة لتحليل الاختلافات السلوكية والثقافية. ويعتبر توظيف نظرية التطور أولى النظريات التي تم استخدامها من قبل الفلاسفة والانثروبولوجين في عمليات التصنيف العرقية. جادل "تشارلز داروين" (في كتاب أصل الأنواع) أن التطور البيولوجي للأنواع الحية ياتي نتيجة الانتخاب الطبيعي مما يمكن نوعاً معيناً من البقاء والاستمرار بينما تنقرض الأصناف الأخرى. بناء على هذا التصور قام "هيربرت سبنسر" بنحت فكرة "البقاء للأصلح" التي اعتمد عليها من لحقه من المفكرين في بناء التصورات الداروينية الاجتماعية والتي تقوم على فكرة تفوق جماعة ثقافية واجتماعية على أخرى بناء على صلاحها وقدرتها على البقاء وسيطرتها على الطبيعة. وقد تعقدت هذه الفرضيات من استمرار عمليات التصنيف للجنس البشري إلى أعراق، حيث أخذت التصورات العنصرية تعتمد في بنائها على السلطة العلمية للعلم. كما أصبح التصور عن الفروق الجسمانية احد الأدوات المنهجية في التقسيم العرقي مدخلا من اجل تبرير تقسيم العالم إلى بشر أو أشباه بشر وغير بشر. ففي التصور الذي اعتمد النظرية التطورية بشكل تبسيطي وخطي، اعتقد وآمن بأن الأوربيين هم أعلى الأعراق في سلم التطور البيولوجي والحضاري، بينما تنتمي الأعراق الأخرى إلى رتبة اقل وبعضها اقرب إلى الحيوان منها إلى الإنسان. منذ ذلك الوقت، أخذ الفكر التطوري يدخل أكثر فاكثر في عمليات التفسير الانثربولوجي للثقافة والتحولات الثقافية، حيث اعتمد "لويس هنري مورجان" على التصورات التطورية من اجل تقسيم التاريخ البشري إلى مراحل، كما اعتمد "فريدريك انجلز" في فهمه للتاريخ على "مورجان" (في كتابه أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة). أيضا بنى "إيمانويل كانت" (احد رموز التنوير والحداثة الغربية) تصورات قريبة في فلسفته حول البشرية والأعراق المختلفة. أما "هيجل"، فضمن الكثير من الرؤى التطورية في قراءته للتاريخ. كما اعتمد الفكر الماركسي -التبسيطيون من مفكريه- على الحتمية التطورية للمجتمع البشري بصورة خطية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفكر التطوري والتقسيم العرقي ارتبطا مباشرة بمرحلة الحداثة الفلسفية التي اعتمدت في الأصل على التخلص من الرؤى الميتافيزيقة (اي الأصل الواحد للبشرية والنزول من الجنة كما في الديانات الإبراهيمية) واستبدالها بالعلم الطبيعي -الفيزيائي- كاداة لتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية. كما أنها أعطت العلاقة بين الإنسان والطبيعة بعدا أساسيا يقوم عليه التطور وهو قدرة الإنسان علي السيطرة على الطبيعة والذي أصبح المعيار لقياس مدى التطور. بالتالي، أصبح الأوروبي يعرقن الآخرين -أي يصنف البشرية على أساس العرق- في هرمية تعتمد تفوقه ونظرته المتمركزة حول الذات في الاجتماع والتاريخ وتفسير السلوك والثقافة.

الرأسمالية،القوميات، التوسع الاستعماري:

لا يمكن فصل الرأسمالية كنمط إنتاج ومرحلة تاريخية عن نشوء الأفكار المبنية على العرقية ونشوء القوميات-العرقية/الاثنية. رغم أن "ميشيل فوكو" يؤرخ لاستخدام فكرة وخطاب الأصل الواحد كوسيلة رئيسية من قبل البرجوازية الصاعدة -في الثورة الانجليزية والفرنسية- لمحاربة الملكية المطلقة والنبلاء، إلا أن هذا الخطاب الخاص سرعان ما توحد مع التصورات "العلمية" وبداية إنتاج أفكار انتماء الشعب إلى أصل واحد والإيمان بالتفوق على الشعوب الأخرى. وقد قاد هذا الاتجاه الفكري إلى نشوء القوميات- الاثنية التي تعتقد باصل واحد لشعب ما، وبالتالي تحولت العنصرية من منظومة أفكار علمية الطابع وفلسفية إلى إيديولوجيا (معرفياً علينا أن نفرق هنا بين العرق كتصوير بيولوجي وبين الأصل لشعب ما أي التفريق بين Race and folk).

لقد وجدت الرأسمالية الأوربية ضالتها في الخطاب العنصري-الاعراقي عندما تحولت إلى استعمار ثلاثة أرباع العالم. فبهذا الخطاب لم تجد ضيراً في عملية القهر والاستبداد والتطهير العرقي والقتل الجماعي للملايين من البشر كونهم ليسوا بشراً، أو أنهم بشر لكنهم غير متساوين مع الأوروبيين. في أحسن الأحوال تعامل الاستعمار مع الشعوب كمتخلفين ثقافيا امتداداً لتخلفهم البيولوجي، ولناخذ مثلاً نظرية "عبء الرجل الأبيض" والقائلة بمسؤولية الرجل الأبيض (عرق/طبيعة) عن تمدين (ثقافة/بيئة) الأعراق الأخرى، وهنا نرى الخلط والربط بين العرق ومفهوم الثقافة، بحيث يصبح التمييز بينهما صعبا خاصة عندما يصاغان ضمن تصور إيديولوجي. وهنا لا بد من التذكير أن النازية الألمانية إحدى أعلى تجليات التصورات العنصرية-الاعراقية والتي راح ضحيتها ملايين البشر، إلا انه كما لا يمكن فصل العلم عن الرأسمالية والاستعمار ونشوء القوميات، لا بد من التذكير أن مدى القتل الذي حصل في القرن العشرين زاد باضطراد مع التطور التكنولوجي لأدوات القتل.

لقد طالعنا العلم في نهاية القرن الماضي بعلم الجينات ،وقد حاول الأيدلوجيين العنصرين في جنوب أفريقيا والصهاينة الاستفادة من هذا العلم لإنتاج أسلحة عرقية) أي تستهدف عرقاً بعينه (إلا أنهم فشلوا في ذلك ،فقد أثبتت كل الأبحاث الحديثة أن نظريات الاختلاف الجيني بين الأعراق غير صحيحة .وان أي تصور قائم على العنصرية هو تصور باطل معرفياً وعلمياً بل هو جريمة ضد الإنسانية.

لإجمال ما سبق، إن التصورات العنصرية هي صناعة اجتماعية ونتاج للبنى الاقتصادية – السياسية، أي الرأسمالية والاستعمار والثقافية-الفلسفية بما فيها العلم والتنوير المنتج من أوروبا في القرن الثامن والتاسع عشر. وهنا لابد من توضيح انه وعلى الرغم من أن اليهود كانوا من الضحايا الرئيسيين للتصورات العنصرية الأوروبية البيضاء، إلا أن الحركة الصهيونية استدخلت التفكير العنصري من حيث نظرتها إلى وتصويرها للجماعات اليهودية كعرقية/ اثنية واحدة صافية الأصل بيولوجياً، كما رأت نفسها حصنا أوروبيا ابيض في مواجه الثقافة العربية التي تعتبر دونية في التصور الاستشراقي الغربي، بحيث أنتجت نفس التصورات العنصرية في تصوير الثقافة العربية، إضافة إلى دورها في الاستعمار كممارسة مباشرة ورأس حربة للدول الامبريالية، بالتالي تعتبر الصهيونية نموذج حي على الأصول الفكرية والممارساتية للفكر العنصري.



المستوطنون يعتدون على أراضي الفلسطينيين تحت حماية جنود الاحتلال، قرية الطيواني، الخليل، أيار ٢٠٠٨ (تصوير: CPT)

* عـلاء م. العزة، محاضر في الانثربولوجيا وعلم الاجتماع في جامعتي بيرزيت وبيت لحم.

كيف "تعنصرت" الصهيونية

بقلم: د. هجو ج. ماير*

الثورة، نابليون والإنعتاق: إذا أردنا أن نفهم لماذا ظهرت الأيديولوجية الصهيونية إلى حيز الوجود أساسا، وكيف اتخذت الشكل الذي تجسدت فيه في دولة إسرائيل في الوقت الحاضر؛ يجب علينا أن نركز أولا على تاريخ القرن التاسع عشر الذي كان غاية في النشاط. فالعنصر الأول الذي لولاه لاستحال تحقق الصهيونية؛ ألا وهو وجود معاداة اليهود ومعاداة السامية في العالم المسيحي الغربي منذ القرن الثالث عشر على الأقل. وقبل أن تتكلل الثورة الفرنسية بنجاح وتنتشر أفكارها في جميع أنحاء أوروبا– من خلال نجاح الحملات الأولى لنابليون في احتلال أجزاء واسعة من أوروبا – كانت معاداة اليهود مستندة إلى حجج لاهوتية في المقام الأول؛ وحتى ذلك الوقت، كانت المهن الرئيسية التي سمح لليهود بأدائها هي الاستثمار المالي والبيع الجوال/المتجول. ولكن نابليون الذي كان مؤمنا حقا بأفكار الثورة، وبالتالي قام بنشر فكرة انعتاق اليهود؛ ومن خلال ذلك، أصبحت مهن جديدة متاحة لليهود في معظم بلدان أوروبا خلال القرن التاسع عشر. بروز هؤلاء المنافسين الجدد في النشاط الاقتصادي، حيث لم يكن اليهود حاضرين في السوق حتى ذلك الوقت، أدى إلى ظهور مشاعر عدم اليقين الاقتصادي في أوساط أولئك الذين شعروا بالتهديد من القادمين الجدد، وهذه المشاعر بدورها، قد تؤدي إلى الخوف من تغيير أسلوب الحياة، وبالتالي تتحول لمشاعر كراهية نحو الذين تسببوا في هذا الخوف، وهم اليهود. لذلك، منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا وصاعدا؛ أصبحت الحجج الاقتصادية بالتدريج أكبر أهمية في تعزيز المشاعر السلبية تجاه اليهود وحتى كراهيتهم.

القومية والحروب النابليونية: تجاوز التأثير الكبير لنابليون على تاريخ أوروبا أبعد بكثير من فكرة انعتاق اليهود. وفي الواقع، ونظرا لقيام فرنسا باحتلال وغزو أجزاء من أوروبا؛ ظهرت في العديد من البلدان الأوروبية مشاعر جديدة في أشكال أكثر تطرفا، وهي القومية[1]، ومعها ولدت فكرة القرن التاسع وهي الدولة القومية. ولم تعنِ القومية المولودة حديثا بأن كل مواطن يمكن استدعاؤه للدفاع عن حدود الدولة الذي هو من رعاياها فحسب؛ بل تم طرح مفهوم جديد، وهو مفهوم العرق؛ وكان على هذا المفهوم أن يذهب بعيدا في تاريخ المنطقة وطبيعتها، اللغة والعرق الذي ينتمي له السكان الأوائل. جلب هذا إلى الوجود قدرا لا بأس به من كراهية الأجانب في كل مكان تقريبا، وانتشرت شعارات مثل: فرنسا للفرنسيين، ألمانيا للألمان، وحتى شعار مثل بريطانيا للبريطانيين كان يتردد بين الحين والآخر، هذا على الرغم من كون الشعار الأخير متناقض ومثير للجدل أكثر من غيره، بسبب الطبيعة المختلطة جدا لسكان الجزر البريطانية منذ تاريخ مبكر.

حقول جديدة للأبحاث العلمية: إلى جانب تأثير الثورة الفرنسية، انطلقت قبل نهاية القرن الثامن عشر حركة نشطة جدا في مجال البحوث العلمية المؤثرة والنشطة جدا، واشتملت على حقول علم الأحياء، وعلم الإنسان وفقه اللغة. وجميع الحقول الثلاثة، وإن كان ذلك من خلال تفسيرات مأساوية لأفكار علمية قيمة جديدة؛ كان لها تداعيات اجتماعية غير متوقعة في نهاية القرن التاسع عشر.

حيث قاد الحقلان الأولان، علم الأحياء وعلم الإنسان؛ في النهاية إلى نظرة علمية لمختلف الأجناس البشرية، وإلى دراسة أهم الاختلافات بين تكوينهم الداخلي (التشريح) وملامحهم الخارجية (المظهر)، وقاد ذلك في النهاية؛ إلى ارتكاب خطأ قاتل، من خلال الربط بين هذه الاختلافات باختلافات في السلوك (علم النفس) والشخصية. وبهذه الطريقة، تم ربط الأجناس البشرية (الأعراق) «علميا» بتصنيفات عن وجود أجناس متفوقة (أو عليا) وأخرى أقل درجة أو دونية. وبهذه الطريقة؛ فإن الاستعمار الذي كان موجودا بالفعل منذ نهاية القرن الخامس عشر، قد حصل على دعامات واهية باسم «العلم»، وبالتالي، كان من الممكن استغلال البشر الآخرين من قبل العنصر الأبيض بدون أي أثر لمشاعر الذنب.

وفي الحقل الثالث من دروب العلم التي تقدم ذكرها، والتي أنتجت اكتشافات في غاية الأهمية منذ نهاية القرن الثامن عشر في مجال فقه اللغويات. ومن أجل هدفنا هنا؛ علينا التركيز على أحد الفروع البارزة في هذا الحقل؛ وهو الاكتشاف والتحليل العميق لمجموعة اللغات الهندو– فارسية، هذه المجموعة وفقا للكلمة القديمة إيرانية، أي الآرية، تسمى أيضا مجموعة (عائلة) اللغات الآرية. وتم تأكيد وجود هذه المجموعة من وجهة نظر علمية راسخة، وتنبع أهميتها من حقيقة أن معظم اللغات الأوروبية الموجودة حتى اليوم، ومن ضمنها اللغات «الكلتية» Celtic المنتمية لهذه المجموعة. والاستثناءات الأكثر أهمية هي اللغات الفنلندية، الهنغارية ولغة الباسك. وكان هناك اعتقاد عام لدى فقهاء اللغة، ولكنه أقل عمقا من الناحية العلمية؛ بأن السنسكريتية الشبيهة جدا بالإيرانية المبكرة، هي العضو الأول في مجموعة اللغات الآرية. وهنا مرة ثانية، تم ارتكاب خطأ فادح ومأساوي؛ من خلال الاعتقاد بأن اللغة الإيرانية الأولى كانت محكية من قبل أناس ينتمون لعرق واحد، هو في الحقيقة، الجنس الآري. والنتيجة الإجمالية لهذا الهراء، جرى التعبير عنها بسهولة من خلال النظر للجزر البريطانية، حيث يتحدث الجميع اللغة الانجليزية، ولكن قد يكون



أحد الحواجز العسكرية في الضفة الغربية، تموز ٢٠٠٨ (تصوير: نتالي بوردو)

لهم أجداد تحدثوا الكلتية، أي الويلزية، الاسكوتلندية، والبريتونية، وأيضا قد يكونوا جرمانيين، أي انجليز (آنجلو) وساكسون. وبسبب تأثير المسيحية في أوروبا، كان هناك تقليد سائد؛ بأن اللغة الأقدم على وجه الأرض قد تكون اللغة العبرية، وهي اللغة التي تنتمي إلى عائلة لغوية مختلفة تماما هي عائلة اللغات السامية. وعليه، تم اختلاق أسطورة العرق الآري الذي سيكون مناظرا للعرق السامي، وتم اعتبار اليهود منتمين للعرق الأخير. ونحن نعلم الآن أن هذا هراء محض، وأن اليهود مختلطين للغاية من الناحية الوراثية. فالبنسبة ليهود أوروبا الشرقية كانوا على الأغلب يظهرون أن أصولهم تعود بشكل رئيسي إلى شعب الخزر التي لم تعد موجودة، وهو شعب قريب عرقيا من الأتراك، كان قد استقر في منطقة واسعة شمال–غرب بحر قزوين. أما بالنسبة لليهود من شبه جزيرة ايبريا؛ فيبدو أن أصولهم العرقية تعود إلى البربر.

وباء معاداة السامية: هذه الأخطاء القاتلة تم استخدامها في المقام الأول لدعم مزاعم زائفة علميا لتبرير الأحكام المسبقة المتحيزة - أو الكراهية ضد اليهود؛ فقد انتشرت في حقبة ما بعد الثورة الفرنسية الحجج اللاهوتية المحضة التي يمكنها إقناع الناس بأن اليهود من درجة وضيعة؛ وجرى استخدام تلك الحجج بنجاح لدعم موجة غاضبة ومسمومة من معاداة السامية، في العديد من البلدان الأوروبية خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر. وهذه كانت فكرة جديدة مختلفة عن معاداة اليهود، حيث تم تقديمها للمرة الأولى عام ١٨٧٩؛ هذا الغضب لم يؤثر فقط على كل من روسيا، النمسا وألمانيا، بل أيضا، وبما ينطوي عليه من تناقض، أثر بطريقة فظيعة في فرنسا، البلاد التي خرجت بفكرة انعتاق اليهود؛ حيث الحادثة الصعبة المعادية للسامية، والتي استمرت منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٠٦، وهزت في حينها فرنسا وأجزاء واسعة من أوروبا، والتي سميت بقضية «درايفوس»؛ نسبة إلى «الفرد درايفوس»، الضابط اليهودي في رئاسة الأركان الفرنسية، والذي جرى اتهامه بناء على أوراق مزورة بأنه جاسوس لصالح ألمانيا.

ولا زالت تداعيات وآثار هذا التزوير محسوسة كل يوم في عصرنا هذا. فالحقيقة هي أن فكرة وجود منظمة صهيونية عالمية ولدت في البداية في شخص واحد، وهو ثيودور هرتسل، الذي كان صحفيا من فيينا، وأقام في فرنسا من اجل تقديم تقارير حول هذه العملية الشهيرة. ومع أنه كان عميق الفهم ويعرف القليل عن الديانة اليهودية، فقد روعته موجة معاداة السامية التي اجتاحت فرنسا، وهكذا؛ وبدون الكثير من المعرفة، بدأ في التفكير حول ما يمكن أن يكون سبب هذه المعاداة الرهيبة للسامية، وبعد ذلك خرج بهذه الفكرة المجنونة تماما، وهي أن هذه اللعنة ناجمة عن حقيقة أن اليهود عاشوا في جميع بلدان العالم تقريبا، وليس لهم بلاد تخصهم؛ وهذا يعني أنه تأثر بشكل عميق بالأفكار السيئة في أواخر القرن التاسع عشر، وهي: القومية، الاستعمار والعنصرية؛ حيث اعتقد أن دولة خاصة باليهود من شأنها أن تحل مسألة معاداة السامية. وكم تبدو هذه الفكرة خاطئة تماما عند النظر لحقيقة وجود دولة كبيرة للشعب الصيني، تسمى الصين، ولكنها لم تمنع وقوع مذابح ضد التجار الصينيين في إندونيسيا بعد الحرب العالمية الثانية.

شعب الله المختار وأرض الميعاد: لقد كانت مصادفة محزنة جدا أن العديد من الأفكار السيئة لأواخر القرن التاسع عشر تلاءمت جيدا مع الصورة التي تطرحها بعض الأجزاء الكارهة للأجانب في العهد القديم حول ما يسمى بالشعب اليهودي، وفي الواقع، وخلال المؤتمر الصهيوني الأول في بازل، حيث قدمت أفكار اليهود التقليديين الروس والتي كانت شبيهة بأفكار هرتسل؛ وبالمقارنة مع أفكار هرتسل؛ كانت أفكارهم مستندة حول ما جاء في التوراة، عن اليهود وعن دورهم بوصفهم شعب الله المختار. كان هناك اختلاف آخر بين أفكار هيرتسل وأفكار اليهود الروس، فالنسبة لهم كانت هناك بلاد وحيدة يمكن اعتبارها بلاد اليهود الجديدة، وهي فلسطين؛ لأنها البلاد التي وعد الله بها اليهود وفقا للتوراة؛ لكن هيرتسل كان قد اقترح جديا إمكانية تأسيس دولة يهودية في مكان ما في كينيا/أفريقيا، وهو عرض قدم له من قبل الحكومة البريطانية عام ١٩٠٣. ومع التأثير الكبير لليهود التقليديين الروس؛ جرى بسرعة استبعاد جميع الاقتراحات بإقامة الدولة اليهودية في أي مكان آخر غير فلسطين. وبهذه الطريقة، فإن أفكار هرتسل السيئة من القرن التاسع عشر تم تعزيزها بقوة بأفكار كراهية وقومية متشددة من العهد القديم، والتي يمكن العثور عليها في «سفر يشوع» كمثال.

الصهيونية المسيحية الأصولية: مع كل الأسف؛ فإن هذا التضخيم لأفكار نهاية القرن التاسع عشر من خلال أفكار قديمة جدا، وعلى الأقل أفكار «سيئة» من التوراة سيكون له جولة مد أخرى، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية؛ ومن خلال أفكار ونشاطات الصهاينة المسيحيين الأمريكيين، الذين اعتمدوا على تفسيرات معينة لتشريعات في «سفر الرؤيا» من العهد الجديد، حيث أصبح الصهاينة الأكثر تشددا وتعصبا؛ ويقومون هذه الأيام بإرسال كميات كبيرة من الأموال لإسرائيل؛ بهدف دعم المستوطنين التوسعيين الأكثر عدوانية في الأرض الفلسطينية المحتلة، ويقوم هؤلاء المستوطنون بدورهم في تنفيذ المذابح ضد الفلسطينيين والتضييق عليهم، بينما يبررون أعمالهم مستشهدين بنصوص من العهد القديم. وبهذه الطريقة الغريبة؛ يجري توحيد الأفكار السيئة للقرن التاسع عشر، مع نصوص سيئة في العهدين القديم والجديد؛ من قبل هؤلاء العدائيين المتعصبين من المستوطنين الصهاينة، والمدعومين بأموال الأصولية المسيحية، الذين يقومون بالاعتداءات والمذابح ضد المواطنين الفلسطينيين.

هوامش:

١ الكلمات التي تحتها خط هي العناصر السيئة الرئيسية التي تستند إليها الصهيونية.

* هجو ماير، احد الناجين من معسكر «اوشفيتز»، يقيم في هولندا ويعمل كاتباً وإعلاميا. وهو احد أعضاء مجلس ادارة المجموعة الهولندية «صوت يهودي مختلف»، جزء من ائتلاف اليهود الأوروبيين لإقامة سلام عادل في فلسطين. مؤلف كتاب «نهاية اليهودية» الذي ترجم مؤخراً الى اللغة الانجليزية.

صدر حديثاً عن بديل

سد فجوات الحماية الدولية: الدليل الخاص بحماية اللاجئين الفلسطينيين، الحماية في الدول الموقعة على الاتفاقية الدولية الخاصة بوضع اللاجئين لعام ١٩٥١

يعرض هذا الدليل الظروف التي أدت إلى خروج الفلسطينيين من أرضهم، بالوقوف على أهم المحطات التاريخية المتصلة بعمليات تهجير الفلسطينيين، كما يتناول الآليات الدولية التي وضعت لتوفير الحماية الدولية والمساعدة الإنسانية لهم. ويشرح الدليل «فجوات الحماية» التي ظهرت في ممارسات الدول، ويسوق اقتراحات عملية مبنية على القواعد المعترف بها لسد هذه الفجوات. ويعتبر هذا الدليل مادة ضرورية، ومرجعا لا بد منه لكل من له علاقة أو كان مهتما بقضية اللاجئين الفلسطينيين، سواء كان على المستوى الفردي، أو كان معنيا بالتوصل إلى الحل السياسي الدائم، والذي طال انتظاره.

مما لا شك فيه، أن أهمية كتابة مثل هذا الدليل تنبع من الحاجة لتسليط الضوء على فشل المجتمع الدولي في إيجاد حل سياسي دائم يقوم أساسا على تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة. وهذا الفشل العام، ليس إلا تلخيصا موجزا لسلسة من الإخفاقات الأخرى للمجتمع الدولي. ففيما يخص الوضع القانوني للاجئين الفلسطينيين، والحماية الدولية المقررة لهم، يمكن القول أن المجتمع الدولي قد فشل في الاضطلاع بمسؤولياته حيالهما نتيجة لعدم التناسق ما بين النصوص ذات الصلة، وسوء التفسير (والذي أحياناً ما يكون مؤسسا على أسباب سياسية) وأحياناً، بسبب القراءات الأكاديمية الفجة وغير المتعمقة. وواقع الأمر، انه لم يعد بالإمكان اليوم، الوثوق بحسن نية الدول في تفسير و/أو تطبيق نصوص القانون الدولي ولا الاعتماد على ذلك في تحديد الالتزامات الدولية المترتبة عليها.

جاي س. جودوين جيل
كلية أول سولز، أكسفورد

ما هو المطلوب، تعريف الصهيونية أم مواجهتها عمليا؟

بقلم: ميخائيل وارشوفسكي*

لا يستطيع المرء الحديث عن الصهيونية ومنتجها (إسرائيل)، أو تحليلهما، بينما يتهرب من صميم جوهرهما، وهو الاستعمار. وبصرف النظر عن الدوافع المعلنة للحركة الصهيونية حول (حل المسألة اليهودية في أوروبا الشرقية في مطلع القرن العشرين)؛ فالصهيونية حركة استعمارية أنتجت دولة استعمارية، وفي الحقيقة، إن إسرائيل هي واحدة من آخر الدول الاستعمارية، التي لا زالت قائمة في القرن الواحد والعشرين.

الصهيونية حركة استعمارية في غايتها وفي معانيها: فهي مشروع غربي استهدف «نقل الحضارة» إلى جزء من الشرق المتخلف، جلب الحداثة، التقدم وبعد ذلك بكثير؛ الديمقراطية.

الصهيونية هي استعمار ذو طبيعة خاصة يختلف عن معظم ما جرى من استعمار في بلدان الشمال أو شبه الصحاري الأفريقية. ولكنها أشبه بأستراليا وأمريكا الشمالية؛ إنها مشروع استيطان استعماري، وهي على هذا النحو؛ تهدف إلى استبدال (وليس بالضرورة استغلال) السكان الأصليين بمستوطنين جدد؛ من خلال الطرد التدريجي.

وإسرائيل دولة استعمارية ليس بسبب أصلها فقط، بل بسبب طريقة عملها أيضا؛ حيث يجري تصميم قوانينها وممارساتها في إطار غايتها لبناء وتقويم وتعزيز الطابع اليهودي؛ فال»التهويد» و»الدولة اليهودية» ليست مفاهيم ثقافية، وإنما مشروع ديمغرافي؛ يعني طمس عروبة فلسطين، وتخفيض عدد السكان غير اليهود في الدولة اليهودية إلى أقصى حد ممكن. وقد كانت شعارات «تحرير الأرض»، «العمل اليهودي» و»المنتجات اليهودية» هي الشعارات الرئيسية للمشروع الصهيوني في فلسطين، وهي جميعها تعكس المحاولة الشاملة لإزالة الطابع العربي لفلسطين.

وحتى بعد تأسيس دولة إسرائيل ولغاية اليوم؛ مضت سياسة التهويد في تكريس التمييز البنيوي ضد «الأقلية» العربية الفلسطينية التي نجحت في البقاء داخل حدود الدولة اليهودية، ونجحت في الاستمرار في سياسة مصادرة الأراضي؛ وهذه براهين حية؛ على حقيقة أنه لم يكن هناك «تطبيع لإسرائيل» (بمعنى جعلها موافقة لبيئتها ومحيطها العربي – الشرق أوسطي)؛ وبأن طبيعتها الاستعمارية العدوانية هي جزء لا يجزأ من طبيعتها وجوهرها. فأن تكون دولة يهودية يعني أن تكون في حرب دائمة مع كل شيء غير يهودي من الناحية الديمغرافية في إسرائيل؛ وهي حرب عنصرية دائمة.

والعنصرية الصهيونية هي حصيلة ثانوية ضرورية للطابع الاستعماري لدولة إسرائيل؛ فليس من الضروري أن تكون العنصرية فلسفة «عرقية»، تفترض تفوق جماعة بشرية على أخرى، كما كانت العنصرية النازية على سبيل المثال. فالعنصرية الحديثة هي مجرد اتجاه لـ»تجاهل/رفض الآخر». فقد كانت الشعارات المركزية للصهيونية المبكرة، هي: «ارض بلا شعب لشعب بلا أرض»، «كانت البلاد خالية»؛ وهي شعارات الاستعمار النموذجية، ويمكن للمرء أن يقول أن الموقف الاستعماري تجاه الشعوب الأصلية كان مقززا، حيث يرى فيهم مجرد مشكلة بيئية؛ مثل البعوض، المستنقعات أو الصخور، كشيء يجب استئصاله من أجل السماح للحضارة أن تتطور. لقد كان عرب فلسطين بسطاء بوصفهم مجتمعا إنسانيا، وبهذا المعنى؛ تكون الصهيونية عنصرية تقوم على إنكار إنسانية الانسان، العنصرية الصهيونية هي النسخة المبتذلة للعنصرية الغربية تجاه ما هو غير أوروبي.

إن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٥ الذي عرف الصهيونية باعتبارها شكلا من أشكال العنصرية؛ أشار فقط إلى الحقيقة الأساسية وهي أن دولة الاستعمار الصهيوني هي عنصرية في جوهرها وتصرفاتها.

ومع ذلك؛ أعتقد أن ذلك القرار كان خطأ سياسيا كبيرا، فدور القرار السياسي لا ينبغي أن يكون تقديم التعريفات أو تعريف الحقائق؛ وإنما اتخاذ قرارات حول الفعل الذي يجب القيام به؛ فتعريف الحقائق يجب أن يظل وظيفة الخبراء المتخصصين وللنقاش العلمي المتواصل والمفتوح، وليس للتصويت. فالاستعمار هو عنصرية؛ سواء وافقت على ذلك أغلبية من الدول أم لا، والدليل على أن ذلك التصويت كان خاطئا؛ جاء بعد ذلك بستة عشر عاما، في عام ١٩٩١؛ عندما قامت نفس الجمعية العامة للأمم المتحدة بالعدول عن تصويتها السابق، وقررت أن الاستعمار الصهيوني ليس عنصريا! إن هذا السلوك هو طريقة رائعة للعودة إلى العصور الوسطى عندما كان على جمعية الكرادلة (رؤساء الأساقفة) أن يتخذوا قرارا من خلال التصويت حول: هل لليهودي روح؟ أو هل الأرض مستوية؟ من الواضح أن نتائج مثل هذا التصويت لن تغير في الحقائق شيئا... فدور المؤسسات السياسية هو اتخاذ قرارات بالأفعال التي يجب القيام بها، وليس في تقرير طبيعة الحقائق.

إن أفضل فكرة ينبغي للجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي أن يقوما بها – وللمرء الحق أن يحلم!– هي أن تقوما هذه الأيام بتبني قرارات مبنية على أساس الحملة العالمية لمقاطعة إسرائيل، وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS))؛ تقضي بمعاقبة دولة إسرائيل؛ بسبب انتهاكاتها التي لا حصر لها للقانون الدولي ومقررات الأمم المتحدة.

والحاجة لاتخاذ عقوبات ضد دولة إسرائيل تنبع من ثلاثة اسس؛ أولا، من أجل تحقيق العدالة للشعب الفلسطيني، الذي قدم التنازلات الكثيرة والمؤلمة جدا تحت ضغط المجتمع الدولي، وبمقابل ذلك حصل على المزيد من القمع والمزيد من الحرمان والإهانات. ثانيا، وباعتبار ذلك قضية تتعلق بصحة العالم اجمع؛ أي إذا أردنا أن نعيش في عالم محكوم بالقانون والنظام، وليس في غابة، وربما هذا هو الواقع، فيجب أن لا يكون هناك حصانة لإسرائيل لكي تفلت من العقاب، بل يجب معاقبتها على جرائمها. وأخيرا وليس آخرا، من أجل مصلحة الإسرائيليين أنفسهم كمجتمع.

* ميخائيل وارشوفسكي، كاتب وصحافي، نتشط بارز في حركة مقاومة الاستعمار، وعضو مؤسس لمركز الدراسات البديلة.

٢٨ آب ٢٠٠٩

بيان صحفي صادر عن بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين

خصخصة أملاك اللاجئين الفلسطينيين جريمة تهدف إلى فرض «الدولة اليهودية» كأمر واقع

قدم مركز بديل مذكرة حول التجريد من الملكية والتهجير المتكرر الذي يتعرض له لاجئو عام ١٩٤٨ في الأرض الفلسطينية المحتلة إلى مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، والذي سيعقد جلسته الثانية عشرة بتاريخ ١٤ أيلول وحتى ٢ تشرين الأول ٢٠٠٩.

وقد تناولت المذكرة التي وقعت عليها ١١ مؤسسة فلسطينية غير حكومية، بعضها يتمتع بصفة استشارية خاصة لدى المجلس الاجتماعي الاقتصادي للأمم المتحدة، عدم احترام إسرائيل لحقوق اللاجئين الفلسطينيين في العودة لديارهم الأصلية واستمرارها في تجريدهم من ملكيتهم وتهجيرهم قسرياً داخل المكان الذي لجئوا إليه، وبالتحديد في الأرض الفلسطينية المحتلة.

وقد ركزت المذكرة على الازدياد الملحوظ في عمليات تجريد وتهجير لفلسطينيين قسراً ومن ضمنهم اللاجئين في القدس الشرقية التي ضمتها إسرائيل بطريقة غير مشروعة؛ وشددت المذكرة على أن هذه السياسات والممارسات تهدف لزيادة الضغوط على الفلسطينيين في القدس لدفعهم لمغادرتها، وان ما يدعوا للقلق بشكل خاص هو عمليات الإخلاء القسري الجماعية التي تستهدف الأحياء الفلسطينية بالإضافة إلى استمرار هدم البيوت، كما في حي الشيخ جراح، سلوان، بيت حنينا، وحي الثوري.

وقد جاء في المذكرة ان إسرائيل تقوم بالاستيلاء على الممتلكات الخاصة بالفلسطينيين من خلال منظومة معقدة من الآليات القانونية، الإدارية والمؤسساتية، ومن ثم تقوم لاحقا بتأجير أو نقل هذه الممتلكات والعقارات للمستوطنين اليهود. وفي حالات أخرى؛ يلجأ المستوطنون إلى المحاكم الإسرائيلية عبر تقديم ادعاءات بملكيتهم لعقارات مأهولة بالفلسطينيين، زاعمين ملكيتها من قبل أفراد أو جمعيات يهودية قبل عام ١٩٤٨، وقد حكمت المحكمة الإسرائيلية العليا لصالح مثل هذه المطالبات؛ بينما لا زالت تتنكر لحقوق اللاجئين الفلسطينيين في استعادة أراضيهم وممتلكاتهم المنتزعة و/أو المفقودة منذ عام ١٩٤٨. وقد بينت المذكرة أن هذه السياسات والممارسات تسعى إلى خصخصة أملاك اللاجئين الفلسطينيين بهدف فرض «الدولة اليهودية» كأمر واقع.

وقد اشتملت المذكرة على أمثلة حية تبرز التهجير والطرد القسري الذي يتعرض له اللاجئون الفلسطينيون في القدس الشرقية. كما وبينت المذكرة تورط القضاء الإسرائيلي في جرائم الاخلاء، والتهجير والتجريد من الملكية، ففي الوقت الذي يتم فيه رفض التماسات الفلسطينيين، يجرى تسليم ممتلكاتهم لجمعية استيطانية تعتزم إقامة مستوطنة جديدة في المنطقة، فيما أبقي حوالي ٣٠٠ لاجئ فلسطيني يعيشون في المنطقة معرضين لخطر الإخلاء والطرد الإجباري والتجريد من الأملاك والتهجير في أية لحظة.

كما جاء في المذكرة أيضا انه وفي الوقت الذي تخطط فيه السلطة التنفيذية الإسرائيلية لـ»تهويد» القدس الشرقية، ولا تقوم السلطة القضائية باحترام وحماية حقوق اللاجئين الفلسطينيين وممتلكاتهم؛ فإن السلطة التشريعية الإسرائيلية تلعب دورا نشطا في حرمان اللاجئين الفلسطينيين من استعادة أراضيهم وممتلكاتهم المفقودة. ففي الثالث من آب ٢٠٠٩، وبعد يوم واحد من الإخلاء القسري لعشرات اللاجئين الفلسطينيين في حي الشيخ جراح؛ قامت الكنيست الإسرائيلي باعتماد قانون جديد لإصلاح الأراضي – قانون إدارة أراضي إسرائيل – الذي يشرعن خصخصة الأراضي التي كان يملكها الفلسطينيون أصلا، ومن ضمنهم اللاجئون الذين يقطنون حاليا في الأرض الفلسطينية المحتلة. وهذا القانون يضفي الشرعية بأثر رجعي على بيع إدارة أراضي إسرائيل لأملاك الغائبين ومن ضمنها أملاك اللاجئين. ويشار هنا إلى أن ٩٦ عطاء بيع كان قد صدر في عام ٢٠٠٧، بينما تم نشر ١٠٦ عطاءات في عام ٢٠٠٨. كما يسمح القانون الجديد أيضا بنقل «ملكية» الأراضي من الدولة والصندوق القومي اليهودي وتحويلها إلى ملكية خاصة يهودية في القدس الشرقية المحتلة. وسوف تشتمل عملية الخصخصة هذه على المستوطنات والمناطق المستهدفة في عمليات التطوير والبناء الاستيطاني في القدس الشرقية المحتلة. ومن ناحية جوهرية؛ سوف تحقق إسرائيل أرباحا ضخمة من جراء خصخصة ملكية الأراضي المصادرة في الأرض الفلسطينية المحتلة؛ وهي تقوم بذلك على الرغم من التزاماتها القانونية كسلطة احتلال وفقا للقانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان الذي يحرم الاعتداء على الحق في الملكية الخاصة ويمنع المصادرة الدائمة لمثل هذه الملكية.

وقد أوصت المؤسسات الموقعة على المذكرة الموجهة إلى مجلس حقوق الإنسان بالعمل على:

إلزام إسرائيل فورا بوقف عمليات سلب وتهجير الفلسطينيين في الأرض الفلسطينية المحتلة، بمن فيهم اللاجئين؛ وذلك من خلال وضع حد لعمليات الإخلاء القسري وهدم البيوت؛

تسهيل عودة المهجرين داخليا من جراء الإخلاء القسري وهدم البيوت إلى بيوتهم، وضمان تطبيق مبادئ الأمم المتحدة المتعلقة برد المساكن والممتلكات للاجئين والمهجرين داخليا («مبادئ بنهيرو»)؛ والسعي لتطبيق حل عادل ودائم لقضية اللاجئين الفلسطينيين، وبالتحديد عودتهم إلى ديارهم الأًصلية؛

حماية حقوق اللاجئين في الأرض والممتلكات وضمان احترام القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني؛

إبطال قانون إدارة أراضي إسرائيل الجديد، ووقف عمليات نقل حقوق الملكية الخاصة باللاجئين الفلسطينيين، وتعزيز حق اللاجئين الفلسطينيين في استعادة ممتلكاتهم.

جائزة العـــو

للسنة الرابعة على التوالي، يعلن بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين عن اطلاق جائزة العودة السنوية للعام ٢٠١٠ تحت شعار:

نحن من هناك... نحن أحياء وباقون... وللحلم بقية

فكرة وهدف وحقول الجائزة

تأتي هذه الجائزة كجزء من جهود مركز بديل الرامية إلى تعزيز حقوق اللاجئين الفلسطينيين وفي المقدمة منها حقهم بالعودة إلى ديارهم الأصلية، وذلك من خلال تفعيل مختلف قطاعات الشعب الفلسطيني في فلسطين التاريخية والشتات، وإطلاق الطاقات الإبداعية الكامنة. وتقسم جائزة العودة السنوية للعام ٢٠١٠ إلى خمسة حقول هي: ١. جائزة العودة لأفضل كاريكاتير للنكبة، ٢. جائزة العودة لأفضل بوستر للنكبة، ٣. جائزة العودة للأوراق البحثية، ٤. جائزة العودة للقصة الصحفية المكتوبة، ٥. جائزة العودة للصورة الفوتوغرافية

شروط وتوضيحات عامة

تنطبق الشروط التالية على كافة الحقول:

١.على كل مشارك/ة التقيد بكافة الشروط التفصيلية الخاصة بكل حقل من الحقول،

٢. يشترط في الأعمال المشاركة أن تكون أصيلة مبتكرة لم يسبق نشرها بأي شكل من الأشكال.

٣. لكل مشارك/ة الحق بتقديم مشاركة واحدة فقط لا غير، على انه يجوز له/ا أن يشارك في أكثر من حقل.

٤. يكرم مركز بديل ويسلم الجوائز النقدية والتقديرية للفائزين/ات خلال مهرجان الجائزة في أيار ٢٠١٠.

٥. يتكفل بديل بطباعة، ونشر، وتوزيع، وترويج المشاركات الفائزة، في كتب خاصة، أو ضمن إصدارات مركز بديل المختلفة، بحسب شروط كل حقل.

٦. تصدر الأحكام عن لجان تحكيم مهنية ومستقلة عن مركز بديل، ويلتزم بديل بأحكامها وتوصياتها.

٧. لمركز بديل الحق في استخدام، وتحرير، ونشر جميع المواد المشاركة، وبالطريقة التي يراها مناسبة، على ان لا ينتقص ذلك من حقوق المشارك/ة الفكرية والأدبية.

٨. يتضمن المهرجان معرض لأفضل المشاركات في حقول: الكاريكاتير والبوستر، والصورة الفوتوغرافية.

آخر موعد لتقديم المواد المشاركة في مختلف حقول جائزة العودة هو الاثنين، ١٥ آذار ٢٠١٠.

إسال المشاركات

يتم إرسال المواد للمشاركة في حقول جائزة العودة على بريد ألكتروني awdaaward@badil.org ، او تسليمها باليد او إرسالها بالبريد على عنوان مركز بديل:

بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين. ص.ب: ٧٢٨، بيت لحم، شارع الكركفة، عمارة المجد (بجانب فندق بيت لحم)، الطابق الأول.

ويلتزم بديل للمشاركين/ات بتأكيد الاستلام برسالة الكترونية أو بكتاب موثق بحسب الحال.

لمزيد من التفاصيل، يرجى زيارة موقع مركز بديل على شبكة الإنترنت: www.badil.org

مهرجان جائزة العودة

ينظم مركز بديل مهرجان جائزة العودة في أيار ٢٠١٠ بحضور الفائزين/ات، ولجان التحكيم، ولفيف من الشخصيات الوطنية والمهتمة، حيث سيتم تغطيته إعلاميا بصورة لافتة، وسيتم خلال الحفل تسليم الجوائز للفائزين/ات بالإضافة إلى الجوائز التقديرية للمشاركات المتميزة، وإقامة معرض لأفضل المشاركات في حقول الكاريكاتير، والبوستر، والصورة الفوتوغرافية.

١. جائزة العودة لأفضل كاريكاتير للنكبة

موضوع الكاريكاتير الفني

يتناول حقل الكاريكاتير جانبا من جوانب اللجوء والتهجير المستمر الذي يتعرض له الفلسطينيون، ومعاناة اللاجئين وحقوقهم. كما يتناول المواقف السياسية الفلسطينية وغير الفلسطينية، الرسمية و/أو الشعبية حيال حق العودة.

شروط خاصة

١. المسابقة مفتوحة لجميع ممارسي فن الكاريكاتير بغض النظر عن الجنسية، أو مكان الإقامة، أو العمر.

٢. يجب أن تتوافر في العمل المواصفات الفنية التالية:
- حجم A4 ،
- ألوان JPEG ،
- جودة/ Resolution: ٣٠٠ DPI

٣. يمكن استخدام الكومبيوتر وأية تقنيه أخرى لتنفيذ العمل المشارك.

٤. في حال رسم الكاريكاتير بشكل يدوي (أي باستخدام ألوان مائية أو أقلام تحبير مثلا)، يفضل إرسال النسخة الأصلية لضمان جودة النسخ والحفظ الالكتروني والتقييم الموضوعي.

٥. تقبل الرسومات ملونة أو بالأبيض والأسود.

٦. يراعى في العمل عنصري: جدة وقوة ووضوح الفكرة، وجودة التنفيذ/التجسيد الفني.

٧. يرفق مع المشاركة ملف (ورد Word) بالسيرة الذاتية تتضمن العنوان، رقم الهاتف، العنوان الإلكتروني.

قيمة الجائزة

تمنح المشاركات الفائزة في المراتب الثلاث الأولى جوائز نقدية:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ دولار.
الجائزة الثانية: ٦٠٠ دولار.
الجائزة الثالثة: ٤٠٠ دولار.

كما ويتكفل مركز بديل:

بتكريم أصحاب أفضل عشرة مشاركات بحسب تقدير لجنة التحكيم وبمنحهم جوائز تقديرية خلال مهرجان جائزة العودة الذي يقام في أيار ٢٠١٠، بتنظيم معرض فني تعرض فيه أفضل المشاركات بحسب توصيات لجنة التحكيم.

لجنة التحكيم

عماد حجاج، نهاد بقاعي، امية جحا، محمد سباعنة، ناصر الجعفري.

٢.جائزة ا

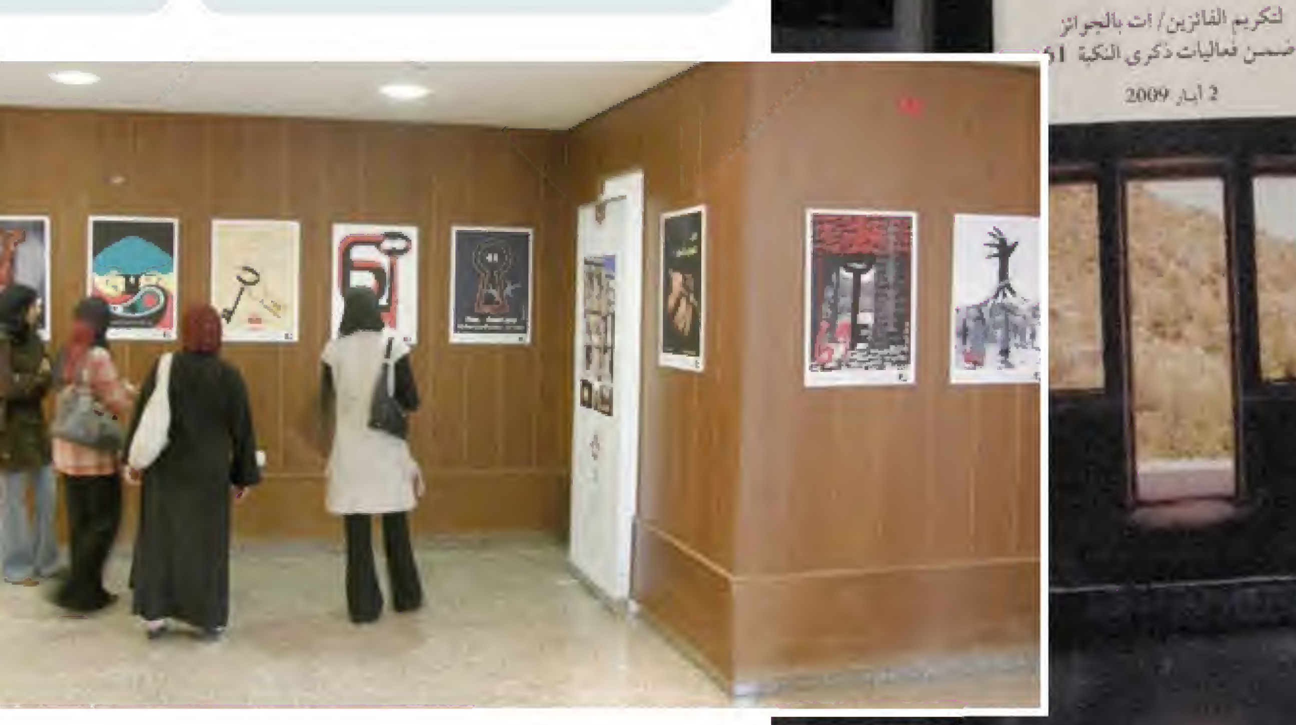
موضوع بوستر
مستوحى من النكب
ومقاومة التهجير ا

١. المسابقة مفتوح
عن الجنسية، أ
٢. في حال شمول
اللغة العربية ك
٣. أن يكون البوسن
مكرر.
٤. لا تقبل البوستر
٥. في حال استخدا
(CMYK)
٦. لا تعاد البوستر
٧. تراعي في البوس
ترسل النسخة
سم). بدرجة وضو
DPI ٣٠٠) بملف
مرفقة بالسيرة الذا

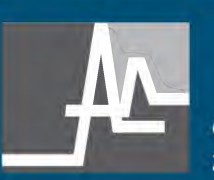
الجائزة الاولي
الجائزة الثانية
الجائزة الثالثة

بطباعة البوس
من ٤٠٠٠٠ نسخة
فعاليات إحياء الذك
إقامة معرض خ
الشروط وبالاست
جائزة العودة.
بتكريم أصحاب
لجنة التحكيم بتس
العودة.

سليمان منصور
عمر عساف



...دة للعـــام ٢٠١٠



بديـل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
عضو الائتلاف الفلسطيني لحق العودة

...العودة لأفضل بوستر للنكبة

موضوع البوستر

... ذكرى النكبة، كتصميم فني، يجب أن يكون ...ة والنكبة المستمرة، بالتركيز على التهجير ...لمستمر وتمسك الفلسطيني بأرضه.

شروط خاصة

...ة لجميع ممارسي فن البوستر بغض النظر ...و مكان الإقامة، أو العمر.
... البوستر على نص مكتوب يرجى اعتماد ...أساس.
...ر أصيلاً ومبتكراً ذوا رسالة واضحة وغير ...
...ات المشاركة في السنوات السابقة.
...م الكمبيوتر للتصميم يرجى استخدام ألوان ...
...ات المرشحة إلى أصحابها.
...تر المواصفات الفنية التالية:
...الالكترونية للبوستر بحجم A٣ (٣٠x٤٢ ...وح ودقة عاليتين (في الحد الأدنى ٢٥٠– ... من نوع ((jpg أو (gif). على أن تكون ...تية.

قيمة الجائزة

...: ١٠٠٠ دولار أمريكي
...: ٦٠٠ دولار أمريكي
...: ٤٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً:

...تر الفائز بالجائزة الأولى ونشره بأكثر ... توزع في كافة أنحاء فلسطين والمنافي في ...رى الثانية والستين للنكبة في أيار ٢٠١٠.
...خاص بالأعمال المختارة والتي تنطبق عليها ...ناد إلى توصيات اللجنة، خلال مهرجان ...
... أفضل عشرة مشاركات بناء على توصيات ...ليمهم جوائز تقديرية في مهرجان جائزة ...

لجنة التحكيم

...، يوسف كتلو، مقبولة نصار، محمد عليان،

٣. جائزة العودة للأوراق البحثية

موضوع الورقة البحثية

خصخصة أملاك اللاجئين الفلسطينيين وحق العودة.

للباحث/ة ان يتناول في بحثه/ا جميع أو بعض المفاصل والمحاور التالي ذكرها المتعلقة بالموضوع:
أنواع الملكية، تقدير أملاك اللاجئين، مصير أملاك الغائبين، الجانب القانوني للخصخصة، شرعية الإجراء الإسرائيلي في القانون الدولي، تأثير هذا الإجراء على حق العودة، المطلوب فلسطينياً لمواجهة هذا الإجراء.

شروط خاصة بالورقة البحثية

١. أن تكون الورقة البحثية ما بين ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ كلمة فقط.
٢. أن تكون المادة المقدمة مكتوبة بلغة عربية صحيحة.
٣. أن تعتمد منهجية الكتابة الأكاديمية في البحث، وأصول التوثيق وبيان المصادر و المراجع.
٤. أن تكون المادة البحثية أصيلة فيها من الإبداع والجدة والفكر المستقل، ولم يتم نشرها من قبل.
٥. أن يكون البحث موضوعياً متجنبا اللغة الخطابية والتعابير المشحونة والمواقف المسبقة.
٦. يحق للأشخاص الذين شاركوا سابقاً بجائزة العودة السنوية أن يشاركوا بالمسابقة.
٧. تخضع المواد الفائزة للتحرير من قبل بديل قبل النشر.

طريقة التقديم

ترسل الأوراق البحثية بملف الكتروني من نوع word مرفقة بالسيرة الذاتية للباحث وعنوان الاتصال بـه/ا، وملخص موجز للبحث لا يزيد على ٥٠٠ كلمة.

قيمة الجائزة

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ دولار أمريكي
الجائزة الثانية: ٦٠٠ دولار أمريكي
الجائزة الثالثة: ٤٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً:

بطباعة ونشر الأوراق البحثية الثلاث الفائزة في إصدار خاص أو ضمن إصدارات مركز بديل المختلفة.
منح مركز بديل صاحب/ة البحث الفائز ١٠٠ نسخة من الإصدار مجاناً.
يكرم بديل أصحاب أفضل عشرة أبحاث، بحسب تقدير لجنة التحكيم ويمنح أصحابها جوائز تقديرية.

لجنة التحكيم

أ. د. عزيز حيدر، د. اسعد غانم، د. نورما مصرية، د. إصلاح جاد، أ. شوقي العيسة

٤. جائزة العودة للقصص الصحفية المكتوبة

موضوع القصة الصحفية

يتناول موضوع القصة الصحفية جانبا من جوانب اللجوء والتهجير المستمر للفلسطينيين، على ان تكون القصة واقعية وليست خيالية، وان يراعي الكاتب/ة الزمان، والمكان، وعنصر المعاصرة في ربط الأحداث، على ان لا يفهم من ذلك تقييد الإبداع الأدبي، أو حرية استدعاء/ استذكار أحداث سالفة.

شروط خاصة

١. ان تتراوح عدد كلمات القصة الصحفية المكتوبة بين ١٠٠٠ – ١٥٠٠ كلمة .
٢. ان تكون مكتوبة بلغة عربية سليمة ومن الممكن استخدام اللغة العامية بما يخدم القصة.
٣. أن تكون القصة الصحفية جديدة لم يسبق نشرها في أية وسيلة إعلامية.
٤. يفضل إرفاق صورة ذات صلة بالقصة مع بيان المصدر على ملف JPG.
٥. يستثنى من المشاركة الفائزين في الجوائز الثلاث الأولى في السنوات السابقة.

موعد وطريقة التقديم

ترسل المشاركات على ملف الكتروني من نوع word فقط، مرفقة بالسيرة الذاتية للباحث/ة وعنوان الاتصال به/ا.

قيمة الجائزة

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ دولار أمريكي
الجائزة الثانية: ٦٠٠ دولار أمريكي
الجائزة الثالثة: ٤٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً:

بطباعة القصص الصحفية الثلاث الفائزة ونشرها ضمن إصداراته أو كما يراه بديل ولجنة التحكيم مناسبا.
بتكريم أصحاب أفضل عشرة مشاركات ويمنحهم جوائز تقديرية خلال مهرجان جائزة العودة.

لجنة التحكيم

عبد الناصر النجار، شيرين أبو عاقلة، قاسم خطيب، ناصر اللحام، نجيب فراج، خليل شاهين

٥. جائزة العودة للصورة الفوتوغرافية

حقل الصورة الفوتوغرافية كمجال للإبداع والتعبير يستهدف فئة الجيل الناشئ (ما دون ١٨ عاما). ويرى بديل أن هذا الحقل سيمنح قطاع الجيل الناشئ فرصة المشاركة بفاعلية في جائزة العـودة، خصوصا وان مشاركة هذه الفئة وفرص الفوز في الحقول الأخرى قد تكون محدودة جدا.

موضوع الصورة الفوتوغرافية

يتمحور موضوع الصورة حول آثار النكبة وتداعياتها، وسبل/ أشكال مواجهة التحديات، وواقع اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات عموما.

شروط خاصة

١. ان يكون عمر المشترك/ة ما دون ١٨ سنة.
٢. للمشترك/ة تقديم صورة واحدة فقط للمسابقة.
٣. يجوز تقديم الصورة ملونة أو اسود وابيض.
٤. ان تكون الصورة على طبيعتها، حيث لا تقبل الصورة المعالجة ضمن البرامج الالكترونية إلا إذا أرفقت النسخة المعالجة بالصورة الأصلية (قبل المعالجة).
٥. لا تحتوي الصورة على نصوص مضافة بما في ذلك اسم المشارك/ة.
٦. ان تكون الصورة بدرجتي وضوح ودقة عاليتين، وترسل بملف من نوع (jpg) وجودة (dpi ٣٠٠).
٧. أن تكون الصورة مبتكرة، أصيلة، وحديثة، وان لا تكون قد شاركت بأية مسابقة من قبل.
٨. لا يتحمل مركز بديل المسؤولية القانونية عن أي إخلال في حقوق ملكية الصورة المرشحة والفائزة.
٩. لمركز بديل الحق في استخدام الصور المشاركة دون المساس بحقوق المشاركين/ات.
١٠. إرفاق صورة هوية أو شهادة ميلاد مع المشاركة.

طريقة التقديم

ترسل النسخة الالكترونية للصورة على ملف خاص، بالإضافة إلى ملف من نوع (word) يحتوي على السيرة الذاتية للمشترك/ة، وشرح مختصر عن الصورة يتضمن التعريف بالصورة (المكان، الزمان، الحدث/المناسبة، الشخوص إذا لزم، والمحتوى) بما لا يتجاوز ٥٠ كلمة.

قيمة الجائزة

بالإضافة إلى كاميرا ديجيتال بمواصفات ١٠ Mega Pixel)) تمنح المشاركات الثلاث الفائزة:
الجائزة الأولى: ٤٠٠ دولار أمريكي
الجائزة الثانية: ٣٠٠ دولار أمريكي
الجائزة الثالثة: ٢٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً:
طباعة ونشر الصور الفائزة ضمن إصدارات بديل المختلفة.
إقامة معرض خاص بالأعمال المختارة خلال حفل الاختتام والمهرجان.
بتكريم أصحاب أفضل عشرة مشاركات بحسب تقدير لجنة التحكيم وبمنحهم جوائز تقديرية.

لجنة التحكيم
إبراهيم ملحم، علاء بدارنة، لؤي صبابا، رولا حلواني، محفوظ أبو ترك





قراءة اولية في دليل عمل اللوبي الصهيوني

شوقي العيسه*

عندما تقرأ رد السيد «اليوت ابرامز» (نصير الصهيونية) في صحيفة واشنطن بوست، على المقال الذي كتبه الرئيس الأسبق للولايات المتحدة «جيمي كارتر» عن فلسطين بعد زيارته الأخيرة، تلاحظ بوضوح ان «ابرامز» اتبع بدقة تعليمات كتيب التوجيهات الذي يستخدمه اللوبي الصهيوني لتدريب نشطائه على كيفية كسب الدعم لإسرائيل وللصهيونية في أمريكا وأوروبا.

اللوبي الصهيوني حقق ويحقق انجازات هائلة في تضليل الرأي العام الأمريكي والأوروبي للحفاظ على الدعم الثابت والمتواصل لإسرائيل وتطويره، ويعود ذلك لأسباب عديدة، من اهمها الكفاءة التي يتمتع بها نشطاؤه في العلاقات العامة والإعلام والكذب والتضليل والابتزاز ومجالات أخرى، بسبب التدريب المتواصل والمهني لهم. الصهاينة يعرفون تماما أنهم الطرف المجرم في الصراع معنا، ولذلك يعرفون ان عليهم العمل بشتى الطرق لمواصلة حجب الحقيقة وتامين الدعم لإسرائيل في كل مكان وخاصة في الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية.

في الفترة الأخيرة قامت منظمة (المشروع الإسرائيلي)، وهي من منظمات اللوبي الصهيوني المتعددة في الولايات المتحدة، بالتعاقد مع السيد «فرانك لونتز» وهو من أشهر الخبراء في مجال الحملات الانتخابية والدعائية، عمل مع العديد من زعماء الحزب الجمهوري والعديد من الشركات العالمية الضخمة، وهو من أنصار إسرائيل المشهورين، بحيث تم تكليفه بكتابة دليل عمل لنشطاء اللوبي في أمريكا وأوروبا لاستخدامه، وربما كلفهم ذلك العقد الملايين من الدولارات، ولكنهم يعرفون أنهم سيجنون بسببه ما هو أهم وأغلى من الملايين.

السيد «لونتز» اشتهر بقاعدته الأساسية في مجاله والتي تقول ان الكلمات التي تقولها أو الأفكار التي لديك ليست مهمة، بل الأهم ما الذي يسمعه الناس منك وكيف يفهمونه، وهو يشرح دائما ما هي الكلمات التي لا قيمة لها او التي تضر، وما هي الكلمات ذات التأثير.

في شهر ابريل/ نيسان ٢٠٠٩ صدر الدليل الذي أعده للحركة الصهيونية ويقع في ١١٦ صفحة، وسماه قاموس اللغة العالمية، وكتب في أسفل كل صفحة منه (ملكية المشروع الإسرائيلي ليس للتوزيع او النشر)، ولكن بطريقة ما سرب وحصلت على نسخة منه.

لا شك ان السيد «فرانك لونتز» خبير متعمق في مجاله وذكي إلى ابعد الحدود ويعرف من أين تؤكل الكتف، ويستخدم علم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد بدهاء ينم عن خبرة طويلة وغنية، وهو كذلك مطلع على تفاصيل القضية الفلسطينية والصراع في الشرق الأوسط بشكل عام، ويعرف الحقيقة تماما وأين العدالة ومن المجرم ومن الضحية، ولكن الأهم انه يعرف كيف يجعل الضحية مجرما والمجرم ضحية يجب دعمه والتعاطف معه.

يتكون الدليل من مقدمتين و١٨ فصلا وأربعة ملاحق. كلها تهدف في النهاية للوصول للهدف المحدد وهو كسب أناس جدد لتأييد إسرائيل وترسيخ قناعة وقوة هذا التأييد وحسم المترددين ولذلك هو يقسم جميع الناس إلى ثلاثة أقسام، الأول: الناس الذين يدعموننا وسيبقون دائما هكذا بغض النظر عن أي شيء، الثاني: الناس الذين ضدنا وسيبقون دائما هكذا بغض النظر عن أي شيء، الثالث: جميع الآخرين. والقسم الثالث هو الهدف وهم الناس الذين يجب عليك العمل معهم واستهدافهم مع الاهتمام طبعا بالقسم الأول وتوظيفه لهذه الغايات.

في المقدمة القصيرة يوضح المؤلف أن الدليل بني على أبحاث أجريت في عامي ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩، ويذكر بقاعدته الذهبية ليس المهم ما تقوله بل المهم ما يسمعه الناس أو كيف يفهم ويتلقى الناس كلماتك.

وفي المقدمة القصيرة أيضا، توضح مؤسسة ورئيسة المشروع أن هذا الدليل مقدم إلى القادة الملهمين في الخطوط الأمامية الذين يقودون الحرب الإعلامية لصالح إسرائيل، وتضيف، نحن نعرف ان تحقيق مهمتكم يساعد إسرائيل والعائلة اليهودية العالمية.

في الفصل الأول يقدم ٢٥ قاعدة تؤدي للنتائج المؤثرة والمثمرة، يقدم لنشطاء اللوبي الصهيوني مجموعة من القواعد وطريقة الحديث ونبرة الصوت وكيفية التهرب من الأسئلة المحرجة والكلمات التي يجب الابتعاد عنها، وما الذي يجب تكراره كثيرا، والطريقة الخلاقة لقلب الحقائق رأسا على عقب لإظهار إسرائيل كضحية، والشبه الكبير بينها وبين المجتمعات الغربية وكيف ان دعم إسرائيل هو مصلحة مباشرة لهم ولدولهم. ومن هذه النصائح:

الفئة الثالثة من الناس (الهدف) لا يهتمون بسعة اطلاعك ومعرفتك، الا إذا عرفوا مدى حرصك واهتمامك، لذلك من البداية عليك إظهار تعاطفك مع طرفي الصراع .(لاحظوا لا يقول عليك التعاطف بل يقول عليك اظهار «تصنع» التعاطف). هدفك ببساطة ليس ان تجعل مؤيديك يشعرون بشعور جيد، بل هدفك ان تكسب قلوب وعقول جديدة. ولتستطيع تحقيق ذلك، عليك ان تفهم ان أغلبية الأمريكيين عندما تذكر كلمة إسرائيل أمامهم، يتبادر اليهم (دائرة من العنف المستمر منذ آلاف السنين) لذلك عليك أولا نزع هذا الفهم وهذه الشكوك لكي يصبحوا قابلين لتعلم «حقائق» جديدة عن اسرائيل، الخطوة الاولى التي تكسبك الثقة وتكسبك أصدقاء لإسرائيل هي ان تظهر ان اهتمامك منصب على تحقيق السلام للطرفين والمستقبل المشرق لكل طفل. ولاحظ ان نغمة وتسلسل حديثك مهم جدا، يجب عليك ان تبدأ بالتعاطف مع الطرفين وهذا مثال يعطيه للمتحدث عن الفقرة الأولى في حديثه كيف يجب ان تكون «إسرائيل ملتزمة بالوصول



المستوطنون يعتدون على أراضي الفلسطينيين تحت حماية جنود الاحتلال، قرية الطيواني، الخليل، أيار ٢٠٠٨ (تصوير: CPT)

إلى مستقبل أفضل للجميع، للإسرائيليين والفلسطينيين، إسرائيل تريد انتهاء الألم والمعاناة وملتزمة بالعمل مع الفلسطينيين للوصول إلى حل سلمي ودبلوماسي يؤمن للطرفين مستقبلا أفضل، لنجعل هذا وقت الأمل والفرصة للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي». وبعد ذلك يشرح ويقنع النشطاء لماذا عليهم استخدام هذا الأسلوب الملتف / حتى أصعب الأسئلة وأكثرها صعوبة يمكنك ردها والاستفادة منها إذا أنت اعترفت ان الآخر لديه ما هو مهم وصحيح في بعض ما يقوله، وهذا سيفيدك لاحقا في الحديث، ويؤمن لك تعاطف من المستمعين عندما يلزمك ذلك، كأن تقول انا أتفهم واشعر بتعاطف مع الذين يقولون ...... بينما اذا كنت حازما في ان إسرائيل على حق والآخرين على خطأ فربما تحصل على التصفيق من أنصار اسرائيل ولكنك ستخسر الآخرين.

ابدأ بشرح المبادئ، الفلسطينيون والإسرائيليون عادة ما يبدأون مباشرة بمهاجمة احدهم الآخر ولا يشرحون المبادئ التي على أساسها يقومون بأعمالهم. بينما الأمريكيون يتفاعلون أكثر مع الحقائق والأفعال والنتائج عندما يعرفون لماذا وليس فقط كيف. مثال، لماذا يوجد جدار امني، لان الإرهابيين استخدموا تلك المنطقة للقيام بأكثر من ٢٥٠ عملية إرهابية لقتل أبرياء مما "اجبر" إسرائيل على حماية مواطنيها الأبرياء والجدار جزء من إجراءات الحماية. عليك ان تتحدث كالتالي:

"من حيث المبدأ نحن نؤمن ان هناك حق أساسي لكل الأطفال، ان تتم تربيتهم بعيدا عن الكره ونحن نتمنى على القيادة الفلسطينية ان تنهي وتوقف ثقافة الكراهية في المدارس الفلسطينية، ٣٠٠ من هذه المدارس سميت على أسماء انتحاريين، على القيادة الفلسطينية ان لا تدرس كتب تمجد الإرهاب وتعلم الأطفال من خلال خرائط للشرق الأوسط لا تظهر فيها إسرائيل نهائيا... من حيث المبدأ الأطفال لا يجوز تربيتهم على قتل أنفسهم وقتل الآخرين، ولكن القيادة الفلسطينية يوما بعد يوم تكرس ثقافة الكراهية وتشجع الأطفال الصغار على ان يصبحوا انتحاريين، حماس المدعومة من إيران (أينما يذكر حماس يؤكد أنها مدعومة من إيران لتذكير المستمعين الغربيين ان الفلسطينيين حلفاء أعداءكم) تبث من خلال قناتها التلفزيونية في غزة برامج على طريقة "سيسامي ستريت" (كل أمريكي وأوروبي يعرف هذا البرنامج الموجه للأطفال) تمجد الانتحاريين. من حيث المبدأ يجب إنقاذ الأطفال من هذا الانتهاك والأطفال الفلسطينيون يستحقون ما هو أفضل".

ويكمل نصائحه:

دائما فرق بوضوح بين الشعب الفلسطيني وبين حماس، الأمريكيون يفرقون بين تعاطفهم مع الفلسطينيين وبين ازدرائهم للقيادة الفلسطينية، وإذا ظهرت انك تهاجم الشعب الفلسطيني وليس قيادته (رغم انه انتخب تلك القيادة) "يذكرهم بذلك ايضا" فانك ستخسر، في هذه المرحلة، الأمريكيون يشعرون بتعاطف مع مأساة الشعب الفلسطيني وهذا التعاطف سيزيد إذا فشلت في التفريق بين الشعب والقيادة. ثم يعطيهم جملا يعتبر أن لها تأثير ساحر:

"نحن نعرف ان الفلسطينيين يستحقون قيادة تهتم بمصلحة شعبها وليس قيادة تأخذ مئات الملايين من الدولارات كدعم من أمريكا وأوروبا وتضعها في بنوك سويسرا وتستخدمها لدعم الإرهاب بدل السلام، الفلسطينيون بحاجة لكتب وليس قنابل، شوارع وليس صواريخ"

وهنا يستخدم السجع والنغمة الموسيقية التي ترسخ في الذاكرة books not bombs وroads not rockets . ثم يعطيهم بعدها مباشرة فقرة أقوى لتليها:

"الصعوبات والمعيقات أمام تحقيق السلام في الشرق الأوسط كثيرة، وإسرائيل تعرف ان السلام يصنع مع الخصوم وليس الأصدقاء، ولكن السلام يصنع مع أولئك الخصوم الذين يريدون صنع السلام معك، ولكن منظمات إرهابية مدعومة من إيران التي تعلن أنها تريد إفناء إسرائيل مثل حزب الله وحماس والجهاد التي من حيث المبدأ ترفض التعايش السلمي ومصممة على منع الوصول إلى حل، أنا أسألكم كيف تفاوض من يريد لك فقط الموت".

وفي التعامل مع اليسار يرى أن اليسار بشكل عام ساذج ويطمح إلى عالم يسوده السلام والمحبة والتعاون بين الجميع، وهنا لديك فرصة لتركز ان إسرائيل جزء من ذلك، ولذا يجب حمايتها ممن لا يريدون ذلك. وأفضل الطرق لتحصل على تأييد في هكذا نقاش ان تركز على "العمل من اجل سلام دائم يحترم حقوق الجميع في المنطقة، وهنا لا داعي لتذكر إسرائيل او فلسطين بشكل خاص، عمم. معظم اليساريين يعتبرون ان الطرفين مخطئان ولأن إسرائيل أكثر قوة عليها تقديم تنازلات. (لاحظوا انه لا يطلب منهم نهائيا الحديث عن سلام عادل أو عن العدالة بشكل عام).

ركزوا كثيرا على انه لا يوجد مبرر نهائيا لقتل الأطفال والنساء، لان الفلسطينيين دائما يكررون ان الشعب الفلسطيني مضطهد ويائس وبلا أمل. كتبرير لقتل الأطفال عليكم ان تركزوا على هذه النقطة بقوة وبتكرار انه لا مبرر نهائيا لقتل طفل، قولوا ما يلي: "من الممكن ان نختلف في السياسة وفي الاقتصاد ولكن هناك مبدأ أساسي يتفق عليه كل الناس في مختلف بقاع الأرض، ان الشعب الحضاري لا يمكن ان يقتل الأطفال والنساء".

إياك ان تدعي ان إسرائيل بلا أخطاء، لان ذلك ليس صحيحا ولا احد سيصدقك، وإذا قلت ذلك فان المستمعين سيفقدون الثقة بحديثك مما يجعلهم لا يصدقون ما تقوله في أمور أخرى، فاعترافك بان إسرائيل تخطأ لا يؤثر على عدالة أهدافها: السلام والأمن والحياة الأفضل للطرفين، تحدث بالشكل التالي:

أنا اعرف أن إسرائيل خلال محاولاتها الدفاع عن أطفالها من الإرهاب ترتكب بعض الأخطاء بدون قصد اتجاه بعض الأبرياء، اعرف ذلك واشعر بالأسف الشديد لذلك. ولكن ماذا بإمكان إسرائيل ان تفعل للدفاع عن أهلها؟ لو قامت أمريكا بإعطاء أراضي من اجل السلام وأصبحت هذه الأراضي تستخدم لإطلاق الصواريخ على أمريكا ماذا ستفعل أمريكا؟ إسرائيل هوجمت بآلاف الصواريخ من الإرهابيين الفلسطينيين في غزة المدعومين من إيران، ماذا كان بإمكان إسرائيل ان تفعل لتحمي أطفالها؟!.

كلمات وجمل لها تأثير فعال

هل اسرائيل ممتازة؟ لا، هل نرتكب اخطاء؟ نعم، ولكننا نريد مستقبل أفضل ونحن نعمل للوصول إلى ذلك. ونحن نريد مستقبلا أفضل للفلسطينيين أيضا، إنهم يستحقون ان يكون لديهم حكومة تنهي الإرهاب ليس فقط لجعل أطفالي آمنين، ولكن أيضا لجعل أطفالهم ينعمون بمستقبل مزدهر، وعندما ينتهي الإرهاب لن تحتاج إسرائيل للحواجز، ولن تعود هناك حاجة للجدار.

انتبه لنبرة صوتك، ان النبرة الأبوية والاستعلائية تغضب الأمريكيين والأوروبيين، إننا في مرحلة تاريخية لم يعد فيها النظر لليهود بشكل عام والإسرائيليين بشكل خاص كشعب مضطهد، في الواقع ان المتعلمين والفاهمين وأصحاب الرأي في أمريكا وأوروبا (من غير اليهود) ينظرون عادة للإسرائيليين على أنهم معتدون ومحتلون. أمام هذا الوضع، من المهم جدا ان لا يكون مناصرو إسرائيل متغطرسين ومتعالين.

كلمات ممنوع استخدامها «نحن مستعدون للسماح لهم ب ....» سماح ، تصريح ، تعليمات ، سيطرة ، كلمات يجب ان لا نستخدمها في الحديث عن الفلسطينيين، عن تجارتهم وحركتهم وتنقلاتهم وحكومتهم، إذا كانت الصورة ان الفلسطينيين طرف شريك على طريق السلام، فيجب ان لا تظهر ان إسرائيل في الفهم أو في التطبيق تنظر إليهم كثانويين في العملية. يوجد قلق حول ما يجري في الشرق الأوسط وطريقة حديثك عنه يجب ان لا تصب الزيت على النار، يجب ان تكون حذرا.

وقف، وقف كذا، ووقف كذا، غالبية هذه الوثيقة التي نقدمها لكم مكتوبة بأسلوب فيه أمل وايجابية ونغمة بناء ولكن هناك موضوع واحد في تصرفات الفلسطينيين عليك دائما ومن حقك المطالبة بإنهائه والمطالبة بوقفه، ودائما ستربح عند حديثك عنه، كرر كثيرا الحديث عن الأهداف الجهادية والنغمة العسكرية للإرهابيين المدعومين من إيران بشرط ان تستخدم كلماتهم وخطاباتهم . كلما أكثرت من ذلك كلما حصلت على تعاطف مع إسرائيل.

كلمات لها مفعول وتأثير:

«تحقيق علاقات سلمية يتطلب قيادة على الجانبين، سياسية واقتصادية وعسكرية وبسبب ذلك نحن نقول ان على الفلسطينيين وقف لغة التحريض، وقف استخدام لغة العنف، وقف لغة التهديد، أنت لا تحقق السلام إذا استمرت قيادتك العسكرية في الحديث عن الحرب، أنت لا تحقق السلام إذا تحدث الناس عن رمي الآخرين في البحر أو في الصحراء... الإسرائيليون يعرفون كيف تعيش حياتك اليومية تحت تهديد الإرهاب، يعرفون كيف يرسلون أطفالهم الى المدرسة اليوم ويدفنوهم في الغد، بالنسبة لهم الإرهاب ليس شيئا يقرأون عنه في الصحف، انه شيء يرونه بأعينهم غالبية الوقت».

ذكر الناس مرة تلو المرة ان إسرائيل تريد السلام. السبب الأول: إذا رأى الأمريكيون انه لا أمل في الوصول للسلام فإنهم لا يريدوا صرف أموالهم لمساعدة إسرائيل، السبب الثاني: ان المتحدث الذي يظهر أمام الناس وكل همه الوصول للسلام يربح التأييد دائما، إذا أردت الدعم والتأييد يجب ان يكون هدف السلام دائما وراء أي شيء تريده وتريدهم ان يدعموه. هذا ذكرني بحديث شارون عندما اقتحم الأقصى وهو يقول جئت هنا احمل رسالة سلام.

ذكر الأمريكيين دائما ان إسرائيل ملتزمة بالسلام كل الوقت وقل لهم عندما قرر السادات والملك حسين الجنوح للسلام وجدوا إسرائيل جاهزة وتحقق السلام. كرر ذلك كثيرا.

اشياء يجب ان تكررها في كل مناسبة:

«إسرائيل قدمت تنازلات مؤلمة وخاطرت لتعطي السلام فرصة، قامت بدون أي مقابل بترحيل ٩٠٠٠ مستوطن من غزة وأجزاء من الضفة الغربية، وتركت البيوت والمدارس ودور العبادة والمصانع على أمل تجديد عملية السلام، ورغم كل ذلك استمرت العمليات الإرهابية، بما في ذلك اطلاق الصواريخ عليها واطلاق النار من سيارات مسرعة على الإسرائيليين الأبرياء. إسرائيل تعرف ان سلاما دائما يعني أن تكون آمنة من الإرهاب وان تعيش في حدود تؤهلها للدفاع عن نفسها »

هنا تجد وراء كلمات المؤلف التمهيد لموقف إسرائيل بعدم العودة لحدود ١٩٦٧.



الأمريكيون يريدون فريقا لتشجيعه والوقوف معه (مثل المباريات الرياضية) أعطهم ذلك، اجعل العامة تعرف الأشياء الجيدة عن إسرائيل، بعد ان تتأكد انك أوصلت لمستمعيك انك مهتم بالطرفين وانك تريد الخير والمستقبل للطرفين، وبعد ان تتأكد انك أوصلتهم ان إسرائيل محبة للسلام وتعمل من اجله، ابدأ في عملية بناء الصلات بين المجتمع الأمريكي والإسرائيلي وتحدث كثيرا عن التشابه في القيم والمصالح، تحدث عن جهود مواطني إسرائيل اليهود والمسلمين في العمل معا من اجل التطور التكنولوجي والعلمي وفي مجال الأبحاث، تحدث عن جهود إسرائيل العلمية في البحث عن الطاقة البديلة، تحدث عن جهود إسرائيل في الإحياء التي يقطنها مواطنوها العرب لرفع الوعي الصحي ومستوى المعيشة ولحصولهم على الحق الكامل في الاستفادة من الخدمات الصحية الإسرائيلية ذات المستوى العالي جدا على الصعيد العالمي – طبعا «لوتز» يعتمد في هذا الكذب على ان المستمع الأجنبي بالتأكيد لا يعرف ان نسبة البطالة على سبيل المثال في ام الفحم العربية ٣٢٪، بينما في تل ابيب اليهودية ٤٪، وكذلك وحسب مكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي فان الفارق في مجال الخدمات الصحية بين يهود إسرائيل والفلسطينيين في إسرائيل يصل إلى ٢١٢٪، وفي مجال التعليم يصل إلى ٣٢٤٪–. تزويدهم بمعلومات كهذه وعن التعاون بين مواطني إسرائيل من مختلف الأديان، في الأبحاث العلمية والصحية يوصلهم إلى ان أمريكا وإسرائيل تتشاركان في الكثير، مثل الالتزام بحرية الأديان والصحافة والرأي واحترام حقوق الإنسان والطفل وحقوق النساء والبيئة.

ويوصي المؤلف:

ارسم الخط المتشابه بين أمريكا وإسرائيل بما في ذلك الحاجة للدفاع عن النفس من الإرهاب. استخدم التاريخ والثقافة والقيم لتبيان المشترك، كلما ركزت أكثر على التشابه بين إسرائيل وأمريكا كلما كسبت المحايدين لصفك أكثر، ركز على ان إسرائيل حليف أمريكا في محاربة الإرهاب، تحدث عن ١١ أيلول باستفاضة، كيف ان ١٩ إرهابي قتلوا أمريكيين، وعن ذلك الإرهابي الذي حاول استخدام حذاء لتفجير الطائرة، واليوم عندما يسافر الأمريكي يتعرض في المطارات لإجراءات كثيرة من التفتيش وخلع الأحذية وأجهزة الرقابة التي تؤثر على خصوصياته ويتأخر ويخسر الوقت، ولكن تخيلوا ماذا ستفعل أمريكا لو قام الإرهابيون بالدخول إلى أراضيها أكثر من ٢٥٠ مرة، وقتلوا أطفالها وهم في "الباص" أو وهم يأكلون البيتزا؟ ماذا كانت ستفعل؟ تخيلوا لو ان جيرانكم من كندا والمكسيك يطلقون الصواريخ عليكم.

الكتيب يستخدم بانتقائية حذرة، الكثير من المعلومات والأحداث التي يعرفها الناس في الغرب ويسخرها لهدفه بقلب الحقائق وإقناعهم بأسلوب الحديث الغربي بان إسرائيل هي مثلهم، وكل همها ان تعيش بسلام ومن خلال استخدام تصريحات وأقوال لفلسطينيين يريد ان يرسخ لديهم ان هؤلاء لا يعرفون سوى لغة التهديد والعنف. ثم يعلمهم أكثر على استخدام المصطلحات المفيدة، يقول لهم: إياكم واستخدام الكلمات والمصطلحات المطلقة، كل، دائما ،جميعهم، كليا ،مطلقا، أبدا، نهائيا، لا تستخدموا هذه الكلمات... المجتمع الغربي لا يقتنع بالأحكام المطلقة، لا يتعامل مع الأمور اسود وابيض، يحبون الرمادي، أعطهم دائما ان هناك أمل، هناك فسحة للسلام، قل لهم ان لدى إسرائيل برنامج وخطة لتحقيق السلام، إذا لم تقل لهم ذلك فإنهم سيتساءلون لماذا سيدعمون ما دام ليس هناك أمل أو احد لديه برنامج لتحقيق السلام، ولكن بعد ذلك قل لهم ان الأمور معقدة كثيرا ولذلك الأمر سيتطلب الكثير من الوقت، وقل لهم كي يتحقق السلام يجب أولا ان يقتنع الطرفان ويعملان معا ويتعاونان وبعد ذلك تخلق جسور الثقة وبعدها يمكن الاتفاق على الحدود وعلى اتفاقية سلام، قل لهم السلام أولا ثم أي شيء آخر– بذلك يمهد لعدم مساءلة الصهاينة عن عدم تحقيق شيء ولتحميل الطرف الآخر المسؤولية لرفضه التطبيع والعمل المشترك ضد الإرهاب.

يتبع

ثم يحذرهم من مهاجمة الإعلام ويشرح لهم أهميته وأهمية العلاقة مع الصحفيين وزيارتهم والحديث معهم باستمرار ليس فقط عندما تريد منهم شيئا، ويحذرهم من مهاجمة المجتمع الدولي أو الرأي العام العالمي لان ذلك سيجعل المستمع يرى انك معزول والكل ضدك، يقول لهم إياكم واحذروا من الوقوع في ذلك ويعطيهم أمثلة عن جمل قالها زعماء إسرائيليون أضرت كثيراً:

«احد زعماء اسرائيل قال لصحفي على الهواء في مقابلة تلفزيونية، مع كل الاحترام افحص معلوماتك وستعرف ان عليك عدم الكتابة أو الحديث عن قصص فارغة». وزعيم آخر قال: «لو استمعنا لما كان العالم يقول لنا لما استطعنا بناء دولة وتحقيق هذه الانجازات»، عليك القيام بعكس ذلك، عليك كسب الصحافة وإعطاء فكرة ان الكثير الكثير في العالم يؤيدوك، هذا يكسبك الكثير بين المترددين. مثلا إذا كنت في لقاء صحفي أو مناظرة حوارية، أولا لست ملزما بالإجابة المباشرة على الأسئلة، أنت من يحدد ما ستقول ثم حاول دائما ان تجد جملة غير ذات أهمية قالها الصحفي أو خصمك في المناظرة وامتدحها (يعني كبر رأسه) هذا يفيدك كثيرا لان المستمعين سينظرون إليك على انك غير متعصب بل وعادل، أما الصحفي أو الخصم فانك ترضي غروره وتستوعبه. الإعلام مهم ولكن عليك الذهاب حيث الناس. المحاضرات والنشرات والصحف مهمة، ولكن لا تضيع وقتك عليها فالذين يذهبون إلى المحاضرات ويقرأون الصحف هم الواعون والمثقفون والعارفون ولن تستفيد منهم كثيرا، الحق بالإنسان العادي، حسب الإحصائيات، معدل الوقت الذي يمضيه المواطن الأمريكي العادي أمام التلفزيون هو أربع ساعات وثلث يوميا، إذن عملك هناك.

لا تتحدث عن الدين، الأمريكيون الذين يرون في إسرائيل دولة دينية هم معادون لإسرائيل وأي نقاش معهم حول الدين سيخسرك، حتى ان مجرد ذكر ان إسرائيل دولة لليهود أو دولة صهيونية سيخسرك الكثير منهم، تحدث معهم عن المشترك، عن التطور التكنولوجي وحقوق الإنسان والنساء والأطفال والحماية من الإرهاب، الكلمات السحرية مع هؤلاء مثل الديمقراطية، الحرية، الأمن والسلام . أما المسيحيون الأصوليون أو الإنجيليون والذين يشكلون ربع الأمريكيين هؤلاء مع إسرائيل كليا حتى أكثر من بعض اليهود ويمكن ان نقول عنهم أنهم «كورس يقول آمين لإسرائيل » والسبب في ذلك ان دينهم يقول لهم ذلك تحدث معهم عن الله وليس عن الدين، إذا ناقشتهم في الدين ستخسر، احصر الحديث عن الله فقط.

تحدث مع الناس ببساطة وأحيانا بسذاجة وغباء:

«نريد السلام نريد الازدهار نريد الديمقراطية كرر ذلك كثيرا، ثم استخدم الأسئلة الاستفهامية» هل كثير علينا ان نطلب من حماس مجرد ان يستنكروا الإرهاب والعمليات الانتحارية؟! هل من غير المنطق ان نصر على ان يتوقفوا عن قتل أطفالنا الأبرياء قبل ان نجازف بأمننا ونقدم تنازلات من اجل السلام؟!»، كيف تقولون دائرة من العنف عن أوضاعنا بينما في الحقيقة حتى لو توقفت إسرائيل عن محاربة الإرهاب فان هذا العنف لن يتوقف؟! بينما لو توقف الإرهاب الفلسطيني فان إسرائيل ستفقد أي سبب للقيام بمنع التجول أو إقامة الحواجز أو إجراءات دفاعية أخرى. كيف تستطيع القيادة الفلسطينية الحالية الادعاء أنها تريد المضي في السلام، بينما القيادة الفلسطينية قبل سنوات قليلة رفضت عرضا بإنشاء دولة فلسطينية، والآن ترفض تنفيذ ما عليها في خارطة الطريق؟! كيف يمكن ان اعمل سلام مع من يريدني ميتا؟! لماذا يصمت العالم على أهداف حماس؟! كيف يمكن تحقيق سلام مع أناس يدرسون منذ الولادة كره اليهود وليس فقط الإسرائيليين؟!

كذلك يركز الكتيب على ان المهم الحديث عن المستقبل والابتعاد عن الحديث عن الماضي وعن التاريخ، بأسلوب ايجابي وعدم استخدام أسلوب «النفي» لا تقل هدفي عدم حدوث كذا أو أنا ضد كذا أو علينا الابتعاد عن القيام بكذا بل دائما استخدم «هدفي العمل على كذا والقيام بكذا وتحقيق كذا».

الملفت للنظر أيضا ان الفصل الثاني اقتصر على مجموعة من المصطلحات والكلمات الهامة «للنجاح في التضليل»، مثل (الدبلوماسية الاقتصادية).

عند الحديث عن حصار غزة مثلا لا تقولوا عقوبات اقتصادية، لا تستخدموا كلمة عقوبات بل «ان إسرائيل تستخدم الدبلوماسية الاقتصادية في محاربة الإرهاب والصواريخ . ولكن إذا كان حديثكم لمجموعة من الحزب الجمهوري الأمريكي فإنهم يحبون كلمات مثل العقوبات».

العشوائي او المقصود عند الحديث عن الصواريخ، لا تقولوا حماس تطلق الصواريخ بشكل عشوائي فتقتل الأطفال بل الصواريخ تطلق بقصد قتل الأطفال.

بناء وليس منح، لا تقولوا سنمنح الفلسطينيين شيئا ما لان هذه الجملة تعني انك القوي والناس بطبيعتهم يتعاطفون مع الضعيف، استخدم «بناء ظروف أفضل» لأنها أيضا تعني الخطوة خطوة.

الأصولية الإسلامية هذا أفضل مصطلح لوصف الحركات الإرهابية وابتعد عن مصطلحات فترة بوش الابن، مثل الفاشية الإسلامية وما شابه.

الفصل الثالث من أهم الفصول وفيه يظهر بوضوح الخداع والتضليل وهو عن حل الدولتين يقول لهم ان ٧٨٪ من الأمريكيين يؤيدون حل الدولتين، لذلك إياكم الحديث ضده ولكن تستطيعون الالتفاف عليه في الوقت الذي تدعون تأييده وبطريقة تعفي إسرائيل من الالتزام بالبدء بتنفيذه تحدثوا عن «المبدأ»، التعايش المشترك والعيش جنبا إلى جنب وركزوا على أهمية ونجاعة سياسة الخطوة خطوة ومبدأ السلام أولا، وقف الإرهاب أولا، استخدموا كلمات نتنياهو عن السلام الاقتصادي والازدهار وحق الفلسطينيين في الوظائف والانتعاش الاقتصادي.

عندما تقولون السلام أولا فإنكم كمن يضرب عدة عصافير بحجر واحد:

توضحون ان القضية معقدة وبحاجة لخطوات وفي نفس الوقت الحل سهل « السلام والتطبيع أولا».

تركزون على التعايش السلمي للطرفين والاحترام المتبادل.

تحصلون على فرصة تكرار الأسئلة الاستفهامية.

كونك مدافع عن إسرائيل لا يعني ان تظهر انك معاد للفلسطينيين، فرق دائما بين الشعب وبين حماس والقيادة، تحدث عن مآسي أطفال فلسطين وتعاطفك معهم واستغل ذلك في مطالبتهم بوقف قتل الأطفال، وقل لهم أوقفوا الإرهاب ليس من اجل أطفالنا فقط بل من اجل أطفالكم. وضح ان الصراع أيديولوجي وليس صراع على الأرض أو الحدود والمساحات بل هو صراع بين إيديولوجيا الإرهاب وأيديولوجيا السلام.

المستوطنون، اجعل قاعدتك "لا احد في العالم يجب ان يجبر على ترك بيته"، اذكر ان ٢٠٪ من مواطني إسرائيل فلسطينيين ولا احد يطلب إجبارهم على ترك بيوتهم. وان السلام والتعايش يحل مشاكل الجميع ولا يجبر أحدا على ترك بيته.

الفصل الرابع مخصص لحماس وينصح بقراءة مقاطع من ميثاقهم للمستمعين، والتركيز دائما على علاقتهم بإيران.

الفصل رقم ١٢ حول قضية اللاجئين من الفصول التي يحاول فيها السيد "فرانك لونتز" استخدام كل مهاراته لكسب الأمريكيين تحديدا ضد حقوق اللاجئين الفلسطينيين، في البداية يضع عنوان الفصل "حق العودة = حق المصادرة"، ويشرح ان هذه من أهم القضايا التي يجب ان تعرف كيف تتحدث عنها، يجب عدم السماح بأي شكل بدخول مصطلح حق العودة إلى معجم قادة الرأي، في أي وقت تسمعون أحدا أيا كان يقول حق العودة، يجب ان تردوا مباشرة بالتالي: لا، أنت تتحدث عن حق المصادرة وليس حق العودة، انك تتحدث عن اخذ من الإسرائيليين وهذا ما لا نقبل به، ثم ركز على اللاجئين اليهود من الدول العربية مليون يهودي هجروا من مصر والعراق واليمن والمغرب وسوريا وإيران ووصلوا إلى إسرائيل بملابسهم فقط وخسروا كل أملاكهم، في الوقت الذي يدعي فيه الفلسطينيون أنهم خسروا أملاكهم عام ١٩٤٨، هناك مثلهم من اليهود الذين خسروا كل شيء عندما طردوا من الدول العربية، ولا نستطيع الآن ببساطة إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء لكلا الطرفين، بل يجب علينا النظر والعمل من اجل المستقبل. حل الدولتين يحل المسألة، كل في دولته.

ثم هاجموا الدول النفطية الغنية مثل السعودية وإيران وقولوا لو ان هذه الدول تستثمر أموالا في الضفة الغربية بدل استثماراتها في مخيمات الإرهابيين والانتحاريين، لأصبح مستوى حياة الفلسطينيين أفضل بكثير.

قضية العودة من القضايا الصعبة والمعقدة على الإسرائيليين، لان لغتهم في الحديث عنها مثل «مفصولين ولكن متساوين»، هذه الكلمات هي كلمات سنوات الخمسينيات في أمريكا حول السود، وكلمات الذين كانوا يدافعون عن الابرتهايد في الثمانينيات، الحقيقة التي يجب ان تعرفوها، الأمريكان لا يحبون ولا يؤمنون ولا يقبلون بمبدأ «مفصولين ولكن متساوين» حتى لو قلت لهم ان الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني يريدون ذلك، ببساطة هذه اللغة لا تقبلها آذان الأمريكيين بسبب تاريخهم. ويضع هذا الفصل ستة قواعد يجب الالتزام بها في أي نقاش حول حق العودة:

سمها مطالب واشتراطات - الأمريكيون لا يحبون عندما يضع طرف شروطا على الآخر، قل ان الفلسطينيين لا يكتفون بدولة مستقلة لهم بل يشترطون أيضا اخذ أراضي في داخل إسرائيل.

أوضح ان الحديث عن أناس لم يعيشوا يوما في داخل حدود إسرائيل، وقل من عاش يمكن تعويضه أما أحفادهم فهذا غير منطقي.

ركز على "في وقت ما في المستقبل..."، وضح ان الحديث يدور بلا تحديد مواعيد للبدء أو للانتهاء وبلا تحديد نتائج وبلا اتفاق نهائي وما شابه، فهذا يضعف موقف الفلسطينيين ويشكك في فعاليته.

ركز ان الموضوع ليس موضوع أراضي بل هو يتعلق بدولة إسرائيل وان الفلسطينيين يطالبون إضافة الى دولة لهم ان يحصلوا على أراضي داخل دولة إسرائيل المعترف بها عالميا.

الموضوع هجرة فلسطينية كبيرة إلى إسرائيل، الأمريكيون والفضل لإحداث ١١ سبتمبر قلقون من موضوع الهجرة والمهاجرين لذلك سيتعاطفون معك في هذا الجانب.

هذا يفشل عملية السلام، الأمريكيون يعتقدون انه لا مكان لشروط تؤدي لفشل عملية السلام.

ثم يضع لهم الأسئلة الصعبة والمحرجة وكيفية التعامل معها، مثل: أنت تقول ان كل اليهود وحتى من يعتنق اليهودية حتى أولئك الذين لم تطأ أقدامهم إسرائيل منذ آلاف السنين لهم الحق في العودة، أما الفلسطينيون الذين عاشوا فعليا في تل ابيب ليس لهم نفس الحق في العودة إلى بيوتهم، الا ترى هذا نفاق وغير منطقي؟ الجواب: أي إنسان ينظر إلى تاريخ القرن العشرين سيجد ان اليهود في كل انحاء العالم تعرضوا لاضطهاد وحشي بسبب هويتهم اليهودية، ومع الأسف كنا قبل حوالي ستين عاما شهودا على الفظائع التي تعرض لها اليهود ولم يكن لهم مكان امن يلجئون له، ولذلك كان احد الأسباب لتأسيس دولة إسرائيل هو ان يجد اليهود مكانا آمنا يلجئون له. وهذا يختلف كثيرا عما يقوله الفلسطينيون "نريد دولة لشعبنا وكذلك نريد أرضا داخل دولتكم". نحن نقبل طلبهم الأول ولكننا نرفض الثاني.

أما أسوأ جواب لسؤال محرج عن حق العودة: ماذا بالنسبة للفلسطينيين الذين عاشوا فعليا في تل ابيب وحيفا، عاشوا هناك في بيوتهم وذهبوا إلى المدارس وترعرعوا ونشئوا في ما هو اليوم إسرائيل، الا يحق لهم العودة؟ جواب سيء: لهم الحق في العيش في دولة شعبهم، نعم لهم، لهم الحق في العيش في الدولة الفلسطينية، لهم الحق في العيش مع مجتمعهم مع ثقافتهم مع عاداتهم، الفكرة ان يكون هناك دولة يهودية للشعب اليهودي، ودولة فلسطينية للشعب الفلسطيني، أما تدفق مئات آلاف الفلسطينيين إلى إسرائيل دولة اليهود فهذا غير مقبول مطلقا. لاحظوا الاعتماد على علم النفس في الفرق بين الجواب المؤثر والمفيد والجواب السيئ.

في كل الأحوال المجال لا يتسع للحديث عن كل الفصول على أهمية ذلك، ولكن من الممكن ان نذكر عناوينها للفائدة ولمعرفة مدى شمولية الدليل، كيف تتحدث عن إيران النووية، غزة حق إسرائيل في الدفاع عن النفس، الرسالة المركزية السلام، المستوطنات، القدس، الدعم المالي والعسكري لإسرائيل، الجدار الأمني والحواجز، حق العودة، الأمم المتحدة، العرب الإسرائيليون، الأطفال وثقافة الكراهية، دروس مفيدة من لغة وطريقة حديث الرئيس اوباما، كيفية الحديث لليسار الأمريكي، إسرائيل داخل الجامعات. أما الملاحق، الأول عن الأسئلة الصعبة والمحرجة وكيفية التعاطي معها، الثاني ترجمة من ميثاق حماس، الثالث أرقام مهمة، الرابع بوسترات وشعارات مفيدة.

آلية العمل هذه بمعنى حرص قيادات اللوبي الصهيوني على تنظيم العمل وتوزيعه والتأكد من كفاءة نشطائه وقيامهم بمهامهم بالشكل الصحيح هي ما يؤدي لنتائج مثمرة، واللوبي موجود ليس فقط في الكونغرس أو البيت الأبيض أو البرلمانات الأوروبية، بل هو موجود في مختلف قطاعات المجتمع، لديهم منظمات في الجامعات وفي سكن الطلاب ولديهم منظمات مختصة بمراقبة وسائل الإعلام مثل منظمة «كاميرا» وغيرها، وعملهم كله ينطلق من مبدأ الترهيب والترغيب ومتواصل ويستخدمون كل عناصرهم وكل طاقاتهم، كل في مجاله ويستغلون كل حدث مهما صغر.

أنا لا ادعي أننا إذا سابقناهم في الحديث مع الشعوب الأوروبية والأمريكية فان مشكلتنا تحل، ولكن بالتأكيد هذا له أهمية كبيرة يجب ان نتنبه لها، على الأقل ان نعرف كيف نتحدث لهؤلاء وان نعرف خصائصهم الثقافية، لسنا بحاجة للكذب مثل اللوبي الصهيوني ولسنا بحاجة لقلب الحقائق، فقط علينا ان نعرف كيف نعبر عن أنفسنا وكيف نوصل الحقيقة بلغة وطريقة يفهمها هؤلاء، الحديث مع سكان نيويورك أو باريس ليس مثل الحديث مع أبناء الدهيشة وعين الحلوة وجباليا، من الممكن ان يكون نفس المضمون ونفس الفكرة ولكن بلغة مختلفة وثقافة مختلفة وأمثلة مختلفة، لاحظت في فترة الانتفاضة الثانية كيف كان الإعلام الغربي يجري المناظرات التلفزيونية بين إسرائيلي من أصل أمريكي أو بريطاني وفلسطيني لغته الانجليزية بمستوى الأول ابتدائي، المسألة ليست فقط في اللغة بل ان امتلاك ناصية اللغة يؤهلك لمعرفة الثقافة والمصطلحات المستخدمة والأمثلة المناسبة التي يفهمها أصحاب تلك الثقافة.

هل يخضع دبلوماسيونا أو موظفو سفاراتنا أو طلابنا في الخارج لدورات تعليمية في هذا المجال؟ هل لدينا دورات متخصصة للعاملين في الإعلام؟، أثناء قراءتي لهذا الكتيب الصهيوني تذكرت عدة أحداث، في إحدى المرات كنا في مؤتمر للأمم المتحدة في نيويورك حول القضية الفلسطينية وعندما ألقى رئيس الوفد الفلسطيني كلمته وهو من كبار الزعماء الفلسطينيين بدأ حديثه عن المؤتمر الصهيوني الأول ثم تحدث عن وعد بلفور ثم أحداث عام ٢٩ ثم الكتاب الأبيض في الثلاثينيات وعندما اقترب من فترة النكبة انتهى وقته، علما ان الحضور كان من الخبراء الذين يعرفون كل ذلك التاريخ وكانوا ينتظرون حديثا عن اليوم وعن المطلوب عمله. وفي مرة أخرى في بداية الانتفاضة الثانية كنا في مؤتمر مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في جنيف وكان الجو العام لصالحنا، وكان معنا احد الأطفال الذي فقد عينه برصاص جيش الاحتلال وغيره من الضحايا، وجاء خبر أثناء الجلسة ان الاحتلال قصف نابلس بطائرات ال أف ١٦ فطلب المندوب الفلسطيني كلمة طارئة وقال «هؤلاء الفاشيون لا ينفع معهم سوى الكفاح المسلح»، فأصبح المندوبون الأجانب يسألوننا إذن ماذا تريدون منا ولماذا جئتم إلى هنا.

خطر لي ان نستخدم هذا الكتيب مع تعديلات طفيفة، على الأقل ما دام ليس لدينا ما هو مثله حتى الآن، فإذا استخدمناه نحن يصبح حقيقة وليس أكاذيب وتضليل، فما ورد فيه في الواقع يعبر عن الموقف الفلسطيني، فنحن الضحية ونحن من يسعى للسلام ونحن من عليه ان يخاطب العالم بهذه الحقائق. وليس عيبا ان تتعلم من عدوك.

* شوقي العيسه، مدير مركز إنسان للديمقراطية وحقوق الإنسان، كاتب وحقوقي فلسطيني.

التمييز العنصري المؤسسي في إسرائيل وجنوب أفريقيا

بقلم: أدري نويهوف وبانغاني نجيليزا*

اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٦٥ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري (CERD)، وتُعَرِف هذه الاتفاقية التمييز العنصري بوصفه «أي تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم علي أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الاثني ويستهدف أو يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها، علي قدم المساواة، في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في أي ميدان آخر من ميادين الحياة العامة. ويوجد التمييز العنصري المؤسسي عندما يتجلى في قوانين وأنظمة الدولة والمؤسسات الرسمية؛ وقد طورت الحكومات المتعاقبة في كل من إسرائيل وحكومة جنوب أفريقيا البيضاء منذ عام ١٩٤٨ نظاما من القوانين والسياسات التي تغلغلت عميقا في حياة السكان الأصليين في مجالات حيازة الأراضي والملكية، الإقامة، الزواج والحياة العائلية، العمل، التعليم والصحة، وحرية الحركة والتنقل.

بعد اكتشاف الذهب في «ويتووترستراند»؛ حارب البريطانيون بنجاح ضد «البوير»، أحفاد الهولنديين، في جنوب أفريقيا خلال الأعوام ١٨٩٩-١٩٠٢، وقام البرلمان البريطاني باعتماد دستور لاتحاد جنوب أفريقيا عام ١٩٠٩ وتم الإعلان عن ذلك الاتحاد في العام التالي. ومثل هذا الاتحاد تسوية للخلافات بين البريطانيين والبوير؛ حيث كلاهما جماعتان استيطانيتان. وتبع ذلك تهميش تدريجي للسكان الأصليين من خلال اعتماد وسائل وسياسات متنوعة؛ بما فيها عن طريق سن قانون الأراضي في عام ١٩١٣، حيث أعلن ذلك التشريع عن ٨٧٪ من أراضي جنوب أفريقيا «أراض بيضاء»، وبذلك دفع أبناء الغالبية السوداء إلى خارج أراضيهم وحصرهم في ١٣٪ من الأراضي الأكثر هامشية في البلاد.

وصل الحزب الوطني للسلطة في عام ١٩٤٨؛ وقام بالمزيد من إضفاء الطابع الرسمي والمزيد من المأسسة على الممارسات الواسعة للتفرقة العنصرية؛ من خلال سن قوانين عنصرية جديدة؛ مثل قانون تسجيل السكان (١٩٥٠)؛ حيث نتج عن هذا القانون تصنيف رسمي للسكان إلى أربعة مجموعات عرقية: بيض، هنود، ملونين وأفارقة، وقانون الزواج المختلط (١٩٤٩)؛ وقانون الآداب (١٩٥٧) الذي يحظر الزواج والعلاقات التي تخترق خطوط الفصل العنصري على التوالي. استخدم «الوطنيون» [نسبة للحزب الوطني العنصري الحاكم- المترجم] قانون الأراضي المذكور أعلاه كأساس من أجل تطبيق سياسات ضبط ومراقبة تدفق السكان خلال سنوات الستينيات. وكان الهدف من ذلك هو تقليص عدد السكان الأصليين السود الأفارقة في ٨٧٪ في أراضي البلاد التي تم تعيينها بوصفها «جنوب أفريقيا البيضاء»؛ كما فرض قانون المناطق الجماعية لعام ١٩٥٥ حظرا على الأفارقة يمنعهم من التواجد في جنوب أفريقيا (البيضاء) لأكثر من ٧٢ ساعة بدون تصريح رسمي، وقامت مكاتب العمل بمطابقة العمال الأفارقة مع أعمال محددة، ومنحتهم التصاريح الرسمية للعمل والعيش في بلدة بعينها؛ حيث قيد قانون المناطق الجماعية حقوق المواطنة للأفارقة السود وحصرها في ١٣٪ من الأراضي الأكثر فقرا في جنوب أفريقا، التي عرفت بـ«البانتوستانات».

وجرت متابعة سياسة مراقبة وضبط التدفق السكاني من خلال عمليات الترحيل القسري. على سبيل المثال، في العام ١٩٥٥؛ وبعد صدور قانون المناطق الجماعية؛ تم طرد أكثر من ٦٠٠،٠٠٠ من السكان الأفارقة الأصليين من «صوفياتاون»؛ التي كان الناس من مختلف الأعراق يعيشون فيها بسلام لسنوات طويلة. فقد حدد قانون المناطق الجماعية «صوفياتاون» باعتبارها منطقة بيضاء فقط؛ مما جعل الإقامة فيها غير قانونية للأشخاص من الأعراق الأخرى ما عدا البيض. وتم إلقاء الأفارقة في مقاطعة سويتو؛ وهي مجموعة من البلدات تم تعيينها باعتبارها مناطق للسود؛ والتي كانت بمثابة احتياطي للأيدي العاملة لجوهانسبرغ التي تبعد عشرة كيلومترات فقط. خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات؛ نفذت عمليات ترحيل قسري لأكثر من ٣,٥ مليون أفريقي من أراضيهم وأملاكهم، وجرى بين عامي ١٩٦٦ و١٩٧٥ محاكمة ٥,٨ مليون أفريقي بموجب القوانين المقيدة لحرية الحركة.

في الرابع عشر من أيار ١٩٤٨، وهو ذلك اليوم الذي انتهت فيه صلاحية الانتداب البريطاني على فلسطين؛ تم الإعلان عن «تأسيس دولة يهودية في «أرض إسرائيل»، لتعرف باسم دولة إسرائيل». إسرائيل هي واحدة من الدول القليلة التي ليس لها دستور، واعتمدت بدلا من ذلك مجموعة من القوانين الأساسية، وفي عام ١٩٨٥؛ تم إعادة التأكيد في الكنيست الإسرائيلي على طابع إسرائيل باعتبارها دولة يهودية؛ عندما صادقت الكنيست على قانون أساس يمنع الأحزاب السياسية من المشاركة في الانتخابات إذا كانت تعارض «وجود دولة إسرائيل بوصفها دولة الشعب اليهودي». وبكلمات أخرى، فإن أولئك الذين يريدون الدولة أن لا تكون لليهود فقط؛ وإنما دولة لجميع مواطنيها، لا يمكنهم المشاركة في الانتخابات.

وتماما مثل جنوب أفريقيا؛ تبنت إسرائيل قوانين وسياسات تهدف لحرمان السكان الأصليين من الوصول إلى أراضيهم وأملاكهم. قدرت لجنة الأمم المتحدة للتوفيق (لجنة التوفيق الدولية بشان فلسطين) أن حوالي ٨٠٪ من أراضي إسرائيل هي أملاك صودرت من الفلسطينيين. ولا يزال الفلسطينيون ممنوعين بموجب القانون الإسرائيلي من امتلاك أو تأجير أراضيهم. وهذه الأيام؛ يمتلك فلسطينيو إسرائيل حوالي ٣٪ فقط من الأراضي في إسرائيل؛ وذلك كنتيجة لعمليات تجريد الفلسطينيين المتواصلة من أراضيهم بموجب التشريعات الإسرائيلية العنصرية.



وكان قانون العودة لعام ١٩٥٢ أداة بيد إسرائيل لترحيل المواطنين الفلسطينيين من أراضيهم. يمنح هذا القانون «كل يهودي، أينما كان، الحق في الهجرة لإسرائيل وأن يصبح مواطنا إسرائيليا». وقد تم لاحقا توسيع هذا الحق لليهود «ليشمل الأطفال، أطفال الزوج/ة اليهودية، والأطفال الأحفاد لزوجـ/ة يهودية». وفي حين يتعامل هذا القانون بسخاء تجاه المهاجرين اليهود من جميع أنحاء العالم؛ فإنه يميز ضد الفلسطينيين الذين ولدوا فعليا على أرض فلسطين، ويميز ضد أنسالهم أيضا. هناك مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين الذين فروا من عنف وعدوان المليشيات الصهيونية والقوات الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨؛ جرى عزلهم عن أراضيهم وممتلكاتهم داخل إسرائيل؛ حيث لم يعترف قانون العودة الإسرائيلي، بحق هؤلاء الفلسطينيين في العودة إلى مواطنهم في ديارهم. والسبب ببساطة؛ لأنهم ليسوا يهودا. في عام ١٩٦٧ تم حرمان حوالي ٧٠،٠٠٠ فلسطيني من السكان الأصليين من حقهم في البقاء في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وذلك لأنهم لم يكونوا موجودين في الأراضي المحتلة أثناء إجراء التعداد السكاني، الذي نفذته إسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بوقت قصير. وفي عام ٢٠٠٣؛ تم تمرير قانون «مؤقت» من قبل الكنيست يحرم الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة والمتزوجين/المتزوجات من مواطنين إسرائيليين/إسرائيليات من العيش في داخل إسرائيل.



شبكة الطرق الخاصة بالمستوطنين تلتهم أراضي الفلسطينيين بالضفة الغربية. (المصدر: *OCHA*)

يتطلب التمييز العنصري المؤسسي نظاما إداريا لتعريف وتقسيم السكان إلى هويات عرقية أو طائفية، ويستتبع حقوقا وتعاملات مختلفة حسب التصنيف. فقد قاد قانون تسجيل السكان في جنوب أفريقيا لعام ١٩٥٠ إلى إنشاء السجل الوطني للسكان؛ الذي اشتمل على تسجيل الانتماء العرقي لكل شخص؛ استنادا إلى تصنيفهم إلى أربعة مجموعات عرقية: «أسود»، «أبيض»، «ملون» و«هندي». وتمت الإشارة لهذا التصنيف في الهوية الشخصية. وكان «مجلس تصنيف الأعراق» هو الجهة التي تتخذ القرار النهائي بشأن الحالات المتنازع عليها حول الانتماء العرقي لشخص ما. وحظي المصنفون عرقيا كـ«بيض» بالمعاملة الرسمية الأفضل، كما تم اعتبارهم كائنات متفوقة بالنسبة للآخرين؛ بينما حصل الأفارقة الأصليين على المعاملة الأسوأ. كما نتج عن هذا القانون تفرقة بين العائلات، حيث حدث أن تم تصنيف بعض أفراد الأسرة كـ«ملونين»، فيما جرى تصنيف أفراد آخرين من نفس الأسرة كـ«أفارقة»، وبناء عليه؛ تم إجبار هؤلاء على العيش في أحياء سكنية منفصلة، والذهاب إلى مدارس مختلفة وفقا للتصنيف العنصري. على سبيل المثال، في حالة «ساندرا لينغ» التي ولدت في عام ١٩٥٥ لعائلة محافظة بيضاء، وجرى تصنيفها على أنها «ملونة»، وبالتالي، فرض عليها أن تدرس في المدارس المخصصة للأطفال السود، وعندما تغير القانون في عام ١٩٦٧؛ تم إعادة تصنيفها على أنها بيضاء؛ حيث تقرر أن الطفل المولود لأبويين من البيض لا يمكن أن يتبع إلى مجموعة عرقية أخرى.

في عام ١٩٥٨؛ كان السكان السود محرومين من حقوق المواطنة؛ حيث أصبحوا من الناحية القانونية مواطنين في واحدة من عشرة مناطق للحكم الذاتي؛ تم تحديدها على أساس قبلي وسميت «بانتوستانات»؛ وأربع من هذه البانتوستانات أصبحت تسمى دول مستقلة، ولاحقا لذلك؛ صدر قانون الجنسية لـ«أوطان» (مواطن - بفتح الميم والطاء) الـ«بانتو» لعام ١٩٧٠؛ مضيفا المزيد من مأسسة القيود على حقوق المواطنة والجنسية لأبناء الأغلبية السوداء في «الأوطان» أو البانتوستانات، الموجودة على مساحة ١٣٪ من أفقر أراضي جنوب أفريقيا، وذلك وفقا للانتماء العرقي. فعلى سبيل المثال، الزولو محصورون في أراضي الزولو، الأكسوساس في الترانسكي والسيسكي، الشانغان في االغزانكولو، السوثو الجنوبيين في الكواكوا، السوثو الشماليين في ليباوا، نديبليس في كوانديبلي، التيتواناس في بوفو ثاتسوانا، فينداس في فيندا والسوازي كانغوين. وتم ترحيل السكان السود إلى «بانتوستاناتهم»؛ حيث قامت الحكومة بعزل السكان عن بعضهم البعض بحسب الهوية العرقية، ووفرت لهم تعليما أقل شأنا، ونفس الأمر بالنسبة للرعاية الصحية والخدمات العامة الأخرى؛ حيث جرى تزويد السود بخدمات أقل شأنا بكثير من تلك التي كانت تقدمها لسكان الأقلية البيضاء. وكل ذلك بناء على قوانين عنصرية وتمييزية؛ مثل قانون تعليم الـ«بانتو» لعام ١٩٥٣، و«قانون المرافق العامة المنفصلة» لعام ١٩٥٣.

أما في إسرائيل، يفرض قانون تسجيل السكان لعام ١٩٦٥ على جميع المقيمين في إسرائيل تسجيل انتمائهم العرقي ودينهم في سجل السكان، ويفرض عليهم الحصول على هوية شخصية؛ وتحمل الهوية الشخصية بيانات تظهر الانتماء العرقي؛ وإذا ما كان الشخص «يهوديا»، «عربيا»، «درزيا»، أو كما هو مسجل لدى وزارة الداخلية الإسرائيلية، ويصنف اليهودي كيهودي عندما تكون أمه يهودية. وعندما يعرض شخص ما بطاقته الشخصية لأحد أفراد الشرطة، ضباط الأمن، الجنود، أو للموظفين في المكاتب الحكومية الإسرائيلية؛ فإن هؤلاء يعرفون «القطاع» الذي ينتمي إليه الشخص بناء على ما هو مذكور في بطاقة هويته. ولا يعترف بقومية «إسرائيلية» في إسرائيل؛ وهكذا لا تذكر صفة «إسرائيلي» أمام خانة الجنسية / أو القومية في بطاقة الهوية الإسرائيلية إطلاقا.

ووفقا لمكتب مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان؛ يوجد في إسرائيل «نظام قانوني مزدوج يميز بين اليهود الإسرائيليين وبين السكان الفلسطينيين الأصليين على أساس منزلة مشيدة لـ«القومية اليهودية»؛ وهذه الممارسة القانونية المؤذية؛ تظهر واضحة وجلية في جميع العمليات والإجراءات المتعلقة بتطبيق النظام القانوني، بدءا من الحق في الوصول للمعلومات، مرورا بالحق في محاكمة عادلة وحتى إجراءات الاعتقال ومعاملة السجناء».

وبناء على كل ذلك، يوجد في إسرائيل، كما كان في جنوب أفريقيا سابقا؛ تمييز عنصري مؤسسي بين المجموعات العرقية المختلفة، وأدى وجود مثل هذا النظام في جنوب أفريقيا إلى الإعلان عن الأبارتهايد باعتباره جريمة ضد الإنسانية؛ وهذا نفس النظام الذي تعمل به دولة إسرائيل ولا زالت تطوره وتعززه؟!

---

*أدري نويهوف Adri Nieuwhof وبنغاني نجيليزا Bangani Ngeleza هما مستشاران مستقلان من كل من جنوب أفريقيا وهولندا على التوالي، وقد شارك نجيليزا في حركة ا التحرير الوطني كعضو في المؤتمر الوطني الأفريقي للإطاحة بنظام الأبارتهايد في جنوب أفريقيا؛ فيما شاركت نيوهوف في دعم المؤتمر الوطني الأفريقي لتحقيق أهدافه التحررية؛ وذلك من خلال نشاطها كعضو في اللجنة الهولندية للتضامن مع الشعب الجنوب أفريقي

فلسطين ما بين الصهيونية والامبريالية
طريقنا للانتصار يكمن في فهم أسلوب عملهما

بقلم: توفيق حداد*

لا معنى لمناقشة قضية فلسطين بدون التطرق لدور الامبريالية في خلق وإدامة الصراع الفلسطيني – الصهيوني، وفضلا عن ذلك؛ فإنه من المستحيل القيام بذلك بدون ربط القضية الفلسطينية بالمحيط العربي الأوسع في الشرق الأوسط وبالمصالح الامبريالية الغربية في المنطقة.

فعلاقة فلسطين بالامبريالية والاستعمار هي أكثر تعقيدا من التصورات الكلاسيكية لهذه العلاقة، حيث قامت الدول الغربية تاريخيا باستغلال موارد بلدان «العالم الثالث» التي كانت تستعمرها. وبالرغم من أن هذا النمط من الاستغلال يحتل جزئيا مكانا هنا؛ إلا أن الفلسطينيين بوجه عام لا يملكون مثل هذه الموارد أو السلع القيمة، خاصة بالنسبة للأسواق العالمية، ولذات السبب؛ لا يوجد أيدي عاملة فلسطينية أو سوق استهلاكي له قيمته بالنسبة للرأسمال العالمي. وبدلا من ذلك، تكمن أهمية فلسطين في التوجه التاريخي الذي أبدته الامبريالية تجاه موقعها الجغرافي الاستراتيجي، فالموارد القيمة موجودة في العالم العربي الأوسع، وصدى رمزية فلسطين بين العرب وجميع أنحاء «العالم الثالث» بوصفها قضية ملهمة في تحدي القوى الامبريالية.

ويرسي هذا الفهم الأساس الذي يجب على المرء أن ينظر من خلاله للامبريالية الغربية باعتبارها السند التاريخي والمستمر للحركة الصهيونية ولإنشاء دولة إسرائيل واستمراريتها، بيد أن ذلك؛ ليس من أجل إغفال حقيقة أن أسباب ظهور الحركة الصهيونية كان لها منطقها الداخلي الخاص؛ آخذين بالاعتبار التمييز العنصري الأوروبي ضد اليهود، وصعود القومية الأوروبية مع نهاية القرن التاسع عشر. وبرغم ذلك، استمرت العهود الإستراتيجية المزيفة بين الصهيونية والامبريالية الغربية التي تمت صياغتها في الأصل، وواصلت صياغة وتأطير الدعم الامبريالي الغربي الحاسم لإسرائيل؛ ويمثل ذلك الإطار الأساسي لفهم ما يجري هنا. ولهذا السبب؛ لا بد من الغوص في الدور الاستراتيجي الذي تلعبه إسرائيل تاريخيا لصالح هذه القوى، وفي الوقت الحاضر؛ لأنها ترسي الأساس لفهم الكيفية التي يمكن للقوى المناهضة أن تعمل بها في التصدي لها بطريقة فعالة.

دور إسرائيل في خدمة الامبريالية والرأسمالية

حتى قبل أن تظهر دولة إسرائيل إلى حيز الوجود، قدم المفكر الصهيوني «ثيودور هيرتسل» رؤية لدولة يمكن أن توجد وتقوم على خدمة المصالح الامبريالية الغربية على نطاق واسع في منطقة الشرق الأوسط – «حصنا منيعا ضد آسيا ... ومخفرا متقدما للحضارة ضد البربرية.»[1] وقد فهم جميع القادة الصهاينة قبل قيام الدولة وحتى هذه الأيام، بأن هذا الولاء لأهداف الامبريالية الغربية؛ من شأنه ضمان الدعم لدولة إسرائيل وهيمنتها على العالم العربي، وخلافا لحالات الاستعمار الأخرى التي كان لها «دولة أم» لتوفير الدعم والتمويل، وتنفيذ مثل هذا المشروع العسكري، مثل بريطانيا العظمى في الهند أو فرنسا في الجزائر، فالحركة الصهيونية تفتقر لمثل هذه «الدولة الأم». ولهذا السبب؛ فشلت الحركة الصهيونية فعليا في سنواتها الأولى، فلا كسبت الكثير من التأييد على المستوى العالمي ولا حتى في أوساط اليهود أنفسهم حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وقد بدأت الأمور تتغير عندما أدركت القيادة الصهيونية أنها بحاجة لمزاوجة مشروعها مع مصالح امبريالية داعمة – في هذه الحالة، كانت صهيونية بريطانيا العظمى تواقة لوجود قوة إمبريالية كبرى داعمة لها، وتقوم بتزويدها بمظلة تعمل تحتها، وعلى وجه التحديد؛ أدركت أنه بدون مثل هذا الدعم، فلن تستطيع الاستمرار في مشروعها من ناحية مالية، عسكرية أو معنوية وأخلاقية.

وفي وقت مبكر، قامت القيادة الصهيونية بوعي كامل ببيع الخدمات التي يمكن للحركة أن تقدمها لبريطانيا العظمى، وذلك مقابل الحصول على الدعم لإقامة دولة يهودية في فلسطين. أحد القادة المشاركين في تاسيس المنظمة الصهيونية العالمية، وهو «ماكس نورداو **Max Nordau**؛ أعلن عن ذلك صراحة في ١٢ تموز عام ١٩٢٠ في خطاب قدمه في لندن متحدثا لأعضاء البرلمان البريطاني، جاء فيه:

خلال لحظة خطيرة في الحرب العالمية الأولى، اعتقدتم أن علينا، نحن اليهود، أن نقدم لكم خدمة مفيدة، وقمتم بالالتفات إلينا مقدمين الوعود التي كانت نوعا ما عامة، ولكن يمكن اعتبارها مرضية [في إشارة لوعد بلفور]، أخذنا توجهاتكم في الاعتبار، وكنا نشعر بالولاء للمقترحات التي تخصكم، نحن فقط نريد أن نستمر، فقد أبرمنا معكم عهدا، ونحن ننظر بعناية للمخاطر والالتزامات المتعلقة بهذا العهد، ونحن نعرف ما تأملون في الحصول عليه منا؛ يجب علينا حماية قناة السويس من أجلكم، وسوف نكون حماة طريقكم إلى الهند لأنها تمر عبر الشرق الأوسط، ونحن جاهزون لتحمل هذا الدور العسكري الصعب؛ ولكن هذا يتطلب منكم السماح لنا بأن نصبح أقوياء كفاية؛ لكي نكون قادرين على الوفاء بدورنا، الولاء بالولاء، الإخلاص يقابله إخلاص.[2]

وبعد حرب عام ١٩٦٧؛ حلت الامبريالية الأمريكية محل بريطانيا العظمى وفرنسا باعتبارها الحليف الرئيس الداعم لإسرائيل، ولكن؛ لم تتغير طبيعة العلاقة ودور إسرائيل، وحتى أنها توسعت ليس فقط لتشمل حماية قناة السويس، بل لما هو أكثر أهمية؛ وهو تامين حماية طريق القوى الغربية لنفط الشرق الأوسط. كما كتبت صحيفة هآرتس الإسرائيلية اليومية في مطلع الخمسينات:

خلال قيام إسرائيل بدور كلب الحراسة؛ لا يفترض أن يخشى من قيامها باتخاذ سياسة عدوانية تجاه الدول العربية حتى لو بدا ذلك متعارضا مع إرادة الولايات المتحدة وبريطانيا، ولكن؛ إذا وجدت أية أسباب لذلك، فسيكون على الدول الغربية أن تغض الطرف أحيانا، لأنه يمكن الاعتماد على إسرائيل في معاقبة دولة واحدة أو عدة دول مجاورة من تلك الدول التي تتجاوز الحدود المسموح بها في فظاظتها نحو الغرب.»[3]

وفي نطاق هذه الوظيفة ظل الغرض الأساسي لدولة إسرائيل على الدوام، بل اختصاصها؛ هو تخريب، قمع، اقتلاع وتدمير اي جهة أو قوة قد «تهدد» الوصول والهيمنة الغربية على المنطقة، وبشكل خاص احتياطاتها غير العادية من البترول، والتي تم وصفها في أحد المرات من قبل واشنطن بأنها «أعظم جائزة في تاريخ البشرية.»

تاريخيا، هددت القوى القومية العربية هذه المصالح؛ لأنها قوى تدعو لتقرير المصير للشعوب العربية وحقها في مواردها الطبيعية، وناضلت ضد التجزئة المصطنعة، التي مزقت الوطن العربي إلى ٢٢ دولة في بداية القرن العشرين. وظلت المنطقة ببساطة ذات قيمة جيو–استراتيجية عالية جدا بالنسبة للمصالح الرأسمالية، عملت الولايات المتحدة على تحديد سقف الاجندة التنموية العربية لكي تبقي على «امتياز» سيطرتها على منابع النفط في المنطقة، وأن لا يكون في قبضة جهة امبريالية أخرى.

وقد عملت إسرائيل ضمن هذه المهمة بدون كلل أو ملل من أجل تقويض التطلعات القومية العربية، وعلى الرغم من كون أفضل وأبرز انجازات إسرائيل كان الهجوم المفاجئ وهزيمة عموم الحركة القومية العربية الناصرية عام ١٩٦٧؛ فهذه لم تكن سوى قمة جبل الجليد لما تعهدت إسرائيل على القيام به، من حيث التخلص من أي أثر وجميع بقايا الحركة القومية العربية. ومن الجدير بالذكر هنا؛ الإشارة إلى بعض أوجه هذه السياسة التوسعية المحمومة، حيث نادرا ما يتم التطرق لها، وهذا ضروري، وهام بسبب كون الاتجاه القوي في العالم العربي وفي أماكن أخرى، يرى بشكل خاطئ أن السياسات الأمريكية تكون مدفوعة من قبل «اللوبي الإسرائيلي» أو «اليهود»، أكثر من دوافع الطبقات الحاكمة الأمريكية ومصالحها الرأسمالية:

– قامت إسرائيل منذ إنشائها بالاشتباك مع، وبهزيمة أنظمة عربية مختلفة في حروب كبرى في ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣ و١٩٨٢، وقد كانت إسرائيل هي المبادرة بالهجوم في جميع هذه الحروب ما عدا حرب العام ١٩٧٣.

– دأبت إسرائيل دوما على دعم الدول غير العربية الموجودة على أطراف العالم العربي، مثل تركيا، إيران، كينيا وأثيوبيا؛ وذلك كوسيلة لضمان تبديد موارد الدول العربية على النفقات الدفاعية لحماية ذاتها من جيرانها، وهذا معروف في «قاموس» الدفاع الإسرائيلي بـ«نظرية التطويق» الشامل. وقد تم استخدام الحرب كوسيلة لكي تكون إسرائيل قادرة من خلالها على هدر الموارد العربية الاقتصادية والمالية، السياسية والبشرية.

– دأبت إسرائيل على دعم الأقليات العرقية والدينية في العالم العربي؛ باعتبارها طريقة لكسر وإجهاض القومية العربية من الداخل، وهذا معروف في القاموس الإسرائيلي بـ«نظرية التحالف مع الأطراف»، وقد استهدفت هذه السياسة في بداياتها اليهود العرب، وبشكل خاص في كل من العراق، مصر والمغرب، وحتى وصلت هذه السياسة لأبعد من ذلك؛ عبر زراعة المتفجرات في الكنس والممتلكات اليهودية؛ من أجل إثارة وتحريك موجة من هجرة اليهود العرب لإسرائيل في مطلع الخمسينات. كما حاولت إسرائيل إشعال نار التمرد لدى أقليات ومجموعات أخرى في العالم العربي؛ مثل الأقباط في مصر، الموارنة في لبنان، والأكراد في العراق، وفي السودان باعتبار ذلك طريقة لإضعاف القومية العربية.

– وقد عملت إسرائيل لصالح مساعدة الأنظمة العربية الموالية للغرب، ومساعدتهم في الدفاع عن نفسها ضد الحركات الوطنية الداخلية، فقد ذكر



طائرة حربية إسرائيلية من صنع أمريكي تشارك في قصف قطاع غزة، كانون الأول ٢٠٠٨ (المصدر: أ.ب)

«شبتاي شافيت»، رئيس سابق للموساد الإسرائيلي، ـــ ذكر صراحة أن إسرائيل دعمت القوات الملكية في اليمن ضد القوات الجمهورية خلال سنوات الستينيات، وأرادت إسرائيل من ذلك إضعاف عبد الناصر الذي كان يدعم الجمهوريين، وكجزء من فكرة إستراتيجية شاملة «لتجزئة العالم العربي والبحث عن حلفاء في المنطقة،»[4] حسب أقواله.

– على مدى سنوات طويلة؛ شاركت إسرائيل، بصورة مباشرة وغير مباشرة، في اغتيال وتصفية القوميين العرب والتقدميين البارزين، ومن ضمنهم الثائر المغربي الكبير مهدي بن بركة في عام ١٩٦٧، قادة وأعضاء في جبهة التحرير الوطني في الجزائر، إضافة إلى المئات من الثوريين والقادة في الحركات الوطنية اللبنانية والفلسطينية.

– عملت إسرائيل على منع أي نظام عربي من تحدي تفوقها العسكري وهيمنتها في منطقة الشرق الأوسط، وبخاصة من أجل منع العرب من تطوير قدرات نووية. وفي سياق ذلك، قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووي العراقي خلال عملية تجميعه في فرنسا عام ١٩٧٧، وقامت باغتيال مجموعة متنوعة من العلماء الذين كانوا يعملون في البرنامج النووي العراقي؛ ومن أبرزهم العالم المصري يحيى المشد في باريس. أيضا، قامت إسرائيل باغتيال صاحب فكرة مشروع المدفع العراقي العملاق في بروكسل، ودمرت بواسطة القصف مفاعل تموز (اوزاريس) العراقي في عام ١٩٨١.

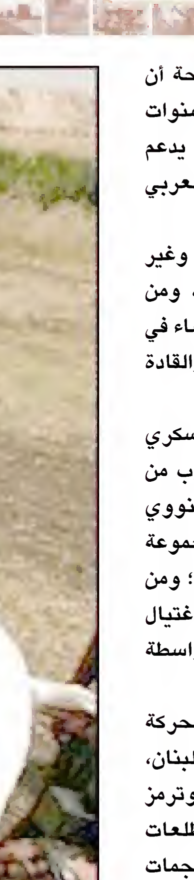
– حاولت إسرائيل مرارا وتكرارا العمل على إضعاف وتدمير الحركة الوطنية الفلسطينية، بشكل خاص عام ١٩٧٠ في غزة، عام ١٩٨٢ في لبنان، في عام ١٩٨٧ في الانتفاضة الأولى، ومؤخرا خلال انتفاضة الأقصى. وترمز الحركة الوطنية الفلسطينية أكثر من أية حركة أخرى إلى وحدة التطلعات القومية العربية، وعملت حتى وقت قريب كجبهة تصدي رئيسية للهجمات الامبريالية الغربية ضد القومية العربية.

وبسبب نجاحات إسرائيل الكبيرة ضد القومية العربية؛ تشارك إسرائيل في السنوات الأخيرة في تقويض الحركات الإسلامية الناشئة التي حان دورها لتغطي على ما كانت يوما ما أبرز الحركات الوطنية في جميع أرجاء المنطقة. وعلى غرار القومية العربية المتشددة؛ فإن العديد من الحركات الإسلامية الناشئة تظهر نفسها على قدم المساواة كحركات مناهضة للامبريالية والصهيونية، وبالتالي، من المطلوب سحق نشاطاتها. وعلى صعيد آخر، فإن وجود أعداء «إسلاميين» يجعل من الأسهل بكثير على إسرائيل إضفاء الشرعية على عمليات قمعها لهذه الحركات وللمنطقة ككل. ولا ينبع ذلك فقط من تبرير هذا القمع تحت عباءة «الحرب على الإرهاب»، أو لأن الإسلام نفسه ذو قوة توحيدية كدين؛ ولكن في الواقع، لأن عددا من البلدان دخلت، من خلال عملية إنهاء الاستعمار، في مواجهة مع الامبريالية الغربية، وهي تميل بوجه عام لإدارة نضالها على أساس قومي أو أيديولوجي، وليس على أساس ديني؛ وهذا يجعل من الصعوبة بمكان على هذه الدول، وعلى أولئك المتعاطفين مع مثل هذه الحركات أن يضعوا أنفسهم مع أو أن يدعموا مثل هذا الكفاح.

وكل ذلك لا يشمل الحديث عن الخدمات التي قدمتها إسرائيل لحليفتها الامبريالية خارج الوطن العربي، سواء كان في جنوب أفريقيا الفصل العنصري، أمريكيا الوسطى (نيكاراغوا، هندوراس وغواتيمالا)، أمريكيا الجنوبية (كولومبيا وفنزويلا)، وفي آسيا (تيمور الشرقية والهند). فقد لعبت إسرائيل أدوارا مهمة في جميع هذه الساحات؛ سواء كان هذا الدور من خلال التزويد بالأسلحة، الخدمات والتدريب؛ وذلك خدمة لمصالح الامبريالية الأمريكية، وفي خدمة أتباعها الذين يعملون ضد أعدائها.

وطبيعة هذا النشاط الجماعي الواسع جعل من إسرائيل حليفا لا غنى عنه بالنسبة للولايات المتحدة، وهو أكثر قيمة وفوق أي نظام عربي محلي تابع وميال للغرب، والموجود على الدوام في حالة من عدم الاستقرار نابعة من عدم شرعيته تجاه شعبه في الداخل. وهذا كله ليس من أجل القول أن إسرائيل والحركة الصهيونية هما الحليف القاهر الذي يستطيع أن يفعل ما يشاء. بالطبع، يوجد قيود على القوة الإسرائيلية، مما يضطر الولايات المتحدة أحيانا على التدخل المباشر. وعلاوة على ذلك؛ يجب أن لا يسقط المرء من حسابه وجود الدوافع والتطلعات الإسرائيلية – الصهيونية المستقلة، ولكن في الحالات النادرة التي يحصل فيها تناقض مصالح بين الولايات المتحدة وإسرائيل، فمن الواضح أنه عندما تشد الولايات المتحدة عضلاتها تستجيب إسرائيل.[5] فالطاعة الإسرائيلية للولايات المتحدة إلى جانب اندماجها العضوي في منظومة المصالح الامبريالية الأمريكية؛ قد أدى إلى الكثير من الثناء على «الدولة اليهودية». الخبير العسكري الأمريكي، وضابط الاستخبارات في سلاح الجو، الميجر جنرال «جورج كيغان»، نقل عنه قوله: أن دافعي الضرائب الأمريكيين سيتكلفون ١٢٥ بليون دولار كل عام من أجل الحفاظ على قوات مسلحة مساوية لقوة إسرائيل في الشرق الأوسط، وأن العلاقات العسكرية الأمريكية الإسرائيلية تعادل «خمسة أجهزة CIA".[6]

هذا هو الإطار الصحيح الذي يمكن من خلاله فهم وتفسير أفعال إسرائيل اليوم؛ فإسرائيل هي مقاول من الباطن للمصالح الرأسمالية على العديد من المستويات، ومن ضمنها إخضاع العالم العربي عسكريا، وعلى وجه الخصوص، فإن قيام إسرائيل بإخضاع الشعب الفلسطيني يمثل نموذجا





متدينون يهود يقنعون جنود الاحتلال بأن قتل الفلسطينيين واجب مقدس، أثناء عدوانهم على القطاع، كانون الثاني ٢٠٠٩ (المصدر: *Getty Image*)

محليا لهذا القمع؛ الذي تهدف من خلاله لإخماد المقاومة الفلسطينية، وبالتالي؛ فهذه المقاومة تنبع بشكل طبيعي من التوسع الاستعماري الصهيوني والأيديولوجية، وتجعل من النشاط المناهض للصهيونية معادل للنشاط المناهض لامبريالية الولايات المتحدة الأمريكية.

إضافة لذلك، من المهم التأكيد على أن هذه المصالح لا تخص حزبا سياسيا في الولايات المتحدة دون سواه، جمهوريا كان أم ديمقراطيا؛ بل هي فوق كل الأحزاب؛ وبكلمات أخرى؛ هي مصالح كل الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة. فكلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري رأسماليان يخدمان المصالح الرأسمالية للولايات المتحدة الأمريكية، وهما مدعومان من الشركات الوطنية الكبرى والعابرة للقارات.

وطالما هذه هي الصورة؛ فإن سلب حقوق الشعب الفلسطيني وقمعه ليست مجرد خيار سياسي، قابل للتأثر بجماعات الضغط السياسي، وإنما جزء متكامل من المصالح الرأسمالية للولايات المتحدة الأمريكية. فالإمدادات المالية والعسكرية المستمرة، والدعم الدبلوماسي الثابت لإسرائيل، تمثل كلها الأدوات اللازمة لتزويد إسرائيل بكل ما تحتاجه من أجل أن تنفذ وتحقق الأهداف المطلوبة منها. ولهذا السبب، حتى الرئيس أوباما، بكلماته المعسولة؛ هو من الناحية الهيكلية؛ المدافع عن امبريالية الولايات المتحدة ومصالحها ضد منافسيها، وعليه فمن المرجح أنه يسعى لجعل هذا النظام يعمل بصورة أفضل مما كان عليه، باختصار سيحافظ عليه وفق المبادئ التوجيهية الإستراتيجية لهذه السياسات.

التعلم من تحليل السياسة الإمبريالية

إن أية محاولة لإخراج القضية الفلسطينية من منطق امبريالية ورأسمالية الولايات المتحدة ومصالحها في الشرق الأوسط؛ ستكون نوعا من العمى الذاتي؛ الذي يزيل أية إمكانية للوصول إلى أي وضوح بشان ما هي عليه «المشاكل» الحقيقية في الواقع، ناهيك عن إمكانية معرفة أي شيء عن الحلول لمواجهة هذه المشكلات.

وعليه، فإن حل القضية الفلسطينية يجب أن يكون في إطار أوسع من الداخل الفلسطيني، ليشمل المستوى الإقليمي والعالمي ومرتبط أيضا بنضال الأمريكيين الداخلي ضد امبريالية الولايات المتحدة، وجنبا إلى جنب مع القوى التي تواجه في سياستها الرأسمالية الأمريكية في المقام الأول. وهذا ليس هو المكان للدخول في هذا الموضوع لسعته وتعقيداته، ولكن يوجد هنا ملاحظتان مناسبتان ومرتبطان بقضيتنا بشكل مباشر:

الأولى، لا يوجد لجميع الأمريكيين مصلحة في مآثر الاستغلال الامبريالي الأمريكي، وفي الحقيقة؛ إن الغالبية العظمى من الأمريكيين ليس لهم مصلحة على الإطلاق، كما يعانون من هذه الامبريالية؛ ذلك لأن الحاجة الماسة للضرائب يتم إنفاقها في اعمال عسكرية باهظة التكلفة تثري فقط جيوب النخبة الأمريكية، التي تستغل الأمريكيين الفقراء أصلا؛ وهذا يعني أن لدى القضية الفلسطينية حليف إستراتيجي موجود موضوعيا في الطبقات العاملة الأمريكية، والتي لا تستفيد من اضطهاد اسرائيل للفلسطينيين أو العرب.

وثانيا، نحن لسنا وحدنا ضحايا الامبريالية الأمريكية، فالعديد من الشعوب الأخرى ناضلت ضد هيمنة الولايات المتحدة وامبرياليتها وشركائها فيما مضى ولا تزال. بالنسبة لقضيتنا؛ يوجد حاجة كبيرة لدراسة التاريخ وتلك التجارب النضالية، سواء العالمية منها أو الأمريكية الداخلية، ومن ثم محاولة استيعاب هذه الدروس ضمن نضالنا الخاص؛ لعقد تحالفات وتشبيك في أوساط ضحايا تلك السياسات الامبريالية. فنحن اذا ما تحالفنا معا نشكل الأغلبية في النهاية، نحن المضطهدين، وإلى جانبنا الحقيقة والعدالة. فبيننا العديد من نقاط التقاطع واللقاء المحتملة والإمكانيات غير المستغلة من جانب حركتنا، وكلما قمنا بصياغة هذه التحالفات والروابط بشكل أعمق، كلما كنا قادرين أكثر على بناء حركة تستطيع الحصول على الموارد، وعلى المعرفة والوسائل اللازمة لهزيمة هؤلاء الأعداء الأكثر قوة وتطورا – الامبريالية الأمريكية ودولة إسرائيل الصهيونية.

إن حركة المقاطعة، سحب الاستثمارات وفرض العقوبات المتنامية في جميع أنحاء العالم؛ هي مثال جيد لكيفية تنظيم بعض هذه التحالفات، وكيف يمكن تنفيذ النشاط بفعالية، كما أنه يوجد مجال كبير للتوسع بناء على الانجازات المهمة للحركة؛ من أجل مصلحة فلسطين، ومن أجل الخير لبقية العالم.

هوامش

١ تم اقتباسها في مكسيم رودنسن، «إسرائيل: دولة مستوطنين استعمارية؟» (نيويورك، باثفايندر برس Pathfinder Press، ٢٠٠٢)، ص ٤١.

٢ ماكس نورداو، "الأعمال الصهيونية" المجلد الرابع، ص ٢٠٣، صدر عن المكتبة الصهيونية The Zionist Library، الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية، القدس، ١٩٦٢.

٣ فيل مارشال Phil Marshall، الانتفاضة (Bookmarks، لندن، ١٩٨٩)، ص ص ٧٦-٧٧.

٤ مقتطف من يوسي ميلمان Yossi Melman، هآرتس ٢٠٠٠/٢/٢١.

٥ لقد لاحظنا أن هذه حالات نادرة من التباين العام بين سياسات إسرائيل والولايات المتحدة في قضية حوناثان بولارد (الجاسوس الإسرائيلي الذي كان مواطنا أمريكيا)، أو فيما يتعلق ببيع طائرة التجسس "فالكون" للصين الشعبية. وكلا الحالتين تبطلان الـ"التوجه التآمري الذي يعتقد بأن "كل ما يقوله اللوبي الصهيوني يمر".

٦ بنجامين بيت هالاحمي، Benjamin Beit-Hallahmi: ارتباط إسرائيل: من يسلح إسرائيل ولماذا؟؟ (نيويورك: بانثيون Pantheon، ١٩٨٧)، ص ص ٩٨-١٩٦. تم اقتباسها في بول دعماتو Paul D'Amato، "تدخل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط: الدم من أجل البترول»، العدد ١٥ من مجلة الاشتراكية الدولية International Socialist Review، كانون أول ٢٠٠٠-كانون ثاني ٢٠٠١.

* توفيق حداد، باحث وكاتب فلسطيني له العديد من الإصدارات منها: نحو أممية جديدة: قراءات في العولمة، إسرائيل والفلسطينيون وحرب الولايات المتحدة على الإرهاب.

العنصرية في الثقافة والتربية في اسرائيل

بقلم: عيسى قراقع*

مقدمة:

يعتبر جهاز التربية والتعليم في أي بلد الركيزة الأولى في تحديد معالم المجتمع، ويعتقد البعض ان القضية التربوية والتعليمية في أي مجتمع تعتبر القضية الأساسية في مدى قدرته على الاستمرارية في نقل الموروث الثقافي والحضاري المتمثل بالقيم الخاصة، وذلك بغرض المحافظة على ذاته وخصوصيته.

ان التعليم اساس لنهضة أي مجتمع يحمل على عاتقه مهمة متميزة في مجالات إعداد الكفاءات، ودفع الاختراع التكنولوجي والتنمية الاقتصادية، ولرفع معنويات الشعب والأمة، ويلعب دوراً ريادياً وشاملاً في عملية بناء الدولة، كما انه يجب ان يمثل مشروعاً استراتيجياً لكل دولة.

تقوم الكتب الدراسية بمنح الشرعية لنظام سياسي واجتماعي قائم، واستخدمت كأدوات لتمجيد الأمة وتعزيز هويتها القومية وتبرير اشكال من النظم الاجتماعية والسياسية. كما تلعب الفلسفة التربوية دوراً مزدوجاً في بناء الذاكرة الجمعية لأي امة: فهي من ناحية توفر احساساً بالاستمرارية بين الماضي والحاضر بنقل الروايات التاريخية المقبولة، وهي من الناحية الأخرى تغير أو تعيد كتابة الماضي ليناسب حاجات الحاضر، والتلاعب بالماضي غالباً ما يستلزم استخدام الأنماط والتحامل في وصف الآخر. لهذا توفر الكتب المدرسية نقطة بداية ممتازة لدراسة وظيفة التنميط والتحامل في تزييف هوية مجتمع ما في مواجهة الآخر.

وبناء على ذلك، فإن الفلسفة التربوية والثقافية لأي دولة تلعب دوراً استراتيجياً ورئيسياً في بلورة المواقف السياسية، وإطلاق المفاهيم وتحديد السلوك اتجاه القضايا المختلفة سواء المحلية أو الإقليمية او الدولية. وعلى الرغم من تعرض الجيل الجديد لأجهزة الإعلام الالكترونية، مع ذلك فان معظم الباحثين في حقل التعليم ما زالوا يتفقون على ان الكتب الدراسية ما زالت أساسية بل واعتبرها البعض اقوى تكنولوجيا تعليمية والأكثر انتشاراً.

ان التربية الإسرائيلية هي إحدى الأسس التي ترتكز عليها دولة إسرائيل في بناء أجيالها الناشئة وتشكيل شخصياتهم ليكونوا قادرين على تحقيق الهدف الصهيوني الأول وهو «إقامة الدولة اليهودية النقية» على «ارض اسرائيل الكبرى».

لقد استطاعت الفلسفة التربوية في إسرائيل ان تضفي الشرعية على ما تقوم به إسرائيل من جميع الأعمال والممارسات والانتهاكات بحق الشعب الفلسطيني، وفي نفس الوقت إسقاط الشرعية عما يقوم به الفلسطينيون والعرب.

الحروب تبدأ اولاً في عقول البشر:

لقد كان الدافع الأساس لهذه المقالة هو البحث عن أسباب تنامي وتصاعد الفاشية والعنصرية الإسرائيلية اتجاه الشعب الفلسطيني، وتعميق وجود احتلال الأرض الفلسطينية ووضع العراقيل أمام تحقيق السلام العادل وتسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وفق قرارات الشرعية الدولية.

وكان واضحاً ان هناك علاقة مترابطة بين المناهج التربوية الإسرائيلية واشتداد حدة الصراع واستمرار الحروب، ان مفهوم السلام في هذه المناهج ظل غائباً عن عقول الطلبة «اليهود» لتحل محله النزعة القومية والعنصرية، والتوجهات العسكرتارية، والتعصب الديني والأيديولوجي وإلغاء الآخرين.

ان دراسة سلوك قوات الاحتلال في الأرض المحتلة وأعمالها الإجرامية من قتل ونهب للاراضي، واعتقالات، وحصار، وبناء الجدار العنصري، والكتل الاستيطانية وغيرها من الأعمال الخطيرة، مرتبطة بشكل عضوي بالمفاهيم التعليمية والتربوية التي نشأ وتربى عليها هؤلاء الجنود. ان التربية الإسرائيلية هي التي توضح شكل القرار السياسي في المؤسسة الإسرائيلية ودوافعه وأسبابه ومنطلقاته.

وكان الاهتمام بهذا الموضوع يستند ايضاً الى معرفة اسباب ابتعاد السلام العادل عن منطقة الشرق الاوسط، على الرغم من توقيع اعلان المبادئ (اوسلو) سلام بين الفلسطينيين والاسرائيليين ١٩٩٣، وبين اسرائيل وبعض الدول العربية لاحقا، وبدل ان يحل السلام حلت السيطرة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية، بل وأصبح حلم العودة والحرية والاستقلال للشعب الفلسطيني مهدداً بالخطر.

ان الدراسات المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي ركزت عادة على المجالات التاريخية، والسياسية، والعسكرية، والاقتصادية، متجاهلة أهمية الفلسفة التربوية والثقافية في عملية الصراع، كون التربية في إسرائيل هي المسئولة عن كل السمات والمظاهر السلوكية التي يتصف بها المواطن الاسرائيلي.

وما يعزز ذلك هو مجموعة استطلاعات رأي أجرتها المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية، أشار احدها انه في أيار ١٩٩٧ كشف استطلاع أكاديمي النقاب عن ان ٤٠٪ من طلبة المدارس الثانوية اليهودية يكرهون العرب، وان ٦٠٪ يشعرون بدافع قوي للانتقام من العرب. كما اظهر استطلاع آخر ان هناك زيادة تدريجية في المواقف السلبية اليهودية تجاه العرب منذ السبعينيات، واعتبار الكتب الدراسية المنحازة عاملاً مهماً في تبني المواقف السلبية تجاه العرب.

ولعل النظام المدرسي والثقافي والكتب الدراسية الإسرائيلية استخدمت سلاحاً فعالاً في يد الدولة في عملية بناء ذاكرة جماعية، وحتى اختراع ماض للأمة يحتوي على الأساطير والرموز، وكل ما هو مشترك كذاكرة توفر الخرائط وقيماً تضع الحدود بين «نحن» و«هم».

لقد ورد في دستور اليونسكو «بان الحروب تبدأ أولا في عقول البشر، والدفاع عن السلام يجب ان يبنى في عقول البشر».

روح شريرة:

ان مفهوم السلام ظل غائباً وبعيداً عن المناهج الدراسية والتربوية في إسرائيل، وساهمت هذه المناهج في تصعيد الصراع والحروب وعدم الوصول إلى حل للصراع بطرق سلمية، وإعاقة هذه المناهج لأي تغيير جذري من وجهة النظر الإسرائيلية عن العرب، وحالت دون التقدم في عملية السلام.

تشير الدراسات التي صدرت حول المناهج التعليمية والدراسية في إسرائيل ان معظمها حديثة بل وقليلة جداً، وما صدر منها لم يربط بشكل واضح وجوهري بين هذه المناهج وتأثيرها على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وعملية السلام.

وقد ركزت الدراسات المنشورة على الجانب الأيديولوجي للصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس العبرية، وتأثيرها في تنشئة مواطنين مؤمنين بالمبادئ والقيم والأفكار الصهيونية، وعلى عملية الطمس والتغييب والتشويه لهوية العربي وإلغائه من جهة، ومحاولة «اسرلته» من جهة اخرى.

ولعل ما ينقص الدراسات المنشورة بهذا الخصوص هو عملية البحث عن العلاقة بين التربية في إسرائيل في إنشاء النخبة السياسية الحاكمة، ومصادر القرار السياسي لهذه النخبة في مسائل أساسية وإستراتيجية تتعلق بالصراع وعملية السلام مثل: المستوطنات، الحدود، السيادة، حق تقرير المصير، الدولة، المقاومة، الاعتراف المتبادل، الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني، اللاجئون، وغيرها من المفاهيم والمواقف السياسية ذات الطابع الإشكالي والمكونة للصراع.

وفيما يلي بعض هذه الدراسات:

١. عالج الكاتب الإسرائيلي «ايلي بوديه» في كتابه «الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الاسرائيلية» الصادر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية عام ٢٠٠٦، المواقف السلبية التي تضمنتها كتب التاريخ اتجاه العرب، ولكنه يساوي بين هذه المواقف وبين ما تتضمنه الكتب الدراسية العربية، وخاصة الفلسطينية من مواقف سلبية حسب قوله اتجاه اليهود من ناحية المعايير القومية والتاريخية. ويحاول هذا الكاتب التنظير من موقع القوة أو الأمر الواقع بدعوته إلى تغيير النظرة السلبية تجاه العرب وانسنتهم في كتب التاريخ الإسرائيلية لإحداث مصالحة بين روايتين متناقضتين كوسيلة لبناء السلام.

وتكمن أهمية الكتاب ان الكاتب يعترف بأن كتب التاريخ الإسرائيلية ساهمت في تصعيد الصراع العربي الإسرائيلي وتلاشي السلام، ولكنه لم يوضح الأسس التي يجب ان يقوم عليها سلام عادل وحقيقي بين طرفي الصراع.

٢. تناول الكاتب وائل أمين القاضي في كتابه «التربية في إسرائيل» الصادر عن مركز البحوث والدراسات التربوية عام ١٩٩٤ الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها جهاز التربية في إسرائيل وهي:

حب إسرائيل والتمركز حولها.

التذكير بالاضطهاد كعنصر سيكولوجي لا بد منه لدفع اليهود نحو الهجرة إلى فلسطين.

تكريس أسطورة الشعب المختار والشعور بالتميز والتفوق.

التأكيد على الارتباط التاريخي بين الشعب الفلسطيني والأرض والإيمان المطلق بحق ملكية ارض إسرائيل.

تزوير التاريخ وتغيير حقائقه.

تشويه صورة العرب والتحريض عليهم.

التوسع والاحتلال.

تكوين النزعة العسكرية والاستعداد للحرب والقتال.

وخلال عملية تحليل النصوص يستنتج الكاتب التناقض في الفلسفة التربوية الإسرائيلية مع الأهداف والقيم السامية للتربية في المجتمعات الديمقراطية، وعلى رغم أهمية الكتاب الا انه لا يظهر البعد السياسي للتربية العنصرية الإسرائيلية وتأثيرها المباشر على الصراع في المنطقة.

٣. تضمن كتاب "جهاز التعليم في إسرائيل" للكاتب خالد ابو عصبة الصادر عن المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية ٢٠٠٦ شرحاً تفصيلياً عن جهاز التعليم العبري والسياسات التربوية في إسرائيل حتى تاريخه.

ويستنتج الكاتب ان جهاز التربية والتعليم في إسرائيل لا زال الوسيلة الأولى والاهم التي استخدمت لتحقيق أهداف الصهاينة، ومدى مساهمته في خدمة الاستيطان والاحتلال.

وكتاب ابو عصبة يقر ان جهاز التربية والتعليم في إسرائيل عزز تنمية النزعة القومية اليمينية لدى الطلبة، وأنها أقوى بكثير من النزعة الديمقراطية، وان هذا الجهاز أراد ان يبني جيلا عظيم القوة. وأوضح الكاتب ان احد المصادر الهامة التي وجهت جهاز التعليم العبري هو المصدر الديني، باعتمادها اعتماداً كثيراً على الدين من اجل تشكيل أجيال مشبعة بتعاليم التوراة والتلمود، وان هذا المصدر استغل من قبل الحركة الصهيونية لمصلحة مشروعهم السياسي.

ان استنتاجات الكاتب على أهميتها العملية لم تتطرق إلى المواضيع السياسية المكونة للصراع وترك استنباط ذلك بشكل غير مباشر.

خاتمة:

يمكن القول إن حاجة إسرائيل الدائمة لتبرير وجودها دفعتها منذ عام ١٩٤٨ وحتى اليوم، للعمل على «ادلجة» مواطنيها اليهود لخدمة مشروعها الاستعماري. وفي سبيل هذا بنت منهاج التعليم لتخدم سياستها وممارساتها. وهذا واضح في منهاج التعليم وواضح في الصحافة المرئية والمكتوبة، وفي المسرح والتلفزيون والسينما وفي المؤسسات الثقافية الإسرائيلية المختلفة. إن جهاز التعليم في إسرائيل خضع منذ تأسيسه لأسس إيديولوجية متمثلة في المعتقد الصهيوني والذي تم التعبير عنه من خلال جهاز التعليم في اتجاهين: الأول، اعتبار التعليم أداة روحية وركيزة لبناء الهوية والهوية الجماعية للطالب عبر الإيديولوجية الصهيونية وما انبثق عنها من معتقدات عنصرية تجاه الآخر. الثاني، اعتبار التعليم أداة مادية وركيزة للتطوير التكنولوجي والرأسمالية والعولمة بما يخدم ضرورات مواصلة الارتباط بالمركز الاستعماري.

---

* عيسى قراقع، وزير شؤون الأسرى والمحررين، عضو مجلس تشريعي، كاتب وأديب فلسطيني.







أطفال إسرائيليون يكتبون رسائلهم إلى أطفال لبنان، وشاب إسرائيلي يلبس تي شيرت يحمل صورة فلسطينية حامل ويكتب عليه" أنا أطلق النار لغرض القتل".

إسرائيل: لمن الأولوية لليهودية أم الديمقراطية؟

بقلم: سالم أبو هواش*

«... لم يغادر عدد كبير منهم أراضيهم طوعاً، بل طردوا منها بأوامر القادة اليهود عندما دخلوا .. (الرملة واللد)، ومنعوا من أخذ أية ممتلكات معهم [..] الأوضاع .. جعلت من المستحيل على... الشعب البقاء في قراه وعلى أراضيه، لأن هذا كان سيعني مقتل عدد كبير منهم».[١]

تصاعد الجدل والنقاش خلال العقد الأخير حول مستقبل دولة إسرائيل وهويتها في أوساط النخبة الصهيونية بمكوناتها السياسية، الفكرية، القانونية، الاقتصادية والاجتماعية؛ وربما كان النقاش في الماضي حول هوية الدولة وطابعها «اليهودي» يعلو حينا ويهبط أحيانا؛ إلا انه خلال العقد الأخير، أو لنقل في مرحلة «ما بعد أسلو»؛ أخذ هذا الجدل يتصاعد بالتدريج إلى أن تعدى المجال الفكري والثقافي أو القانوني، ليتحول إلى جزء من الأجندة السياسية المباشرة للحكومات الإسرائيلية؛ بدءا بحكومة شارون، مرورا بحكومة أولمرت، الى نتنياهو حاليا. وموضوع تعريفها لنفسها كـ»دولة يهودية وديمقراطية» يحظى بشبه إجماع في أوساط الأحزاب الرئيسية في الكنيست؛ بل وتحول إلى مطالب سياسية موجهة للدول والأطراف الأخرى وعلى رأسها الطرف الفلسطيني والدول العربية الأخرى. يقول رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو: «انه يجب على الدول العربية والإسلامية وكذلك العالم الاعتراف بان إسرائيل هي دولة الشعب اليهودي وهذا يعتبر إنهاء جذري للصراع في المنطقة، ومن خلال المفاوضات يمكن التوصل إلى تفاهمات في كافة القضايا، المستوطنات والحدود والقدس وباقي القضايا».[٢]

لا تهدف هذه المقالة الموجزة للدخول في تحليل تاريخي لأصل «الدولة اليهودية» ومصادرها الفكرية في الأيديولجيا الصهيونية، بل محاولة تقديم مقاربة أولية حول ما تعنيه بالنسبة لنا كشعب فلسطيني في المقام الأول، وانعكاس تحويل هوية دولة إسرائيل من الحلبة الفكرية والتناقضات الداخلية إلى مطلب سياسي صريح، بل ربما شرط تعجيزي للقضاء على أية فرصة لتحيق تسوية أو حتى «سلام» لا ينطوي على أدنى معايير العدالة.

يقول نتنياهو: «وافقوا على يهودية إسرائيل لان الشعب اليهودي ليسوا غزاة أجانب لأرض إسرائيل».[٣] هكذا هم ليسوا غزاة أجانب لأرض إسرائيل، وطالما هم ليسوا غزاة، فمن الطبيعي أن يقوم العرب، والفلسطينيون بالتحديد؛ بتقديم اعتذار عن عدم فهمهم وقلة خبرتهم بالتاريخ، وأن يطلبوا العفو من الحركة الصهيونية بسبب تصديهم وعدم اعترافهم بالصهاينة بوصفهم مواطنين أصليين في «ارض إسرائيل»!

في شهر نيسان ١٩٤٩، أرسل الوزير الأمريكي في بيروت، لويل سي. بنكرتون تقريرا للخارجية الأمريكية وللعضو الأمريكي في لجنة التوفيق الدولية بشأن فلسطين، مرفقا بمذكرة قال أنه استلمها من ممثلين عن مجلس سكان يافا الذين كانوا لاجئين في بيروت آنذاك، نقتطف هنا بعضا مما جاء في تلك المذكرة الموجهة للحكومة الأمريكية: «إنها لحقيقة أبدية أن الشر لا يمكن إبعاده بشر أسوأ ...وهي حقيقة تاريخية أيضاً أن ما من أمة مهما تكن بدائية ستوافق، أو وافقت على اجتثاثها من أرضها وبعثرتها في مكان آخر، حتى لو كان هذا المكان الآخر الجنة بعينها، ومهما يكن التعويض المالي الذي يدفع لقاء هذا التشريد كبيراً».

وجاء في مطالب سكان يافا التي تفصلها المذكرة: «أن يسمح، لجميع سكان المنطقة المشار إليها [يافا وقضاها بما في ذلك اللد والرملة]، بتحقيق رغبتهم الشديدة الجدية في العودة الفورية إلى قراهم وأراضيهم والاستقرار فيها، بصرف النظر وقبل الوصول إلى أي حل سياسي. [...] اليهود يضعون الآن أنظمة بريئة ظاهرياً، لكن هدفها الحقيقي تدمير ملكية العرب وإلغاء حقهم في العودة إلى أراضيهم. وقد بات معروفاً الآن أن اليهود دمروا المنازل و.. أحياء كاملة، مستندين إلى الحجة الواهية البريئة ظاهرياً لإنشاء حدائق عامة وتحسينات أخرى. لقد احتلوا منازل عربية، واستخدموا كل ما ترك فيها، ودمروا عمداً مضخات المياه».[٤] [نأسف لهذا الاقتباس الطويل] والذي يهدف لتبيان صورة النكبة منذ اليوم الأول وخلال أقل من عام واحد، ماذا كتب سكان يافا للحكومة الأمريكية؟ وهل تغير شيء في الممارسة والتفكير والأساليب الصهيونية؟؟

بالطبع من الواضح أن سكان يافا وقضاها كانوا يحلمون أو واهمين أنهم كانوا هناك! فليس هناك من غزاة قد طردوهم من وطنهم ومزارعهم وبيوتهم ودمروا حياتهم ومستقبلهم، ولا هنا من ينوي حرمانهم من حقهم الطبيعي في العودة؛ لكن السؤال المهم: كيف يستطيع نتنياهو أن يخلص هؤلاء العرب «الأوباش» من هذه الأوهام الخطيرة التي تعرقل الاعتراف بدولته كدولة للشعب اليهودي!

النقاشات الصهيونية المتزايدة حول موضوع الدولة وطابعها وتركيبتها الديمقراطية؛ كانت دوما وستظل موضوع سجالات في أوساط النخبة الصهيونية، هذه النخبة تحاول أن تحافظ على هدنة داخل المجتمع اليهودي في إسرائيل؛ فالقيادة السياسية الحالية ترفع هذا المطلب للخارج، وتحاول الليبرالية الصهيونية (اليهودية بمعناها القومي السياسي) أن تقدم مقاربة أشمل مثل «دولة يهودية وديمقراطية ولكل مواطنيها أيضا»، كما عبر عن ذلك الليبرالي المتميز أهارون باراك رئيس المحكمة العليا سابقا؛ ولكن هل تنجح هذه المقاربات، وهل فرض هذا الاعتراف بالقوة على أجزاء من المجتمع أو على أطراف خارجية هو من صميم الديمقراطية الإسرائيلية؟

بوجه عام: إسرائيل تصور نفسها وتدعي أنها امتداد للحضارة الغربية، وللديمقراطية الغربية، أي أنها تسير على هدي الليبرالية الأوروبية ومنتجاتها. وإذا استثنينا التمييز العنصري ضد الشعب الفلسطيني؛ لأنه موجود في الأصل في



جرافات الاحتلال تهدم منازل المواطنين في قرية أم الحيران في النقب، ضمن سياسة دفعهم للرحيل. ١٩ نيسان ٢٠٠٨ (المصدر: *www..akhbarna.com*)

الغرب الاستعماري والديمقراطية الغربية ضد الشرق وضد شعوب أخرى، من هنا نلاحظ التفهم الغربي لممارسات إسرائيل العنصرية والاستعمارية بكل ما تحويه من نهب وسلب واستغلال وجرائم. إن إسرائيل الذاهبة إلى طريق عزلتها الخارجية من خلال فرض توصيف معين وبلورة هوية لها مقابل الآخر المناقض؛ فهي على المستوى الداخلي الصهيوني واليهودي عموما؛ تقف على أعتاب أزمات كثيرة ومعقدة تهربت منها القيادات الإسرائيلية المختلفة على مدى تاريخها، بل أحيانا اعتبرت النقاش فيها جزءا من الخيانة؛ فلننظر في تركيبة المجتمع اليهودي في إسرائيل الذي لا يتصور معظمه إمكانية للفصل بين الدين والدولة والمواطنة والقومية، فاليهودية تعادل الهوية القومية السياسية، لكن بالتأكيد ليس بالمعنى السائد في الديمقراطية الغربية، فهناك يوجد دولة ومواطن ودستور يحدد العلاقات والحقوق والأدوار للأغلبية والأقلية، وهنا الديمقراطية الإسرائيلية تعني المفهوم الحرفي بـ«حكم الأكثرية» على أساس من يفوز بالأكثرية البرلمانية، و» أن الأكثرية في أي بلد يمكنها أن تقرر من هم الأجانب، فالقضية قضية قوة... والقوة تسبق الحق»[٥] كما قال هيرتسل في الدولة اليهودية. وبالتالي لا بد من الحفاظ على أغلبية سكانية يهودية حتى تحمي مصالح اليهود وتستطيع رسم سقف مطالب الأقلية العربية من خلال مؤسسات الدولة. فلا يوجد ديمقراطية غربية واحدة تمارس داخل حدودها ما تمارسه إسرائيل.

لكن هل يوجد تطبيق للديمقراطية في داخل الأكثرية اليهودية، وهل تعالج التناقضات وفقا لحكم القانون، أم وفقا لموازين القوة في الصراع السياسي؟ وعندما تتربع نخبة معينة على سدة الحكم بناء على شعارات توراتية أو شعارات التعصب القومي، وتتبادل هذه النخبة الامتيازات؛ فماذا عن فساد الحكم أو الحكم الرشيد؟. وكيف ستستمر هذه النخبة في التعامل مع تناقضات بينة في المجتمع الإسرائيلي، مثل: اشكناز–سفارديم، علمانيين–متدينين، اشكناز وسفاديم–مزراحيم، علمانيين قوميين–متدينين تقليديين، متدينين قوميين–متدينين تقليديين...الخ؟ وكيف ستحل قضايا مثل الزواج المدني مقابل الزواج حسب التقاليد الدينية؟ وكيف سينعكس كل ذلك على تعريف من هو يهودي؟ وهل تنشأ عن ذلك قومية إسرائيلية؟ من المبكر الحكم على المجتمع المتشكل من قارات العالم كله، ومن أصول اثنية وبيئات ثقافية مختلفة، حيث لا زال يستمد تماسكه من العداء للآخر من جهة، ومن المصلحة في الحفاظ على المصالح الاستعمارية والامتيازات الناشئة عنها من جهة ثانية.

من هنا تحاول النخبة الصهيونية الحاكمة في إسرائيل استغلال الوضع الحالي الذي يتسم بحالة انقسام فلسطيني وعربي واختلال كبير في موازين القوى؛ من أجل فرض مطالب عنصرية على أجندة العمل السياسي والعلاقات الخارجية وخاصة تجاه الشعب الفلسطيني والدول العربية؛ لا لشيء سوى تعزيز النظام الاستعماري العنصري ألإحلالي لتحقيق المزيد من الامتيازات الاستعمارية؛ وإبعاد شبح التهديد الديمغرافي، أي للحفاظ على الأكثرية السكانية اليهودية ضمن الحدود التي ستعرفها إسرائيل لنفسها، في أية تسوية سياسية مستقبلية؛ وهذا هو الهدف الأساس للتسخين في الخطاب السياسي حول الاعتراف بدولة يهودية.

وعليه، يكون طرح الحكومة الإسرائيلية لهذا الموضوع على أجندة العمل السياسي؛ هو للتخلص من المأزق الخارجي السياسي أولا؛ ومما يساعد في تسكين الأزمات الداخلية، على أساس أن تحقيقه يمثل مكسبا لكل ألوان الطيف الصهيوني على اختلافها؛ وبالتالي، لن تكون إسرائيل مضطرة في القريب العاجل أن تعالج خيارات صعبة وملحة. وبناء عليه؛ فإن دولة إسرائيل الآن تسعى للاستفادة من الفرص المتاحة الناتجة عن ضعف المحيط العربي وهشاشة الوضع الفلسطيني، تاركة نقاط ضعفها لتعالج في وقت آخر، وهذا تصرف في محله تماما؛ لكن لا أحد يعلم مدى فرص النجاح في عالم سريع التغير؛ فالمصالح التي تقود السياسيين تذهب في هذا الاتجاه بغض النظر عن أية تنظيرات فكرية أو قانونية أو أخلاقية، والقوة متوفرة الآن بيد إسرائيل، فلماذا لا تستفيد منها، حتى لو كانت تعني المزيد من العنصرية المغلفة بالديمقراطية التي تقف على قدم واحدة، فالعالم الغربي وخاصة الولايات المتحدة؛ لا زالوا ينظرون لإسرائيل بأنها دولة مقبولة وأنها تخدم مصالحهم، وعلى الأقل هي بيدهم في نهاية المطاف.

ذلك يعفينا من الدخول في نقاشات نظرية عن ظهور القوميات وظهور الديمقراطية ونظريات الحكم، لأن هذه الأفكار قامت في حينها على مبادئ وفق أتون صراعات مع نظم الحكم السابقة، وفي سياق تاريخي محدد في كل بلد وبلد، وقصد من الديمقراطية أن تكون طريقة في الحكم لتحقيق «حكم الشعب»، أي تحقيق وتجسيد مبدأ الحرية والمساواة لجميع المواطنين، ونشأ عن ذلك اجتهادات حول الطرق والأشكال الأنسب لتحقيق «كيف يحكم الشعب نفسه؟»، واختلفت الأشكال باختلاف مستوى تطور وظروف كل مجتمع، وسواء كانت برلمانية تمثيلية، مجالس شعبية، جمعيات وطنية، لجان جماهيرية ...الخ ملكية دستورية، أم جمهورية؟ يظل سؤال الديمقراطية المهم، هو ما هي وسائل وطرق المشاركة وكيف يمكن تنظيم الشعب وتنظيم مشاركته في صناعة القرار؛ وكل ذلك بهدف تحقيق الحرية والمساواة لجميع المواطنين بدون تمييز، وبموجب دساتير وقوانين ولوائح، تضمن وتحمي مبدأ حرية الرأي والمعتقد، وحرية التعبير والمشاركة في كل شأن من شؤون الحياة العامة؛ وبهذا المعنى؛ فإن نظام ومؤسسات الحكم في إسرائيل؛ هي مؤسسات عنصرية تتناقض مع الديمقراطية فيما يخص السكان الأصليين. ومن الجانب الآخر، وهي أقرب للنظام الشمولي المرن الممزوج ببعض الغموض فيما يخص المجتمع اليهودي في إسرائيل، وبما يتعلق بالطوائف اليهودية في الدول الأخرى.

هوامش

١ مجلة الدراسات الفلسطينية، أنظر/ي الرابط: http://www.palestine-studies.org/files/word/mdf/٥٠٧٣.doc (زيارة الموقع، ٤ تشرين أول، ٢٠٠٩.

٢ بنيامين نتنياهو، من خطابه أمام الجمعية العامة يوم ٢٠٠٩/٩/٢٥، وكالة معا الإخبارية عن جريدة هآرتس، http://www.maannews.ned (دخول الموقع، ٢٠٠٩/٩/٢٦)

٣ نفس المرجع السابق.

٤ المرجع في حاشية رقم واحد أعلاه.

٥ ثيودور هيرتسل، "الدولة اليهودية"، مترجم للعربية، طبعة ؟، ص٧.

* سالم أبو هواش، باحث وكاتب فلسطيني، ناشط في حركة العودة، رئيس سابق لمجلس إدارة مركز بديل.

اللجنــة الوطنيــة الفلســطينية لمقاطعــة إسرائيـ

أبرز أخبار حمــلة المقــاطعــة حــول العالـ

نشطاء فرنسيون يحتجون على معرض باريس للطيران

٢٠ حزيران ٢٠٠٩ - نظمت مجموعة من الناشطين الفرنسيين في حملة المقاطعة نشاطا سلميا ضد مشاركة إسرائيل في معرض باريس الجوي - معرض بورجية للطيران - وهو المعرض الأكبر في العالم لأسلحة وتكنولوجيا الفضاء. وقد جرى تنظيم الاحتجاج خارج الجناح الإسرائيلي؛ حيث جاءت العديد من شركات صناعة الأسلحة الإسرائيلية من أجل بيع تقنيات عسكرية لمشترين أوروبيين محتملين. وجرى تنظيم التظاهرة الاحتجاجية في الوقت الذي كان فيه الرئيس الفرنسي نيكولاي ساركوزي يقوم بزيارة المعرض؛ وبالرغم من محاولات الشرطة لإجبار المحتجين على الابتعاد من المكان؛ إلا أن ناشطي حملة المقاطعة كانوا واضحين للعيان بشكل كبير، وقاموا بتوزيع عدة آلاف من النشرات الإعلامية على الجمهور.

ناشطو التضامن في «تورينتو» يحتجون على معرض مخطوطات البحر الميت

حزيران - تموز ٢٠٠٩ - قام الائتلاف المناهض لأبارتهايد إسرائيل والنسوة المتضامنات مع فلسطين بتنظيم حملة من الاحتجاجات ضد متحف «أونتاريو» الملكي (ROM) بسبب قيام المتحف بعرض مخطوطات نهبتها إسرائيل من الأراضي الفلسطينية، والمعروفة بمخطوطات البحر الميت. فقد قام الناشطون في حملة المقاطعة ولعدة أسابيع بتنظيم احتجاجات ناجحة، مما أجبر إدارة المتحف على الإعلان للجمهور عن زعمها بأن قانونية المعرض ثابتة؛ كما رفض المسئولون عن المتحف أن يطلبوا رأي اليونسكو حول هذه المسالة. وطالبت الحملة المتحف الملكي في "أونتاريو" بالاعتراف بأن المخطوطات هي آثار فلسطينية منهوبة، وبأن ينأى المتحف الملكي بنفسه عن سلطة الآثار الإسرائيلية التي سرقت الملايين من القطع الأثرية الفلسطينية.

تحرك طلابي في جامعة لندن مناهض للتطبيع مع جامعة تل أبيب

٩ تموز ٢٠٠٩ - قام اتحاد الطلبة في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن بتبني اقتراح ينتقد سلسلة من المحاضرات تحاول تبرئة تل أبيب من ماضيها وحاضرها الاستعماري؛ ودعا اتحاد الطلبة إلى وقف التعاون بين كلية الدراسات الشرقية والأفريقية وجامعة تل أبيب في استضافة سلسلة المحاضرات المذكورة؛ على أساس أن لجامعة تل أبيب دور كبير في تقديم دعم أساسي قانوني، تقني وإستراتيجي في تقوية وتوسيع الاحتلال الاستعماري الإسرائيلي، وكرد على فشل إدارة الكلية في الاعتراف بالآثار الخطيرة الناتجة عن التعاون مع جامعة تل أبيب؛ الذي من شأنه تقويض سمعة الكلية، وأن يمس بنزاهة المبادئ الأساسية لكلية الدراسات الشرقية والأفريقية؛ وقامت جمعية فلسطين في الكلية بإعداد ورقة موجزة قدمت للمدير والهيئة الإدارية؛ توضح فيها المساهمات المؤسسية المفتوحة والمكثفة بين جامعة تل أبيب والجيش الإسرائيلي. للمزيد من المعلومات ولتحميل التقرير؛ يرجى زيارة موقع الـBDS على الرابط التالي:
. http://www.bdsmovement.net/؟q=node/٥٠٢

بريطانيا تبلغ إسرائيل عن حظر جزئي على توريد الأسلحة على خلفية حرب عزة

١٣ تموز ٢٠٠٩ - قررت المملكة المتحدة فرض حظر جزئي على توريد الأسلحة لإسرائيل على خلفية الحرب الإسرائيلية الأخيرة على قطاع غزة؛ حيث أبلغت بريطانيا إسرائيل رفضها تسليم قطع غيار ومعدات أخرى للسفينة الحربية ساعر ٤,٥؛ لأن مثل تلك المعدات قد استخدمت في عملية «الرصاص المصبوب». وقد جاء هذا الحظر بعد مراجعة الحكومة لجميع الصادرات الدفاعية البريطانية لإسرائيل. هذه المراجعة كان قد أعلن عنها في نيسان ٢٠٠٩.

إسمنت هيدلبرغ تحاول بيع مناجمها في الضفة الغربية على إثر تنامي ضغوط الحملة

١٣ تموز ٢٠٠٩ - يحاول فرع شركة اسمنت هيدلبيرغ، المعروفة بـ«هانسون» - إسرائيل بيع استثمارات الشركة في الضفة الغربية. وتقوم هذه الشركة بصناعة الإسمنت، الحصمة والأسفلت لتزويد صناعات الإنشاء والبناء الإسرائيلية، وتدير مقلعا في الضفة الغربية المحتلة. وقد قامت منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية «ييش دين» بتقديم التماس إلى المحكمة الإسرائيلية العليا، تطالب فيه بوقف نشاطات التعدين غير القانونية في محاجر الضفة الغربية، ومن ضمنها محجر «ناحل رباع» الذي تشغله شركة «هانسون» - إسرائيل. ودعا المحامي الذي مثل منظمة «ييش دين» المحكمة لكي تضع حدا لهذا «النشاط الواضح غير قانوني، والذي يشكل استغلال استعماري بشع وبليد لأراضي قمنا نحن [إسرائيل] بالاستيلاء عليها بالقوة». وفي أيار ٢٠٠٩؛ أمرت السلطات الإسرائيلية بتجميد أية توسيعات لمحاجر الحجارة والحصمة التي تديرها والموجودة في الضفة الغربية المحتلة.

الاتحاد الأوروبي يفتح تحقيقا بخصوص منتجات المستوطنات الإسرائيلية

١٤ تموز ٢٠٠٩ - فتحت المحكمة المالية في هامبورغ تحقيقا من أجل اتخاذ قرار بخصوص استيراد أجهزة «صودا-كلب» التي تصنع في مستوطنة «معالية أدوميم»؛ وهل يمكن استيرادها ضمن اتفاقية الإعفاء الجمركي مع الاتحاد الأوروبي مثل بقية المنتجات الصناعية الإسرائيلية. وطلبت محكمة هامبورغ المشورة من محكمة العدل الأوروبية من أجل الحصول على «سابقة حكم» يمكنه تسوية المسألة بطريقة ملزمة لجميع الدول الأعضاء الـ٢٧ في الاتحاد الأوروبي؛ وإذا ما تم اتخاذ قرار بفرض الرسوم الجمركية؛ فإن ذلك سيكون بمثابة إعادة إحياء الموقف الأوروبي ضد سياسة الاستيطان الإسرائيلية، وهو في واقع الأمر، عبارة عن تنفيذ نوع من العقوبات الاقتصادية.

انسحاب «كين لوتش» من مهرجان «ميلبورن» الدولي للأفلام بسبب التمويل الإسرائيلي

١٨ تموز ٢٠٠٩ - سحب منتج الأفلام الإنجليزي «كين لوتش» فيلمه «البحث عن إريك» من مهرجان «ملبورن» الدولي للأفلام؛ لأن المهرجان يتلقى تمويلا من الحكومة الإسرائيلية. وفي رسالة وجهت لـ«ريتشارد مور»، المدير التنفيذي للمهرجان؛ كتب كين «أن الفلسطينيين ومن ضمنهم فنانين وأكاديميين، قد دعوا إلى مقاطعة نشاطات مدعومة من قبل إسرائيل». كما ذكر في رسالته «الاحتلال غير الشرعي للأرض الفلسطينية، تدمير بيوتهم ومصادر عيشهم» و «المجازر في غزة» باعتبارها الأسباب التي تقف وراء المقاطعة التي لا تستهدف «الأفلام ومنتجي الأفلام الإسرائيليين المستقلين»؛ ولكن المقاطعة موجهة ضد «الدولة الإسرائيلية».

حملة المقاطعة الأكاديمية الفلسطينية تصدر مبادئ توجيهية لتطبيق الحملة العالمية للمقاطعة الثقافية ضد إسرائيل

٢٠ تموز ٢٠٠٩ - الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية ضد إسرائيل تقوم بإصدار مبادئ توجيهية من أجل تطبيق الحملة الثقافية، وهذه المعايير موجهة بشكل رئيسي لتساعد في توجيه العاملين في مجال الثقافة، ومنظمي النشاطات الثقافية في جميع أنحاء العالم للالتزام بها عند الانضمام لحملة المقاطعة الفلسطينية وتطبقها، وذلك كمساهمة في الجهود الهادفة لإقامة سلام عادل في منطقتنا. يمكنكم الاطلاع على المبادئ التوجيهية على موقع الحملة على الرابط:
. http://www.bdsmovement.net/؟q=node/٥٠٠

«كود بينك» أو «رمز وردي» تطلق حملة لمقاطعة منتجات «أهافا»

١١ آب ٢٠٠٩ - أطلقت ناشطات من «كود بينك» CodePink حملة "الجمال المسروق" من أجل فرض المقاطعة على شركة "أهافا" الإسرائيلية لمستحضرات التجميل؛ وتم تنظيم الخطوة الأولى لهذه الحملة الاحتجاجية في فندق الهيلتون في تل أبيب. البعض منهن لبسن البكيني، وكتبن بالطين على أجسادهن "لا لأهافا/ لا حب"؛ بينما حمل آخرون وأخريات لافتات كتب عليها شعارات مثل "لا يوجد حب في الاحتلال". ومن الجدير ذكره أن "كود بينك" هي مبادرة نسوية أمريكية انطلقت من نيويورك ضد سياسات جورج بوش الإبن، وضد السياسة العدوانية الأمريكية، كما تقف بثبات ضد الاحتلال في كل مكان. يمكنكم زيارة المجلة الإلكترونية للحملة على الرابط: www.stolenbeauty.org.

منظمة العفو الدولية «أمنستي» تنسحب من صندوق ليونارد كوهين-إسرائيل

١٨ آب ٢٠٠٩ - أعلنت منظمة العفو الدولية أنها ستمتنع عن المشاركة في حفلات مؤسسة «ليونارد كوهين» في تل أبيب، ولن تكون طرفا في أي تمويل يستفيد من عائدات هذه العروض الموسيقية.



مسيرات حاشدة إنطلقت إلى الشوارع في جميع العواصم الأوروبية، داعية إلى مقاطعة إسرائيل أثناء العدوان على القطاع.
(المصدر: www.bdsmovement.net)

ــل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها

ــم - أواسط حزيران وحتى نهاية أيلول، ٢٠٠٩

نشطاء الحملة الأوروبيون يطلقون حملة ضد التمور الإسرائيلية في شهر رمضان

٢٠ آب ٢٠٠٩ – نظم ناشطو المقاطعة الأوروبيون حملة واسعة مبنية على أساس مقاطعة المستهلك، وتركزت على التمور الإسرائيلية، وترافقت مع بداية شهر رمضان حسب التوقيت الهجري الإسلامي. كما استهدفت الحملة المنتجات الزراعية الإسرائيلية التي تصدرها شركة «أغريسكو» الإسرائيلية، هذه الشركة التي تبيع الورود، الخضروات والفواكه، ومن ضمنها التمور؛ والتي تنتج على كلا جانبي «الخط الأخضر»، وقد تم إطلاق الحملة من قبل منظمات التضامن في بلجيكا، فرنسا، هولندا، جنوب أفريقيا والمملكة المتحدة.

بنك «بلاك روك» الانجليزي يسحب استثماراته من المستوطنات

٢٠ آب ٢٠٠٩ – أعلن بنك «بلاك روك» البريطاني عن سحب استثماراته من مشاريع «ليف ليفايف» الاستيطانية في الضفة الغربية؛ وقد جرى سحب الاستثمار بعد ضغوط من قبل ثلاث من المؤسسات المالية النرويجية التي تسوق لاستثمارات بنك «بلاك روك»، وهي ستوربراندStorebrand ، البنك السويدي-النرويجي Skandiabanken، والبنك النرويجي – الدنمركي Danica Pensjon. وقد كان بنك "بلاك روك" ثاني أكبر المساهمين في الشركة الإسرائيلية.

كبيرة طهاة بارزة في المملكة المتحدة: «لا تشتروا منتجات من الضفة الغربية»

كبيرة الطهاة البارزة في المملكة المتحدة، الشيف جوانا بليثمان Joanna Blythman؛ وهي من كبار الطهاة وصحفيي التغذية وتحظى بشعبية واسعة، قامت مؤخرا بتوجيه دعوة لتجار التجزئة والمستوردين لعدم شراء بضائع جرى إنتاجها في المستوطنات الإسرائيلية المقامة في الضفة الغربية. وكتبت بليثمان في مقالة لها نشرت في مجلة أطعمة قائلة: أن "الفواكه والخضار، التي تزرع في المستوطنات الإسرائيلية غير المشروعة، هي بمثابة بضائع مسروقة".

الصندوق النرويجي للمتقاعدين يسحب استثماراته من شركة «البيت» الإسرائيلية العملاقة للصناعات العسكرية

٣ أيلول ٢٠٠٩ – قامت وزارة المالية النرويجية باستبعاد شركة «البيت» الإسرائيلية لأنظمة الحماية، من استثمارات صندوق المعاشات التقاعدية الحكومية – الشامل؛ وذلك بناء على توصيات المجلس الخاص بالمعايير الأخلاقية للصندوق. فقد رأى هذا المجلس؛ أن الاستثمار في شركة «البيت» الإسرائيلية ينطوي على مخاطر غير مقبولة من حيث إمكانية المساهمة في انتهاكات خطيرة للقيم الأخلاقية الأساسية، وذلك من جراء الانخراط الكامل للشركة الإسرائيلية في بناء جدار الفصل في الأرض المحتلة. وقالت وزير المالية، كريستين هالفورسن «أننا لا نرغب في تمويل شركات قد تسهم بشكل مباشر في انتهاكات للقانون الإنساني الدولي». وأن أجهزة الرصد والمراقبة التي تزودها شركة «البيت» للسلطات الإسرائيلية؛ هي جزء من المكونات الرئيسية للجدار العازل، ومن نظام السيطرة المرتبط به. وقد تم تصميم نظام الرصد خصيصا من خلال التعاون الوثيق مع الجيش الإسرائيلي، ولم يكن له أية تطبيقات أخرى. وفضلا عن ذلك؛ أن شركة «البيت» كانت تعرف بوضوح تام، أين وكيف سيتم استخدام هذا النظام. وبدون أي ربط بقرار مجلس صندوق المعاشات النرويجي؛ من الأهمية أن نلاحظ أن شركة «البيت» مشتركة أيضا في بناء الجدار على الحدود الأمريكية المكسيكية، الذي يهدف إلى إغلاق المعر الذي يستخدمه اللاجئون من أمريكا اللاتينية الذاهبون إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

أكثر من خمسين فنانا ومخرجا يحتجون على مهرجان تورينتو الدولي للأفلام

٣ أيلول ٢٠٠٩ – قامت مجموعة ضمت أكثر من خمسين من الفنانين والكتاب والمنتجين والمخرجين البارزين عالميا بتوقيع رسالة احتجاج ضد قرار مهرجان «تورنتو» الدولي للأفلام بتسليط الضوء على مدينة تل أبيب وعلى أعمال عشرة مخرجين إسرائيليين. ومن بين الموقعين على رسالة الاحتجاج كل من: كين لوتش، دافيد بيرن، نعومي كلاين، آليس ووكر، جين فوندا، والاس شون وداني غلوفر. وقد كان لـ«إعلان تورنتو» تأثير كبير في رفع سقف حملة المقاطعة الثقافية ضد إسرائيل، ورفع مستوى الوعي بممارسات الأبارتهايد الإسرائيلي ضد المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل، وضد محاولات إسرائيل الأخيرة لإعادة تبرئة نفسها، وتصنيف نفسها ككيان حميد في الأوساط الفنية ولدى الجمهور الواسع، وبخاصة في أمريكيا الشمالية.

جهود قانونية من أجل تطبيق معايير حقوق الإنسان في اتفاقية الشراكة بين الاتحاد الأوروبي ودولة إسرائيل

٨ أيلول ٢٠٠٩ – شرعت عضو البرلمان البريطاني «كلير شو» مع الحملة الأوروبية لفك الحصار عن غزة؛ في تنفيذ نشاطات قانونية من أجل مطالبة الاتحاد الأوروبي باحترام ودعم حقوق الإنسان المنصوص عليها في اتفاقية الشراكة الأوروبية الإسرائيلية؛ وقد تم البدء بهذا العمل من خلال توجيه رسالة للرئيس باروسو، الرئيس الحالي للاتحاد، ولخافير سولانا؛ الممثل الأعلى للسياسات الأمنية والعلاقات الخارجية للاتحاد الأوروبي، وعددت الرسالة الوسائل التي يجري من خلالها انتهاك شروط المعاهدة؛ كما ذكرت الطريقة التي يمكن من خلالها تطبيق القانون الدولي.

لجنة التضامن الايرلندية الفلسطينية تستهدف منتجات البحر الميت الإسرائيلية في مركز «جيرفس» للتسوق

١٢ أيلول ٢٠٠٩ – نظمت حملة التضامن الايرلندية الفلسطينية نشاطا ضد منتجات البحر الميت الإسرائيلية، وضد شركة مستحضرات التجميل الإسرائيلية التي كان لها عرض في مركز «جيرفس» في دبلن. وقد ارتدى ناشطو الحملة بلايز طبع عليها «قاطعوا إسرائيل»، وقاموا بالإحاطة بمنتجات البحر الميت المعروضة في الطابق العلوي في المركز التجاري في شارع جيرفس، وقاموا بتسليم نشرات باليد تطلب من المواطنين الامتناع عن شراء منتجات من دولة عنصرية مثل إسرائيل.

صندوق المتقاعدين في الولايات المتحدة يسحب استثماراته من شركة إفريقيا-إسرائيل

١٢ أيلول ٢٠٠٩ – أكد صندوق معاشات التقاعد الأمريكي الضخم TIAA-CREF بانه سحب استثماراته في شركة أفريقيا-إسرائيل المملوكة للملياردير الإسرائيلي "ليف ليفايف"؛ وقدرت استثمارات الصندوق في شركة افريقيا – إسرائيل بحوالي ٢٥٧ الف دولار؛ وهكذا فإن التأثير المالي المترتب على سحب الاستثمار هو في الحدود الدنيا؛ ولكن الأخبار عن سحب الاستثمار جاءت في الوقت الذي أعلنت فيه الشركة الإسرائيلية بانها غير قادرة على الوفاء بالتزاماتها تجاه مساهميها.

البرلمان البرازيلي يدعو إلى تجميد اتفاقية التجارة الحرة بين سوق دول الجنوب وإسرائيل

١٣ أيلول ٢٠٠٩ – أوصت لجنة العلاقات الخارجية والدفاع في البرلمان البرازيلي بأن على البرلمان أن لا يصادق على اتفاقية التجارة الحرة بين دولة إسرائيل وميركوسور، وهو تكتل اقتصادي لدول أمريكيا اللاتينية؛ وذلك حتى «تلتزم إسرائيل بإنشاء دولة فلسطينية في حدود عام ١٩٦٧». وهذا القرار هو بمثابة فعل في الاتجاه الصحيح للضغط على إسرائيل من أجل أن تمتثل للقانون الدولي، كما يمثل رفضا للضغط الإسرائيلي المتواصل لسنوات من أجل التصويت والتصديق على الاتفاقية. كما يشكل ضربة قوية للاقتصاد الإسرائيلي ولعلاقات إسرائيل الخارجية لأنه يعطل تنفيذ هذا الاتفاق التجاري مع جميع الدول الأعضاء في هذا التكتل الاقتصادي الضخم؛ فمنذ توقيع الاتفاقية في عام ٢٠٠٧ ظلت معطلة بسبب عدم التصديق عليها من جانب برلمانات الدول الأعضاء. ومن الجدير ذكره؛ أن السوق الجنوبية الحرة هي واحدة من أكبر الأسواق نموا واتساعا في العالم، وهي خامس أكبر اقتصاد على مستوى العالم. وقدر حجم الصادرات الإسرائيلية إلى دول الـ«ميركوسور» بحوالي ٦٠٠ مليون دولار أمريكي خلال عام ٢٠٠٦، ومن المهم أن نذكر أن البرازيل وحدها، وبدون اتفاقية التجارة الحرة، تشكل ثالث أكبر مستورد للبضائع الإسرائيلية في العالم.

النقابات البريطانية تلتزم بأكبر حركة مقاطعة جماهيرية ضد اسرائيل

١٧ أيلول ٢٠٠٩ – صادقت النقابات العمالية البريطانية، التي تمثل ٦,٥ مليون عامل، بأغلبية ساحقة على قرار لإلزام أعضائها بالمشاركة وفي تنظيم حملات مقاطعة، سحب استثمارات وفرض عقوبات ضد إسرائيل. وقد تم اتخاذ هذه الخطوة خلال المؤتمر السنوي للنقابات لعام ٢٠٠٩ الذي انعقد في «ليفربول»؛ وذلك بعد أن تلقى المؤتمر مذكرة من ممثلي نقابة عمال الإطفاء. ويتشكل مؤتمر اتحاد النقابات من ستين نقابة مختلفة؛ تمثل الغالبية الساحقة من العمال المنظمين في بريطانيا. وقد صوت المؤتمر على إدانة «العدوان العسكري الإسرائيلي ولوقف الحصار على قطاع غزة»، كما دعا الاتحاد إلى وقف جميع أنواع تجارة الأسلحة مع إسرائيل، وإلى فرض حظر على البضائع الإسرائيلية، ودعا المؤتمر إلى دعم التحركات الهادفة لتعليق اتفاقية الشراكة الأوروبية مع إسرائيل. أيضا، دعا المؤتمر كلا من الهيئة القيادية في مؤتمر النقابات، والمجلس العام للنقابات إلى الانتساب لحملة التضامن مع فلسطين (PSC)، وإلى العمل من أجل دفع حملة مقاطعة اسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها. ويذكر أن حملة التضامن مع فلسطين هي منظمة التضامن الرئيسة مع فلسطين في المملكة المتحدة؛ وهي تعمل مع قادة النقابات البريطانية بمستويات مختلفة من أجل المضي قدما في عملها من أجل القضايا الفلسطينية.

إسبانيا تقاطع «كلية أريئيل» لأنها مقامة على أرض محتلة

١٦ أيلول ٢٠٠٩ – تم استبعاد «مركز أريئيل الجامعي في السامرة» من المسابقة الجامعية المرموقة حول فن وهندسة العمارة المستدامة التي أقيمت في اسبانيا. وكانت كلية «أريئيل» واحدة من بين ٢١ فريقا تم اختيارهم في نيسان الماضي للتنافس في مسابقة «المبادرة العشارية للطاقة الشمسية-مدريد»، ٢٠١٠ (Solar Decathlon-Madrid ٢٠١٠)؛ وهي أكبر منافسة مرموقة في العالم حول فن العمارة المستدامة، وتنظمها وزارة الإسكان الإسبانية مع "بوليتكنك جامعة مدريد". وخلال المسابقة؛ يطلب من فرق مختارة من بين طلبة فن العمارة والهندسة القيام بتصميم منزل حقيقي يدار بالطاقة الشمسية بشكل كامل، وكل منزل يجب أن يبنى في أحد المواقع العشرين في "فيلا الطاقة الشمسية" المخططة في مدريد من أجل استضافة الفرق المتنافسة. ومن أجل تيسير المشاركة؛ تقوم وزارة الإسكان الإسبانية بتخصيص مبلغ ١٠٠,٠٠٠ يورو لكل مشروع. وهذا القرار الذي استبعد كلية "أريئيل" الجامعية هو الحالة الأولى من نوعها في اسبانيا، والتي يتم فيها فرض عقوبة على مؤسسة أكاديمية إسرائيلية.

مجلس تعاون «بلباو» يتبنى حملة المقاطعة

١٨ أيلول ٢٠٠٩ – صوت أعضاء في مجلس التعاون البلدي في «بلباو» اسبانيا، على الانضمام لحملة المقاطعة ضد دولة إسرائيل؛ ومجلس التعاون البلدي في بلباو هو هيئة استشارية رسمية للبلدية في بلباو؛ ويمثل مختلف الوكالات الاجتماعية العاملة في مجال الإغاثة والتنمية. ويتكون حاليا من ممثلين عن ٤٥ منظمة غير حكومية وممثلين عن الأحزاب السياسية الأربعة الممثلة في المجلس البلدي، وهدف هذه الهيئة الاستشارية هو توحيد الجهود وتعزيز جودة الإدارة في أعمال التضامن والتعاون.

ناشطو حملة المقاطعة يحتلون الـ«أهافا» للمرة الثانية

١٩ أيلول ٢٠٠٩ – في إطار فعاليات منسقة في «كود بينك» في واشنطن دي سي، مع «يهود من اجل العدالة للفلسطينيين» في لندن، ومجموعة «باثروب في أمستردام»؛ قاموا بتنظيم فعاليات منسقة لمجابهة «أهافا»؛ حيث تقوم هذه الشركة بإنتاج مستحضرات التجميل في مستوطنة «ميتسبي شاليم» المقامة على الأرض الفلسطينية المحتلة، فيما قامت المستوطنة الإسرائيلية بسرقة الأرض والمواد الطبيعية من الفلسطينيين. وفضلا عن ذلك، فإن بيع هذه البضائع يساهم في تمويل ودعم جرائم الحرب التي ترتكبها إسرائيل. للإطلاع على المزيد حول الحملة على «أهافا»، يمكنكم زيارة موقع الحملة: stolenbeauty.org.

نقابة عمالية فرنسية كبيرة تنضم لحملة المقاطعة

٢٢ أيلول ٢٠٠٩ – قامت نقابة عمال «الصناعة التضامنية» Solidaires Industry بالانضمام للحملة العالمية لمقاطعة إسرائيل؛ وذلك من خلال قرار اتخذته هيئتها العمومية؛ وجاء في قرار ممثلي النقابة حول حملة المقاطعة: "أن حقوق العمال الفلسطينيين في حدود عام ١٩٤٨ والعمال في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ غير متساوية مع المواطنين الإسرائيليين الآخرين. يوجد تمييز جلي؛ حيث يوجد ٥٠,٠٠٠ عامل فلسطيني يعملون في المستوطنات في الضفة الغربية وغور الأردن بدون حقوق، وبأجور اقل من نصف الحد الأدنى من أجر العامل في إسرائيل...وتواصل الشركة الفرنسية "آلستون" عملها في إنشاء سكة قطار الأنفاق في القدس؛ التي ستزيد من التمييز ضد الفلسطينيين. ويقوم عمالنا في "لانغدوك روسيون" بالتضامن من خلال كفاحهم ضد شركة "أغريسكو" الإسرائيلية التي لا تحترم حقوق الفلسطينيين، يعني الفعل لعمال الصناعة ممكن". انظر/ي النص الكامل للقرار (باللغة الفرنسية) على الرابط: http://www.solidaires-industrie.org/Boycott-Israel .

التعليم العربي في الداخل بين التجهيل والتمييز

بقلم: رجا زعاترة*

توطئة:

عكفت حكومات إسرائيل المتعاقبة، مباشرةً بعد العام ١٩٤٨، على إحكام قبضتها على جهاز التربية والتعليم في القرى والمدن العربية في الداخل، بهدف السيطرة السياسية المباشرة على الجماهير الفلسطينية التي بقيت في وطنها بعد النكبة، وأجيالها الجديدة على وجه الخصوص، استلهامًا بمنطق الزعيم الصهيوني دافيد بن غوريون، القائل: "الكبار سيموتون والصغار سينسون".

ودأبت الأجهزة "الأمنية" الإسرائيلية على ضبط ورقابة العاملين في سلك التربية والتعليم، خاصة في فترة الحكم العسكري التي امتدّت حتى العام ١٩٦٦، والتي فُصل واستُبعِد خلالها مئات المربين بسبب مواقفهم السياسية الوطنية ومناهضتهم للحكم العسكري، وبشكل خاص الأعضاء في الحزب الشيوعي. واستغلت السلطات الإسرائيلية وأحزابها جهازَ التعليم لمآربها السياسية والحزبية، فكانت التعيينات على المستويين: المحلي والقطري تجري ضمن صفقات انتخابية، خاصة حزبا "المباي" (حركة "العمل") و"المفدال" (التيار الديني القومي) اللذان سيطرا العقود طويلة على وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية.

في تلك الحقبة، كان على المعلمين العرب، مثلاً، إظهار "ولائهم" للدولة التي قامت على أنقاض شعبهم، بقراءة الصحف الصادرة عن السلطة وأحزابها، وتجنّب تأبُّط صحيفة "الاتحاد"، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي. ناهيك عن إجبار الطلاب والمعلمين على الاحتفال بذكرى استقلال دولة إسرائيل.

وما زال "جهاز الأمن العام" الإسرائيلي، "الشاباك"، إلى يومنا هذا، يتدخل بفظاظة في تعيين مديري المدارس العربية، وإن وجبت الإشارة إلى أنّ السلطات المحلية العربية تتمتع اليوم بهامش أوسع نسبيًا من الحريّة في التعيينات المحلية، خاصة في المرحلة الثانوية. أما على صعيد موظفي الوزارة والمفتشين فما زالت التعيينات تحتكم إلى سياسة التدجين، لا بل في أحايين كثيرة، إلى عدد المنتسبين الذين يجنّدهم المرشح إلى حزب الوزير الحاكم.

ووضعت السلطات الإسرائيلية أهدافًا تعليمية ومناهج ومضامين مدروسة، ترمي إلى بث العدمية القومية في نفوس الأجيال الفلسطينية الشابة، وسلخها عن انتمائها القومي والوطني والثقافي والحضاري الأصيل. وتندرج سياسة التجهيل هذه ضمن إستراتيجية إسرائيلية قديمة، باءت بالفشل، لخلق "عربي إسرائيلي" هجين، يتكيّف والنظام العنصري الذي يخيّره بين مواطنته وانتمائه الوطني، ويستغل الأولى ليساومه على الثاني، مع أنها مشتقّة منه.

من هنا، فإنّ السياسة المنتهجة تجاه التعليم العربي في الداخل هي جزءٌ عضوي من السياسات الكولونيالية العنصرية تجاه الجماهير الفلسطينية الباقية في وطنها. فإلى يومنا هذا ما زالت حكومات إسرائيل المتعاقبة ترفض الاعتراف بوجود أقلية قومية فلسطينية عربية ومجتمع فلسطيني وتعليم عربي، وما زالت تتحدث عن "وسط غير يهودي" و"أبناء أقليات دينية" و"تعليم للعرب"، وتنتهج سياسة "فرّق تسُد" الاستعمارية المفضوحة واعتماد التقسيمات الطائفية. ويبرز هذا بشكل خاص تجاه الطائفة المعروفية، التي نجحت السلطة، إلى حد ما، للأسف، في سلخها عن شعبها، أيضًا من خلال مناهج تعليمية مشوَّهة ومشوِّهة تختلق "تراثًا درزيًا" و"هوية درزية"، وترفع دافعية أداء الخدمة العسكرية المفروضة قسرًا على الشباب العرب الدروز منذ خمسينيات القرن الماضي.

التجهيل كوسيلة إفقار وتهجير:

في دولة تطغى عليها نزعتا العسكرة والزبائنية، يبقى التعليم أحد عوامل الحراك الاجتماعي القليلة المتاحة، ولو نظريًا، أمام الجماهير العربية الفلسطينية المحرومة من كافة مقوّمات التطوّر الاقتصادي والحضاري. لذا فإنّ سياسة التجهيل تكرّس وتعيد إنتاج الهامشية والتبعية الاقتصادية الاجتماعية لهذه الجماهير، وإبقاء أفرادها "حطابين وسقاة مياه" كما قال أحد مستشاري دافيد بن غوريون.

تُظهر المعطيات الرسمية الإسرائيلية أنّ نسبة أحقية الطلاب العرب لشهادة الثانوية العامة (التوجيهي) عام ٢٠٠٨ كانت ٣٢٪ فقط، مقابل ٦٠٪ تقريبًا لدى نظرائهم اليهود. وفي واقع الأمر فإنّ ٧٥٪ من خرّيجي المدارس العربية محرومون من فرصة الالتحاق بالتعليم العالي، والباقون يواجهون عراقيل تكاد تكون تعجيزية في القبول للجامعات، خاصة في المواضيع والمهن الحرّة التي يقبل عليها الطلاب العرب نتيجة واقع سوق العمل الإسرائيلية.

هذه السياسة-السيرورة تبدأ منذ مرحلة الطفولة المبكرة (٥٠٪ فقط من الأطفال العرب يلتحقون برياض الأطفال "الروضات والبساتين"، مقابل ٩٠٪ من اليهود)، وتستمر في التعليم العالي (يشكّل العرب أقل من ١٠٪ من طلاب البكالوريوس في الجامعات الإسرائيلية، و٥٪ من طلاب الماجستير، و٣٪ من طلاب الدكتوراه)، وفي العمل (نصف الأكاديميين العرب يعملون في مجالات مختلفة عن تخصّصهم). وتسجّل نسبة البطالة بين الأكاديميين العرب أرقامًا قياسية (قرابة ٣٠٪) بفعل انسداد آفاق العمل أمام الأكاديمي العربي في العديد من المجالات؛ إذ تبلغ نسبة العاملين العرب في المؤسسات والشركات الحكومة ٠,٠٥٪ فقط، وتكاد تنعدم البنى التحتية والمرافق الاقتصادية في القرى والمدن العربية، المحاصرة بالمستوطنات والخالية من المؤسسات العامة والمناطق الصناعية وأماكن العمل؛ وهو ما يعتبر شكلاً من أشكال التهجير البطيء، إذ يجد الكثيرون من الأكاديميين في الداخل أنفسهم محاصرين بالبطالة في وطنهم، ومحاطين، بالمقابل، بفرص عمل مغرية في الخارج.

صراع على الهوية:

السياسة المنتهجة تجاه الطلاب العرب، سياسة التجهيل وبث العدمية القومية، تنعكس في أهداف التعليم الرسمية التي تتنكّر للمركب القومي العربي، والوطني الفلسطيني على وجه الخصوص، في هُويّتهم، لصالح التشديد على الأبعاد التراثية والفولكلورية التي لا تتناقض جوهريًا مع نمط "العربي الإسرائيلي" سالف الذكر. وتنعكس أيضًا في تغييب الأدب العربي والفلسطيني الحديث عن المناهج الرسمية. وهكذا، بدل أن يتعلم أبناؤنا نصوص محمود درويش وإميل حبيبي وتوفيق زيّاد وغسان كنفاني وسميح القاسم، تجدهم مرغمين على تعلّم نصوص حاييم نحمان بياليك، وراحيل، وشاي عجنون؛ وعوضًا عن معرفة خليل السكاكيني، وإميل توما، وأكرم زعيتر، وإدوارد سعيد، يتعلمون عن هرتسل، ونوردو، وبن غوريون. فهل يمكن لمن لا يعرف ثقافته وتاريخه وحضارته أن يعرف ويحترم الآخر وثقافته؟

صهينة وعبرنة التاريخ والحقائق:

وافقت القيادة اليهودية على قبول "قرار التقسيم" الصادر عن الأمم المتحدة، ورفضت القيادة العربية القرار، وعندما نشبت الحرب في البلاد. في ١٤ أيار ١٩٤٨ أعلن قادة "الييشوف" اليهودي عن إقامة دولة يهودية مستقلة – دولة إسرائيل. تمامًا بعد إعلان الدولة اشتدّت الحرب، واجتاحت دولةَ إسرائيل أيضًا جيوشٌ من خمس دول عربية (...) في نهاية الحرب تغلّب اليهود على العرب ووُقّعت اتفاقيات هدنة بين دولة إسرائيل والدول المجاورة لها. العرب يسمّون الحرب "نكبة" أي حرب الكارثة والفقد، فيما يسمّيها اليهود "حرب الاستقلال".

الفقرة أعلاه، الصهيونية بامتياز – والتي أقرّتها وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية في العام ٢٠٠٧ ضمن مقترح لكتاب تدريس الجغرافيا للطلاب العرب في الصف الثالث الابتدائي، يحمل اسم "نعيش معًا في إسرائيل" – أثارت جدلاً حادًا في الرأي العام الإسرائيلي، لمجرّد تضمينها مفردة "النكبة". وجاء قرار الوزير حديث العهد من حزب "الليكود"، جدعون ساعر، بشطب مفردة "النكبة" والتكرّم بالسماح بمفردة "تراجيديا" (مأساة)، ليؤكد أنّ الثابت في السياسات التربوية الإسرائيلية هو طمس الرواية التاريخية والذاكرة الجماعية الفلسطينية، وتغليب الرواية الصهيونية على مناهج اللغة العربية والتاريخ والمدنيات والجغرافيا. وقس على ذلك جميع الفعاليات اللامنهجية الرامية إلى تعزيز القيم الصهيونية ورموز الدولة اليهودية، وآخرها مشروع فرض النشيد الإسرائيلي بشكل رسمي على المدارس. وقد اضطر الوزير ساعر، مؤخرًا، إلى التراجع عن فرض هذا المشروع في المدارس العربية، إثر تهديد القيادات السياسية والتربوية العربية بإعلان العصيان المدني. ويُشار في هذا السياق إلى أنّ أحد دوافع الإضراب الذي شهدته الجماهير العربية في الداخل مطلع الشهر الحالي كان مشاريع صهينة وعسكرة التعليم، ومنع إحياء ذكرى النكبة، ومشروع عبرنة أسماء القرى والمدن العربية.



مدرسة حي المحطة في اللد، حيث اقتطع جزء منها لمبنى الشرطة الإسرائيلية. (تصوير: مركز بديل)

مشروع "الخدمة المدنية" تدجين للأجيال الشابة

مشروع بارز آخر يستهدف الأجيال العربية الشابة ويتغلغل من خلال بعض المدارس، هو ما يسمى بـ«الخدمة المدنية»، وهو مخطط حكومي تمخّض عن لجنة وزارية كانت بدورها تمخّضت عن لجنة التحقيق الرسمية التي عُيّنت في أعقاب اندلاع الانتفاضة الثانية وأحداث شهر تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠، والتي سقط خلالها ثلاثة عشرة شهيدًا وشارك فيها الشباب العرب بزخم غير مسبوق أقلق المؤسسة الحاكمة. ويقوم هذا المشروع بمقايضة بعض الأفضليات المدنية بأداء هذه «الخدمة»، وتشجيع الانخراط في جيش الاحتلال والشرطة الإسرائيلية وتخفيف حالة الاغتراب البنيوية مع النظام ورموزه ومؤسساته «الأمنية»؛ وبالتالي يرمي إلى تدجين الطلاب والشباب العرب والاستفراد بهم واستغلال أوضاع العمل والتعليم المزرية وتفشي الفقر والبطالة لإيقاعهم في فخّ «الخدمة المدنية»، الذي نصبه ويُشرف عليه خرّيجو الأجهزة «الأمنية» الإسرائيلية. وقد انخرط في هذا المشروع بضع المئات فقط من بين عشرات آلاف الشابات والشباب العرب، لكن المؤسسة الإسرائيلية تبدو مصرّة عليه وترصد له موارد بقيمة نحو ٣٠ مليون دولار سنويًا بعد أن وظّفت فيه أكثر من ٥٠ موظفًا.

نحو الإدارة الذاتية

ولا تقتصر العنصرية الإسرائيلية على الجوانب القيمية والتربوية فحسب؛ فالوجه الآخر لسياسة التجهيل هو سياسة التمييز في الموارد المادية والبشرية. ويكفي أن نذكر أنّ النواقص في التعليم العربي اليوم تصل إلى أكثر من ٩ آلاف غرفة و٩٠ ألف ساعة تدريس وخمسة آلاف وظيفة، تقدّر تكلفتها بمليار ونصف المليار من الدولارات؛ وأنّ معدل الاستثمار السنوي في الطالب اليهودي يبلغ خمسة أضعاف الاستثمار في الطالب العربي.

ويرزح أكثر من نصف المجتمع العربي ونحو ٦٠٪ من أطفاله تحت خط الفقر. ومع أنّ المجتمع العربي برمّته يتموضع في أسفل السلم الاجتماعي الاقتصادي، فهناك مناطق تكابد أوضاعًا أقسى من غيرها، لا سيما الأهل في النقب، حيث يعيش أكثر من ٨٥ ألف نسمة في قرّى وتجمعات سكنية لا تعترف بها المؤسسة الإسرائيلية وتحرمها من أدنى مقوّمات الحياة، كالماء والكهرباء والخدمات الصحية والتعليمية وغيرها. حيث نجد أنّ أوضاع طلاب النقب أسوأ بكثير في كل المعايير (التسرّب، الفقر، الانكشاف للعنف، تعاطي السموم، التحصيل، الالتحاق بالتعليم العالي إلخ)، وكذلك الأمر بالنسبة للطلاب العرب في مدن الساحل الفلسطينية التي أضحت "مختلطة"، عكا وحيفا ويافا واللد والرملة.

ورغم تعدّد وتباين رؤى ومشارب الجماهير العربية الفلسطينية في الداخل وقواها السياسية ومؤسساتها المهنية، يمكن القول بوجود إجماع واسع على مطلب الاعتراف بالتعليم العربي كتعليم ذي خصوصية قومية وثقافية، وضمان إدارته على يد قيادات تربوية عربية يختارها المجتمع العربي (حتى وإن كان هذا ضمن البنية التنظيمية القائمة لوزارة التربية والتعليم الإسرائيلية، كما هي حال التعليم الرسمي الديني اليهودي الذي يحظى بحيّز لا بأس به من الاستقلالية الإدارية والتربوية ضمن الوزارة) إلى جانب ضمان المساواة الجوهرية في الموارد؛ علمًا بأنّ المواثيق الدولية تكفل الحق في إدارة ذاتية ثقافية كاملة لمجموعات السكّان الأصليين.

هناك عشرات الهيئات والنقابات والمؤسسات والجهات المعنية بالتعليم في الداخل، تجتمع معظمها تحت سقف لجنة متابعة قضايا التعليم العربي، التي تأسّست عام ١٩٨٤ بقرار لجنة المتابعة العليا للجماهير العربية، وتعمل برعاية اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية. وقد أعلنت اللجنة العام المنصرم عن إقامة "المجلس التربوي العربي"، وهو إطار مهني يجسّد الحق الجماعي للمجتمع العربي الفلسطيني في الداخل بإدارة ذاتية لشؤونه التربوية – الثقافية، ويشكّل خطوة باتجاه تحصيل اعتراف بالتعليم العربي كتعليم ذي خصوصية قومية وثقافية.

وبطبيعة الحال، ترفض المؤسسة الإسرائيلية هذا الحق. لكن أحد أهداف المجلس التربوي هو إخراج التعليم العربي من دائرة الضحوية إلى دائرة الفاعلية، من خلال أخذ زمام المبادرة ووضع تصورات تربوية ورؤى مهنية وتقديم مراجعات نقدية وتوفير مضامين مكمِّلة وبديلة لترشيد المدارس العربية.

بالمجمَل، ورغم الصورة القاتمة، فإنّ نظرةً استرجاعية سريعة تظهر أنّ نضال الجماهير العربية سجّل نجاحات هامة، وراكم إنجازات كمية ونوعية حالت دون تحقق المخططات الكولونيالية، الغبيّة مهما تطوّرت: فالصغار لم ينسوا، ولن ينسوا، وهذه الجماهير التي بقيت كالأيتام على موائد اللئام، ورغم كل العراقيل، لم يظل أبناؤها وبناتها حطابين وسقاة مياه، بل صار منهم العلماء والأدباء والفنانات والطبيبات، سيورثون الأجيال القادمة فسحةً أوسع وأملاً أكبر في مستقبل أفضل.

---

* رجا زعاترة، صحافي وناشط سياسي فلسطيني مقيم في حيفا، الناطق بلسان لجنة متابعة قضايا التعليم العربي. رئيس الاتحاد القطري للطلاب الجامعيين العرب في الداخل في الأعوام ٢٠٠٠-٢٠٠١.

حكاية كفر عنان*

بقلم: رنين جريس**

كفر عنان هي قرية جليلية أخرى تم احتلالها وتهجير سكانها عام ١٩٤٨. كانت هذه القرية قائمة على المنحدرات السفلى لجبال الزَبول، في المكان الذي تتلاشى هذه الجبال فيه جنوباً لتصبح سهل الرامة. كانت الينابيع والآبار تمد سكان القرية بمياه الشرب. وكانت مياه الأمطار المصدر الأساسي للري، والحبوب والزيتون المنتوجات الرئيسية.

عن حياة القرية الزراعية ومصادر المياه حدثني حسن منصور – أبو مروان (١٩٣٤) احد مهجري القرية والذي يسكن اليوم في قرية الرامه:

كفر عنان كانت صغيرة بعدد سكانها بس كبيرة بأراضيها. قبل الاحتلال عاش فيها حوالي ٣٥٠ شخص سكنوا في ٧٢ بيت. البلد اعتمدت على الزراعة وتربية المواشي، وقسم قليل من أهل البلد كان يشتغل بالبوليس. مساحة أراضي البلد كانت حوالي ٥٨٩٧ دونم، الأرض كانت خصبة كتير. المناطق القريبة كانوا يزرعوها خضار، بندوره، خيار وفقوس، والبعيدة يزرعوها حبوب، قمح شعير عدس، كرسنه وهيك أشياء.

كانت المي تيجي من قرية «فراضه» فوقنا وتصب عنا بمنطقة بين «فراضة» و»كفر عنان» اسمها الجوابي، هاي الجوابي عايشه على الري، وكنا دائما نزرعها أشجار وخضار... المي الفائضة كنا نحطها بمجمّع مياه اسمه السيح وهناك نسقي الطرش ونسبح ونغسل. بالبداية كان في خلاف بيننا وبين أهل فراضه على المي، ورحنا للمحكمة ووقفنا محامي اسمه حنا عصفور من حيفا، وتقرر انه نص المي النا والنص الهم.

بعد ما اشترينا بلدنا، اطلعونا منها

حدثتني فاطمة منصور (١٩٣٦)، زوجة ابو مروان، كيف باع أهل كفر عنان قريتهم بسبب الضائقة المالية قائلة:

أيام الحكم العثماني، فرض علينا الأتراك ضرائب كبيرة على البلد. أهل البلد كانوا فقراء وما قدروا يدفعوا الضرائب.

أجا إقطاعي لبناني اسمه فؤاد سعد، دفع الضريبة واشترى الأرض، واحنا ضلينا ساكنين فيها ونشتغل فيها وفؤاد سعد يوخد نسبة من المحصول. هذا فؤاد سعد كان عنده تسع بيوت بالبلد تقريبا، وكلها تفتح ع جهة واحدة وكان يقعّد الناس فيها ببلاش بدون إيجار.

بال ١٩٤٥ اجو اليهود بدهم يشتروا الأرض من فؤاد سعد، واجا واحد اسمه يوسف النحماني وبنحاس وعرضوا عليه مصاري كتير حتى يشتروها، قال لهم فؤاد سعد أنا ببيع البلد بس لأهل البلد. أهل بلدنا جمّعوا مصاري واشتروا البلد من فؤاد سعد مع انه احنا دفعنا اقل من اليهود. بس بعد ما اشتريناها بثلاث سنوات صارت الحرب وطلعنا، لا فرحنا فيها ولا اشي.

فضّونا من السيارة مثل ما بفضّوا سيارة زبالة

مع أن كفر عنان سقطت خلال عملية «حيرام»، في أواخر تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٨، غير أن قسما من سكانها مكثوا فيها، رافضين الضغط عليهم للمغادرة. لكنهم طردوا مجددا في شباط/فبراير ١٩٤٩، حيث نقل نصفهم الى قرى مجاورة والقسم الأخر الى نابلس والحدود اللبنانية.

حول مكوثها في القرية وطردها لاحقاً حدثتني أديبة مصطفى شقير (١٩٣٤):

بال ٤٨ أجو علينا أهل عيلبون هاربين، إحنا نزلنا وصرنا نجبلهم أكل وخبز وطبيخ وميّ. قسم منهم كمّل على لبنان وقسم قعد كم يوم تحت الزيتون وفي بيوتنا. بعد ما أطلعوا أهل عيلبون بسبع أيام تقريباً أطلعوا أهل كفر عنان. بقي بالبلد بعض العائلات والختيارية. وأنا وأخواتي وأمي طلعنا كام يوم على عين الأسد، ورجعنا بعدها على كفر عنان عن طريق البيادر. بعد حوالي أربع أو خمس أشهر أجا الجيش علينا وقال تعالوا بدنا نعطيكم هويات. تركنا بيوتنا مفتوحة وطلعنا على الشارع، يومها أمي كانت عم تغسل



منظر عام لأراضي قرية كفر عنان. (تصوير: مقبولة نصار)

ملاحف وحاطّة طنجرة المجدرة على النار وأواعيها وسخة كتير. نزلنا على الشارع الرئيسي وقعدنا حوالي ساعتين وبعدها حملّونا ورمونا ع ساحة العين بمجد الكروم وضلّت طنجرة المجدرة ع النار والغسيل منقوع بالميّ. والله فضّونا من السيارة مثل ما بفضّوا سيارة زبالة، وصاروا يقولولنا «يللا روحوا عند الملك عبد الله أبو طبيخ...

فكرتهم فراش.. طلعوا جثث!! قالت لي فاطمة منصور:

راح احكيلك الحكاية من الأول، اليهود فاتوا عنا، طوقوا البلد وحاصروها. فاتوا ع البيوت وصاروا يقولوا اطلعوا من البيوت بدنا نهبط البلد. اجو هبطوا بيت دار أخوه لسيدي. الناس خافت وطلعت قعدت بأرض اسمها الخلة ع طريق المغار. أجا سيدي وقال لستي هاتي نخبي الأولاد بقلب المغارة، كان في عنا بالبيت مغارة نحط فيها تبن للطرش. قالت له ستي بلكي هبّطوا البيت والأولاد ماتوا؟؟ خلينا نطلعهم معنا.

اجو المسؤولين اليهود، ما بعرف شو اسمهم، جابوا سيارات، اختاروا الشباب مثل أبوي وجيله وأخذوهم ع المعتقل ولما اعتقلوهم ضلينا إحنا الأطفال والختيارية والنسوان. الجيش عمل صفين على الشارع من الجنبين، قالوا لنا اطلعوا من هون ع الجبل وممنوع تطلعوا وراكم، واللي بطلّع وراه منطخه. وأنا ماشي بالطريق مع أهلي، شفت كوم ناس ع الأرض. قلت لأمي شوفي هدول الناس جايين يناموا هون بالشارع، واللا هم ثماني قتلى شباب. أنا فكرتهم فراش بس طلعوا جثث. هدول الشباب قتلوهم اليهود على جنب الشارع وخلوهم هناك حتى الناس تشوفهم وتخاف وتهرب من البلد. الشباب هم: يوسف كايد، فواز إبراهيم الطه وأخوه حسن إبراهيم الطه، العبد الصفوري، سليمان احمد شقير، قاسم عز الدين من صفد، مسعود اسعد».

حول مقتل الشباب ودفنهم تضيف أديبة شقير:

لما طخوا الشباب أنا ما شفت لأنه كنا هاربين ع عين الأسد، بس لما رجعنا أنا وأمي رحت عند الجثث عشان أفحص إذا أبوي بين القتلى، وما لقيته. كانت الشباب مكوّمة على الأرض مثل الملحومين على بعض. الجثث ضلت على الشارع أسابيع، وبعدها رحنا أنا وخضرة كريكر من البعينة، سته لواحد من الشباب المقتولين، أخذنا الجثث ورميناهم بجورة قريبة عليهم وحطّينا عليهم شوية تراب وشل (عودان زيتون) وسكرنا عليهم. يمكن العظام تبعتهم لليوم بعدها بالجورة وبس نروح على البلد بفرجيك الجورة اللي دفناهم فيها. كنا مجبورين ندفهن، لأنه ريحتهم بلشت تطلع.

قتلوا جميل بس نايف هرب...

يستمر حسن منصور في انتشال مخزون ذكرياته ليحدثنا عن حادثة اخرى:

لما قتلوا الشباب واعتقلوا أبوي، أنا وأمي وأخوتي طلعنا على لبنان. بالطريق نمنا بحرش بيت جن وبعدها طلعنا على حرفيش ومنها على رميش ومنها على بنت جبيل، هناك قعدنا أسبوعين وسكنا بالجامع مع عشرات اللاجئين، وبعدين اخدونا على صور وهناك قعدنا خمس أو ست شهور، وبعدين سفرونا من صور على عنجر على حدود سوريا، قعدنا حوالي سبع أشهر، وبعدها على طرابلس ومنها على النهر البارد. لما كنا بصور كان في مجاعة كتير، يعني احنا كان يطلع لنا رغيف واحد الي ولأمي ولأخوي. أمي كانت تروح تلقط خبيزه بالوعر وتشحد من الناس حتى نوكل ونعيش (باكياً). بذكر انه الدنيا كانت برد كتير. أمي شلحت الجاكيت وغطتنا فيها. ولما رحنا على عنجر صار يطلع لنا اعاشه وكنا نوخد شوية عجوة وطحينة. كنا سبع او ثمانية عائلات يسكنوا بشادر واحد مثل السردين. رحاب بنت أختي خزنه ماتت من البرد وأمها ترضع فيها. أمي بالليل كانت تحط خيش وننام عليها حتى البرد ما يطلع علينا.

بعد سنه ونص بلبنان رجعنا عن طريق الصليب الأحمر أنا ووالدتي وإخوتي وأولاد خالي. رجعنا من طرابلس ع بيروت، ببيروت عملوا لنا حجر صحي، حطونا بمحل أسبوعين وطعمّونا، وبعد هيك نقلونا بسيارات لراس الناقوره ومن هناك نقلونا من السيارات اللبنانية للإسرائيلية والاسرائيليين طعمونا ورشوا علينا أشي ابيض. بمجد كروم قعدنا عند دار مصطفى الصالح وبعدها رحنا ع معصرة عند دار الشيخ دياب وبعدها نمنا على سطح مخبز. وبالآخر اجينا على الرامه بال ٥٤، سكننا بالبراكية ومن بعدها بنينا بيوت.

محطات من رحيل فاطمة منصور

تستمر فاطمة في الحديث عن تهجيرها وعن قصة الطفلة من عيلبون:

«وإحنا طالعين نواحي عين الأسد، بالجبل، لاقينا تحت الزيتونة طفلة من عيلبون، أمها تاركتها وحاطه تحتها حرام زهر ولافيته عليها وبجانبها كيس فيه أواعي وقنينه حليب فاضيه والمصاصه بتمها. أمي ما قدرت تحملها معنا لأنه كانت حاملي أخوتي. بس لما وصلنا بين عين الأسد وبيت جن بالوعر، شافتنا ختياره راجعه من بيت جن وبتبكي وسألتنا اذا شفنا طفلة بطريقنا واحنا طالعين؟، قلنا لها اه وحكينا لها وين، بس لما رجعت ما لاقت البنت. يمكن الجيش أخذها لأنه كان قريب كتير منها. سألناها ليش رمتها أمها، قالت لنا أمها كانت حامله ولد ع ظهرها وولد بحضنها وما قدرت تحمل الثلاثة...

بعد فترة أجا الجيش وطوق البلد وضبّونا كمان مره بمنطقة الخلة وين كنا قاعدين أول مرّة لما رحلونا. قسّمونا، اللي معه هوية زرقاء لحال واللي معه هوية حمرا لحال، اللي معه هوية زرقاء ضله واللي معه هوية حمرا جابوا سيارات الساعة ثمانية الصبح وقعّدونا فيهم لليل، لا أكل ولا شرب وساقوا فينا وكبّونا ع الحدود بين زبوبيا وبين إسرائيل. قعدنا هناك وأول ما طلع النهار، شافونا من بعيد المقاومة الفلسطينية الموجودة عند زبوبيا، وفكرونا يهود ومعنا أسلحة وصاروا يضربوا علينا. كان معنا شاب من فراضة، وقف يشوف مصدر الطخ والـلا الرصاصة اجت فيه ووقع ع الأرض وطرش دمه علي، لليوم بتذكر دمه الحامي على جسمي. بعدين اجت ستّه الختياره للشاب، كانت طرشة ولابسة حطه ومعها عكازه، أعطت حطتها لأمي، وأمي رفعت الحطة ع العكازة وصارت تركض بالسهل. شافوها المسلحين ع النقطة ووقفوا ضرب النار. اجو خمس أو ستة أشخاص منهم على الخيل، اخذوا الشاب الميت ودفنوه ببلد قريبة، وإحنا حطونا بسيارات وسحبوا فينا ع نابلس على مخيم بلاطه. سيدي كان بمجد الكروم، صار يدور علينا كمان مرّه، لحقنا سيدي ولما لاقانا أخذنا ع الحمير ومشينا معه لمجد الكروم. سيدي وستي كانوا يومها يشتغلوا بالرامه، يحصدوا يحلشوا ويشتغلوا بالبيوت عشان يطعمونا أنا وأخوتي لأنه أبوي محبوس.

بمجد الكروم أجا الجيش علينا كمان مرّه، طوّق البلد ، واطلعوا اللي مش معهم هويات عشان يكبوهم مره ثالثه. أجا سيدي عند المختار وقاله دخيلك بدهن يوخدوا الأولاد وأبوهم محبوس وأنا متت لحد ما جبتهم. قال له المختار ما بطلع بايدي أشي. لما طوقونا واجو بدهم يركبونا بالسيارة... وهيك عشنا بالرامه واشتغلنا لحد ما بنينا بيوتنا وعلمنا أولادنا، بس مع هيك بضل اسمنا لاجئين».

القرية اليوم

الموقع مغطى بركام الحجارة المبعثرة حول نبات الصبار واشجار التين المتناثرة. لم يبق من القرية سوى بناء كبير استعمل في الماضي كصيرة للمواشي وبيت خالد يوسف طه الواقع على طرف القرية من الجهة الغربية. أما المقبرة فهي مهملة منذ ستين عاما وبالكاد يستطيع الزائر أن يرى حجارة قبورها. معظم أهالي القرية اليوم هم لاجئون في مخيم نهر البارد وسوريا، ومن هجّر داخل الوطن سكن في حي الدبّة في الرامه احد أحياء المهجرين الكبيرة في البلاد.

بس احتلونا هدموا حوالي سبع بيوت»، حدثني حسن منصور. «أهل بلدنا رفعوا قضية عام ١٩٥٢ عن طريق محامي من الناصرة اسمه محمد نمر الهواري، لما عرفت السلطات بالموضوع اجو على البلد وفجروا البيوت وراحت القضية. يومها انا كنت بالصف العاشر بمدرسه الرامه وسمعت الألغام والهدم ورحنا ولاقينا فعلا البيوت بالأرض.

وتضيف أديبة شقير:

بلدنا كان فيها مقبرتين. بعد التهجير توفى مهنا شقير من بلدنا ورحنا قبرناه بمقبرة كفر عنان. بعدين توفى احمد سعيد كروم من فراضه ولما رحنا عشان ندفنه بمقبرة كفر عنان أجا علينا الحاكم العسكري «دوف» ومنعنا، وقدمنا لمحاكمة لحد ما تدخل عضو كنسيت عربي وتعهدنا انه هاي آخر مره راح نقبر فيها هناك. يعني لا الأحياء رجعوا ولا الأموات منهم.

---

* تم تجميع الشهادات في أيلول، ٢٠٠٩،

* * رنين جريس، مركزة مشروع التاريخ الشفوي في جمعية زوخروت (ذاكرات) – حيفا.

مركز بديل يطلق موقعه الإلكتروني الجديد

يسر بديل – المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين الإعلان عن إطلاق موقعه على الشبكة الإلكترونية www.badil.org بحلة جديدة.

يمتاز الموقع الجديد بأنه مبني من خمس لغات هي الإنجليزية، والعربية، والإسبانية، والإيطالية، والفرنسية، فضلاً عن احتوائه على مجموعة متنوعة من الصفحات المفيدة، والتي تحوي في طياتها على معلومات أساسية، موارد إعلامية مفيدة للزوار والنشطاء، صور فوتوغرافية، مطبوعات، وأرشيف ضخم من الوثائق والأبحاث ذات الصلة باللاجئين والمهجرين الفلسطينيين وقضاياهم. كما ويمكن لزوار الموقع الجديد البحث في مكتبة مركز بديل على شبكة الإنترنت.

٣ تشرين الأول ٢٠٠٩

بيان صحفي صادر عن بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين

الموقف الفلسطيني الرسمي في جنيف: تنكر للشرعية الدولية وهدر للحقوق الوطنية على مذبح وعد تجميد الاستيطان

في الوقت الذي شكلت فيه توصيات تقرير القاضي جولدستون قفزة نوعية في مستوى أداء وكالات الأمم المتحدة، وفرصة ذهبية لوضع مجلس حقوق الإنسان، والجمعية العامة، ومجلس الأمن، ودول العالم بمن فيها الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، أمام مسؤولياتهم الدولية والقانونية حيال محاسبة إسرائيل وإنصاف ضحايا الاحتلال والحرب على غزة، جاء الموقف الفلسطيني الرسمي لينسف الانجاز متنكر بذلك لمبدأ إنفاذ الشرعية الدولية كأساس لحل القضية الفلسطينية، وإنصاف ضحايا الشعب الفلسطيني.

لقد عمل مركز بديل جنبا الى جنب مع منظمات حقوق الإنسان الفلسطينية وبالأخص تلك التي تحظى بعضوية استشارية في الامم المتحدة، وبالتعاون مع منظمات وهيئات دولية على تنظيم حملة وصلت ذروتها بضمان تأييد أكثر من ثلثي الدول الممثلة في مجلس حقوق الإنسان بتبني التوصيات ورفعها إلى السكرتير العام والجمعية العامة. ولكن جاء الموقف الفلسطيني الرسمي من خلال السفير ابراهيم خريشة يقضي بسحب وتاجيل مشروع التصويت على تبني توصيات تقرير جولد ستون تمهيدا لإحالتها إلى الجمعية العامة، ومن ثم إلى هيئات دولية أخرى كمجلس الأمن والقضاء الدولي، مفاجئا وبلا سابق إنذار ليعلن الانسحاب من معركة كان النصر فيها محققا. ان الادعاء بطلب تأجيل النظر في مشروع القرار لا يعدو كونه ذر للرماد في العيون. وان القول ان م. ت. ف ليست اكثر من عضو مراقب لا تملك سلطة اقتراح مشاريع قرارات او سحبها، لهي ادعاءات غير قانونية تبريرية لا تفسر ما جرى، ولا تشكل سببا أو مسوغا لتنكر ممثل الفلسطينيين لتقرير هو في مصلحتهم بلا ادنى شك. ولعله من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى تصريحات عدد من المسؤولين الفلسطينيين التي رافقت وتلت قرار السفير خريشة، تشير إلى أكثر من سوء التنسيق، وعدم علم أعضاء اللجنة التنفيذية بالقرار وبأسبابه. إن الأمر يبدو لنا في مركز بديل سياسة متناقضة في ذاتها ومتناقضة مع نهج تثبيت الحقوق الفلسطينية، إذ أنها تتنكر للشرعية الدولية وتهدر حقوق الضحايا على مذبح الوعود السياسة.

إننا في بديل نرى أن عدم تأييد الولايات المتحدة لمشروع القرار، وعدم توافق كل دول الاتحاد الأوروبي على موقف موحد، وعدم اتفاق هذه الدول مع موقف إسرائيل والولايات المتحدة، في ظل التأييد الواسع للتقرير وتوصياته، كلها كانت عوامل تشجع على المضي قدما في المشروع، ولا تبرر التراجع عنه بحجة عدم التحضير أو منح فرصة أخرى لجهود السلام. اننا في بديل إذ نرى أن هذا الموقف لا يختلف عن موقف السفير خريشة من مؤتمر مناهضة العنصرية (ديربان – جنيف في نيسان ٢٠٠٩) حيث وافق على استبعاد الإشارة إلى فلسطين وإسرائيل، ولا يختلف عن موقف ممثل فلسطين في الأمم المتحدة من مشروع قرار رئيس الجمعية العامة (يناير ٢٠٠٩) حيال الحرب على غزة حيث تم رفض المشروع القاضي بإدانة إسرائيل، وتحميلها المسؤولية، وتشكيل محكمة دولية خاصة للتحقيق في الانتهاكات. إن مثل هذه المواقف تتناقض كليا مع مبدأ السعي إلى السلام العادل على أساس الشرعية الدولية.

ضمن هذا السياق فإننا نطالب:

إصدار بيان رسمي توضيحي من قبل اللجنة التنفيذية يبين أسباب هذا الموقف المتناقض مع مصلحة الضحايا الفلسطينيين والمصلحة الوطنية العليا المتمثلة في تجريم إسرائيل ومحاسبتها.

اتخاذ كافة الإجراءات القانونية والقضائية والتنظيمية لمحاسبة المسؤوليين عن الأمر.

تأسيس هيئة وطنية للتنسيق ما بين مؤسسات حقوق الإنسان الفلسطينية وممثلي منظمة التحرير الفلسطينية، تعزيزا لدور هذه المؤسسات الوطنية المهنية، وتمتينا لمعركة الدفاع عن الحقوق الوطنية امام الهيئات الدولية.



(حق العودة)
دورية تصدر كل شهرين عن
بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
الرقم الدولي المعياري (ISSN): 18149774

تحرير
محمد جرادات
نضال العزة
باسم صبيح

الهيئة الاستشارية
أنطوان شلحت (عكا)
عيسى قراقع (بيت لحم)
رجا ديب (دمشق)
سلمان ناطور (حيفا)
نهاد بقاعي (الجليل)
سالم أبو هواش (الخليل)
أمير مخول (حيفا)
جابر سليمان (صيدا)
تيسير نصر الله (نابلس)
هشام نفاع (حيفا)
وليد عطا الله (باريس)
أنور حمام (رام الله)
نايف جراد (طولكرم)

المقالات المنشورة بأسماء أصحابها تعبِّر عن وجهة نظرهم/ن.

بيت لحم، فلسطين
ص. ب. ٧٢٨
تلفاكس: ٠٢-٢٧٤٧٣٤٦ ، هاتف ٠٢-٢٧٧٧٠٨٦
بريد الكتروني: camp@badil.org
صفحة الانترنت: www.badil.org